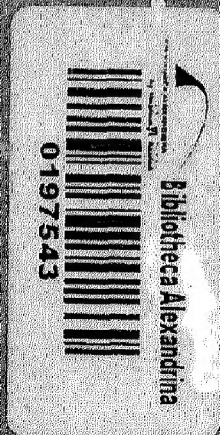


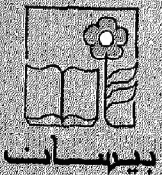
أحمد شومان

الغز من الزوي



0197543

Bibliotheca Alexandrina



الزمن الرديء

أحمد شومان

الزمن الرديء



* الزمن الرديء

* تأليف: أحمد شومان

* الطبعة الثانية ١٩٩٨ م.

* جميع الحقوق محفوظة

* الناشر: بيسان للنشر والتوزيع

□ ص.ب ٥٢٦١ - ١٣ بيروت - لبنان

□ هاتف ٣٥١٢٩١ - فاكس ٧٤٧٠٨٩ ٩٦١١

مقدمة بقلم يوسف الأشقر

الزَّمَنُ الرديءُ يُطارِدُنَا حتَّى السَّاعَةِ.

من قال إنّ الزَّمَنَ الرديءَ مات؟ إنّه حيٌّ يُرَزَقُ. ورزقُهُ وفيرٌ، إلى عمره المديد.

الزَّمَنُ الرديءُ، بطبيعته، يُطارِدُ مَنْ لا يُسَلِّمُ بالرَّدَاءَةِ ولها. فالرَّدَاءَةُ إعتدَاءٌ. كان أحمد شومان ضحيةً لاعتداءاتِ الزَّمَنِ الرديءِ ورجالاتِهِ. طاردوه وكتبته في السُّنَيْنَاتِ حتَّى بيعَ الكتابُ بالكيلو في السُّوقِ ذاتِها التي بيعت فيها كراماتهم بالأطنان.

هذا وجهٌ في القضية، حيث يبدو أحمد شومان ضحيةً بريئة. أمّا الوجه الآخر، الحقيقي، فهو أنّ أحمد شومان لم يكن بريئاً، ولم يكن، في الغالب، ضحيةً. كان جلاًداً للزَّمَنِ الرديءِ ورجالاتِهِ. طارَدَهم وجَلَدَهم مع كلِّ طلعةِ شمس، واحداً واحداً، وفغلةً فغلةً، وهو يُواصِلُ ذلك، الآن، بعد ثلاثة عقود، بإعادةِ نُشرِ كتابِهِ «الزَّمَنُ الرديءُ». فكأنّي به قد قرَّرَ أن يدفعَ عنه صورةَ الضحيةِ البريئةِ التي تَوَهَّمَهُ الناسُ عليها، وربما ألقاها هو، ويبدو غير هيّابٍ لمنازلاتِ الصراع، الجديدة. تغيّرتِ الأسماءُ والأحداثُ والرُّمُوزُ الرديئةُ، لكنَّ الرَّدَاءَةَ باقيةً. وهي مستفحلةٌ، وطاغيةٌ، برجالاتها ورموزها المُتَجَدِّدة، وقد تتربَّصُ بأحمد شومان من جديد، لكثَّها، بالتأكيد، ستكون في موقعِ المتجمُّعِ والمتربِّصِ أن يُصَفَّعَ مِنْ

جديد باليد إياها، على أفسى.

نحن الآن أشد حاجة مِنّا بالأمس إلى مواجهة الرداءة ومُطاردتها. قِصَّتُنا الجديدة معها أصبحت مزودجة: نحصد ما زَرَعْتُهُ في الماضي، ونشهد ما تَبْدُرُهُ الآن لأجيال المستقبل. ففي الصَّعيد اللبناني، عانينا في السَّبعينات والثمانينات ويلاتٍ هي من مفاعيل الزَّمن الرديء الذي طارده أحمد شومان في السَّتينات وقَبْلُها. وأواخر التسعينات تتكشفُ عن صولاتٍ جديدة للرداءة تتمخَّضُ عن ويلاتٍ لأبنائنا وأحفادنا في القرن الحادي والعشرين. وفي الصَّعدين القومي والعربي عانينا، في رُبْع القرن الأخير، كوارث تصدَّى أحمد شومان لأسبابها ومؤثراتها وعوارضها في السَّتينات، وهي إياها، على تجلِّدٍ وتنوع، تُهيئُ لكوارثٍ جديدة. من هنا كانت الحاجةُ مزدوجةً ومضاعفةً لإعادة نشرِ كتاب «الزَّمن الرديء».

شَرَفُ الصحافة أن تكشفَ عن الحاضر بأمانةٍ وشجاعة. وشَرَفُ أحمد شومان وفضلهُ أنه، إلى أمانته وشجاعته، استطاع أن يَسْتَشْرِفَ. ولعلَّ رؤيَّتُهُ النافذة تعود إلى ثوابتِ المدرسة الفكرية والأخلاقية التي هي دليُّه منذ نصف قرن.

يوسف الأشقر

ضهور الشوير ١٥/٩/١٩٩٧

مقدمة الطبعة الثانية

عودٌ على بدء

يعودُ «الزَّمن الرديءُ» في طبعةٍ ثانيةٍ بعد الطبعة الأولى عام ١٩٦٦ وكلماته أقوى من الزَّمن.

وبعد أن نام الكتابُ في مطبعة «هايدلبرغ» في الأشرفية، زمناً رديئاً دام خمس سنواتٍ بعد الحرب المعلنة والتعتيم الذي فُرضَ على الكتاب، لإخراج الطبعة الأولى وأحمد شومان لا يملك حيلة ولا جواباً، حتى يثسَّ الناشرُ ببيع الكتاب... بالكيلو.

و «الزَّمنُ الرديءُ» الذي نَضَدَتْ حروفه مطابعُ اللينوتيب في الستينات، تَلَفَّقَتْهُ أجهزة الكمبيوتر حروفاً رقمية في طبعةٍ ثانيةٍ على مشارف القرن الحادي والعشرين.

الطبعة الجديدة غير منقحة ولا جديدة. فالجديدُ في لبنان والعالم العربيّ اليوم قديمٌ جديدٌ في «الزَّمن الرديء». والكلمة الصادقة لا عُمرَ لها ولا زمن، فهي وليدة الحقيقة التي لا تموت.

الماضي في «الزمن الرديء» أماننا. والرؤيا في السياسة والزعامة والاجتماع والفن في المشرق العربي يكتبها أحمد شومان ساخنة بأسلوب الصحافي الجزّار.

أحمد شومان في الطبعة الثانية كما في الطبعة الأولى،
وفي كل الطبعات، يغلبُ فيه الطُّنُجُ على التَطُّعِ. ويبدو الكاتبُ
المتطَيَّرُ الماسخُ وهو يقبِّحُ الناسَ والأحداثَ في كل زمنٍ
رديء... طفلاً يختبئ بين الكلمات ببراءة الصدق
والصراحة، وسيفاً مسلطاً بعنفوان الشجاعة في وجه القباحات
والطغاة!

«الناشر»

مقدمة الطبعة الأولى

الزمن الرديء

كما يجمع المرء حواسه ويضبط قواه ، وقد صدّ عنه الكارثةُ ورَوَّعته النكبةُ ومزَّقَه العارُ ، ثم يعرض لنفسه برهبة أهوال النوازل التي توالى على رأسه فافقدته توازنه ، ثم يستعيد أشنات ذاكرته مُعانداً فيها مغالقتها مُتقصياً شوارد دقائقها ، ثم يبدأ تركيز نظره فيها ، وهو بعدُ فازعٌ مُلتاع ، محاولاً ترتيب أحداثها وتنسيق تواريقها واستكشاف عواملها وتمحيص نتائجها واستشراف ذيولها ، ثم يتنبهُ ليشهد أمامه ، بأَم عينه ، الضحايا والآثمين والغانمين والمهزومين والشُّردَ والجرحى والجياع والأيتامَ والثكالى والشامتين والثام واللامبالين ، ثم يلتفتُ خلفه ليلمح مدناً مقدّسةً مُرغّت ، وقرى مهدّمةً استُبيحت ، واكوامَ جثثٍ ، وبركَ دماءٍ ، وأقدام

سَفَلَةٌ . . . أقول ، كما يجمع المرء نفسه من أردام أيامه ، حريصاً على كوالحِها ونوافلِها وبقايا نوازعها حِرْصَهُ على لوامِعِها ونفائِسيها ونحوالِدِ مآثرها ، هكذا كنتُ استرجعُ نفسي من السنوات العشرِ السالفة إذ كنتُ أراجعُ مقالات أحمد شومان وأحقِّقُ فيها ، وأصنِّفها ، لأدفع بها في كتابٍ إلى قرائه .

الحقُّ نقول ، ما عرفنا في كتاب صحافتنا مَنْ أنشأ مع الناس علاقةً كتلك التي بين شومان وقرائه ، منزَّهة عن التملق والإسترضاء ، خالصةً من التدليس والتكلف ، قوامُها متابعةُ الايضاح والنقد والتصدي ، ورائدُها ملاحقةُ الحقيقةِ والوعيِ والحقِّ ، ومنحاحها التحامُ مصيريُّ بالأحداث ، ومواجهةٌ في ما يُعلن منها أو يُبطن ، تدقيقاً في ما يخفى أو يبين من مسالك الساسة والقادة والحكام .

. . . علاقةٌ حبٍ ويقين قامت على تشاركِ التفكير

والقلق والغضب والتعنيف والسخرية والأسى ، في مسيرة
خطيرٍ مديدة ، وَهَنْتُ فيها اعصابُ ، وهانَتْ أنْفَتُ ،
أمام سلطان الرشوة والدسيسة والغيلة .

علاقةٌ أسَرَتْ صاحبها ، فما يَكَادُ يُحْجِمُ حتى
يَسْبِرِي الناسُ له مفتقدين : إنْ يُصْبِحُ يستنطقوه
شعورهم وتساؤلهم ونقمتهم ، وإنْ يَنْبُ النّهار فما
يتأولون هم في ما طرأ ، وهو أقصى ما يصيبه صحافي
من غنى ونجاح .

وضحايا شومان هم من أخطأ في منحهم حق الموت
بقلمه . ولقد يُعزى الى الأدب السياسي أنه يُنبئ زعانفَ
السياسة خطأ من حداثتي الأدب : إكليلًا لنعشٍ أو
غاراً لعرش . ولا ضير ، فالأدب هنا لغةُ فارسٍ انطلق
في حومة . فالدنيا صدامٌ أو فرار . لغةُ صارمٍ مثناف لا
يرتدُّ في قراع الباطل عن مقاصده حتى يرتدّ ذوو الباطل
في ذلّةٍ ، أو يكون إقدامهم دناءةً أسوأ من جبانة .

فارسٌ لم تُعَمِّهِ جحافل الجيوش والجماهير ، كما
أعمتْ بصائر المبصرين ، عن خداع وعدٍ بالنصر .
لقد كان قتالُ الدجالين أوجبَ للنصر من قتالِ الأعداء
فكان أولى ، وكان دورُ الصحافة تمثله شيومان ، وألقه
بعناذه وشرفه وقلمه .

حَسْبُهُ أَنَّهُ تَفَرَّدَ دُونَنَا أَدِيًّا تَفَرَّدَهُ فَارِسًا ، فَمَا
دَانِي صَغَارُهُ ، عَلَى كَرِّهِ ، إِلَّا بِفَخَامَةِ بَيَانِ وَقْوَةِ
مَنْطِقِهِ ، فَهُوَ يُبْلَغُ سُخْرِيَّتِهِ التَّقْرِيعَ يَصْنَعُهُ رَفِيعًا
يَلْزَمُ مَسْتَوَى قَلَمِهِ وَفِكْرِهِ وَغَرَضِهِ ، فَيَأْتِي رَشِيقًا
شَائِقًا مُمْتَعًا ، عَلَى حَزْمِهِ وَقُسْوِيَّتِهِ وَنَفَازِهِ .

المقالةُ هنا صناعةُ رقابةٍ ومناقشةٍ وجزاء . وهي
بعضٌ من روايةٍ أو مقامةٍ أو رسالةٍ . وهي مبادرةٌ
ومعالجةٌ ومحاورةٌ . وهي صرخةٌ تأنيبٍ في وجهٍ دعيٍّ ،
استخزاءً ، أو صرخةٌ ثناءٍ في وجهٍ أصيلٍ ، انتصاراً .
وهي تسجيلٌ لموقفٍ يثبتُ قيمةً ، وَيُسْقِطُ لَغْوًا ،

ويضيءُ مَنْقِبَةً ، ويفضحُ مَثَلَةً . وهي ، أحياناً ،
مَحْضُ عَاطِفَةٍ ، وَبَثُّ رَجَاءٍ ، وَرَفْعُ دَعَاءٍ .
والمقالةُ طُرْفَةٌ بذاتها ، فهي ذاتُ بناءٍ متماسكٍ
تامٍ ، لا أخلاطٍ فيها ولا تناقضٍ ، بل توجُّهٌُ وإِعْ
في خِطَّةٍ واضحةٍ تجعلُ السياقَ أمامَكَ أَفْقاً بَائِنٌ
النواحي .

لا يتردَّدُ شومان ، ولا يتقلَّبُ ، ولا يضطرب .
بل يُقدِّمُ ذاتَه بصِفَاءٍ وَمِنَعَةٍ وَعَفْوِيَةٍ . ولئن قررتُ
تبويبَ مقالاتِهَ وَفَقَّ مَوْضُوعَاتِهَا ، على تباعدها زمنياً ،
أحياناً ، دونَ أنْ أُنْحِثَ النَّسْخَ - وهو لعنةُ كُتَّابِ
المقالاتِ عموماً - فلأني استوثقتُ وَحْدَةَ رُؤْيَاهُ وَثَبَاتَهُ
فيها ، فما حُرَّتْ طويلاً .

لقد أخصبَ شومان حقلَ الصحافة ، واستثمره ،
وأتانا ثماره : المقالةُ أكثرُ من إنشاءٍ في الأدبِ والسياسةِ ،
وأكثرُ من فنٍّ في الصحافة ، وأكثرُ من ذلك الترجيعِ

المحبَّب الذي يُوثِّق الكاتبَ إلى الآخرين ويلحُّمُه
برسالته . . . إنها صورة لإنسان يكشف ذاته في ميدان
النضال الأوسع ، كل صباح ، "شهادة" لنا ، وشهادة
علينا .

وحسب أحمد شومان أنه هذه المقالة .

« الناشر »

لَبَّكُ يَا بَنَاتِ

هذه الثقة

عندما كتبت اقول لا جدوى من مناقشات النواب ، اللهم الا تمرين الفكين وتسليك الخناجر وإيهام الرأي العام بأنهم حريصون على المصلحة العامة بما يثرون من اتهامات ويسددون من ضربات للحكومة الثمانعشرية . وان المسرحية التي طال تردادها ، والتي تمثل دائماً وابتداءً قبل واثناء وبعد منح الثقة ، أصبحت مملة الى درجة القرف والاشمئزاز . . .

اقول ، عندما كتبت هذا وتنبأت بأن اشد الاصوات معارضة للحكومة هي الاصوات التي ستمنحها الثقة ، لم اكن اعدو الحقيقة .

ولكنني ، واعترف صراحة ، لم اكن انتظر هذه النتيجة التي خرجت بها المعارضة ، لا من حيث المبدأ ، بل من حيث العدد .

صحيح ان فوز الحكومة بثقة نفسها ، اعني بثقة اعضائها ومن يلوذون بهم ، لم يكن حدثاً مفاجئاً لي وللناس . ولكن الحدث المفاجيء هو في هذا الانقلاب العجيب الغريب والسريع الذي انقلبته جبهة جنبلاط على نفسها ، اذ لحست كلامها لحساً ، وتنكرت لاقوالها تنكراً معيماً ، وبلعت سيل الاتهامات والتجريعات التي صببتها على رأس الحكومة قبيل جلسة الثقة بساعات معدودات ! فالصوت الصارخ المجلجل الذي دوى في جلسة ما قبل الثقة ، صوت النائب الخطيب الشيخ بهيج تقي الدين ، ما زال يرن في جنبات المجلس ويتردد صدهاء في آذان الناس . . . لقد وقف ممثل كتلة جنبلاط يحمل بعنف ما بعده عنف على الحكومة مطالباً رئيسها بالاستقالة فوراً .

وقام في أذهان النواب معارضين ومؤيدين ، ان كتلة جنبلاط سوف تحجب ثقتها بالحكومة لا محالة ، ان لم يكن انسجاماً مع ما أخذته على نفسها من تعهدات امام مجلس النواب ، فانسجاماً على الاقل مع طبيعة المعارضة المتأصلة في نفس صاحبها ، صاحب الكتلة الوزير المؤيد المعارض ، القائم القاعد ، الغاضب الراضي ، القانع الطامع ، الضاحك الباكي . . .

اللهم لا « حسيده ولا ضيقه عين » فتنة جنبلاط وكتلة جنبلاط اولى بها حكومة كحكومة الثمانية عشر كوكباً ، لا سيما وان الوزير ضالع في هذه الحكومة يتحمل اوزارها ولا يعفيه من المسؤولية قوله انه لا يشترك في قطف ثمارها . . .

اما وقد نالت الحكومة ثقة نفسها بنفسها والدائرين في فلكتها ، فلتنهأ ، ولتقر عيناً ولتهدأ بالا ، ولتنم على حرير بأمان وسلام . ولكن ، وعلى ذكر الثقة ، اذكر والشيء بالشيء يذكر ، ان المرحوم سعدالله الجابري قد تعرض يوماً في مجلس النواب السوري لهجوم نائب واحد ، فاعتبر الجابري ان كرامته قد مست ، فطرح الثقة لفوره ، وكان رئيساً للحكومة ففاز بما يشبه الاجماع

وعلى اثر فوزه الكاسح وقف رحمه الله يعلن استقالته من الحكم . واستقال بالفعل ، وغادر قاعة المجلس لتوه بين دهشة النواب واسفهم !
 لقد اعتبر سعد الله الجابري ان كرامته قد مست لان نائباً مهوساً قد اتهمه اتهاماً كاذباً فآثر الخروج من الحكم انفة وكبراً رغم نيله ثقة الاكثريّة المطلقة في المجلس . . .
 وبضدها تميز الاشياء !
 وبعد . ليس لنا الا ان نردد مع الشيخ بهيج تقي الدين القول المعروف :
 « ابقاش بدھا قوموا تنھي » !

اشخاص

لست ادري لماذا تخلت المير مجيد ، وهو يشد الرحال الى دمشق ، يتمتم العبارة التقليدية المشهورة : « ابقاش بدھا قوموا تنھي » !
 والحق . ان الصور الزاهية التي نشرتها « النهار » امس للمير مجيد في دمشق ، وهو ينعم بالاستقبال الفخيم الذي اقيم على شرفه ، كانت تنطق بأفصح الالسنه وتردد مع المير « ابقاش بدھا قوموا تنھي » .
 وصحيح ان طلعة وطلّة وزير دفاعنا المجيد ، كان لهما اثر في تزيين الاستقبال ، واضفاء المزيد من الرونق والسحر الحلال ، ولكن الصحيح ايضاً ان سادة العهد الجديد — القديم في الشام ، قد بالغوا في الخفاوة والترحاب بالوفد اللبناني عامة وبرئيسه المير مجيد خاصة ، والفضل في كل حال يعرفه ذووه ، وليس كسادة دمشق ، ولا سيما في هذه الايام ، علماء خبراء .
 وسادة نجباء في معرفة كيف ومنى ولماذا يقدرّون الفضل واصحابه !
 ولقد تجلّت فرحة دمشق وخفاوتها بالوفد اللبناني ، الذي زارها مهنتاً مباركاً ، تجلّت في الكرم السوري المعهود ، فلم تكتف بالموسيقى والاعلام وكوكبة الفرسان ، والضباط والاناشيد الحماسية التي حفت بمقدم وفد لبنان ، بل تعدى كرمها الى اغداقها الهدايا الثمينة ، تدليلاً على مزيد حبها وعرفانها ، وتوكيداً لصديق عاطفتها وللاثنا ، فكان نصيب المير مجيد من الهدايا حصّة الاسد ، ولا عجب فالعظائم كفؤها العظماء . . . وهكذا كان ، وظفر المير ببندقية حديثة مع ذخيرتها ، ومع البندقية سيف ، ومع السيف جواد عربي أصيل .
 ولا غرابة في الهدايا ، فالهدية على قدر مهديها ، ولقد جاءت والحق يقال ، آية في الذوق والكياسة وحسن الاختيار ، فالير مجيد رب السيف وراعي الحصان ، وحامي حومة الوغى والميدان .

ولست أدري أي شيطان خبيث همس في أذني هذا السؤال : « ما هو نصيب وزير الداخلية الاستاذ كمال جنبلاط من الهدايا ؟ » .

هل تراهم في دمشق حملوا المير مجيد هدية تناسب المقام ، مقام الوزير جنبلاط ؟ وهل يجوز ان يسهو عن بال سادة دمشق ، وهم السادة النجب الاذكاء الخبراء ، فلا يرسلوا « حلوانة » الصلحة والتهنئة لمعالي الوزير كمال جنبلاط ؟

حقاً ما عساها تكون الهدية التي حملها معه المير مجيد الى صديقه وزميله ؟ نحن نعلم ان المير مجيد رجل طيب منصف ، لا يجب ان يتعدى على اختصاص غيره كما لا يجب ان يتعدى أحد على اختصاصه ، وله في ذلك قوله الذي يردده انما « انا رب السيف وكمال جنبلاط رب القلم » .

ولقد ظفر المير بالسيف والبندقية والحصان . فهل تراه حمل معه من دمشق الى كمال بك حصته ؟

قلم او كتاب مثلاً ؟

واذا كان قلماً فما هو نوعه ؟

او كتاباً فما هو شكله ؟

ام ان سادة دمشق لا يسلمون الهدايا الا باليد ؟

واذن فهل يقوم الوزير جنبلاط بزيارة دمشق ليتسلم الهدية بيده . . .

انها لن تكلفه كثيراً . يكفي ان يردد العبارة التقليدية المشهورة :

« أبقاش بدها قوموا تنهني » !

حياد اللاشيء!

غداً عندما يؤرخ مؤرخو الحكومة ، بعد عمر طويل ، سجل الاعمال المجيدة الباهرة التي اقدمت عليها وتمت في عهدها الميمون الزاهر ، سوف يسجلون بمداد من الفخر انه قد تم في عهدها الى جانب ما تم اضافة لقب جديد وصفة جديدة للبنان . . .

فمنذ عهد بعيد ولبنان يدعى بلد العلم والنور والحرية والاشعاع . حتى جاءت هذه الحكومة الزاهية الالوان ، فاضافت اليه لقباً جديداً واصبح لبنان بلد الحياد واي حياد !

وحكاية الحياد اللبناني تعتبر بيضة الحكومة الكبرى التي فقستها والتي فاقت كل بيضة باضتها منذ ان حملتها كراسي الحكم !

كان الحياد ومفهوم الحياد في اذهان اللبنانيين شيئاً غامضاً بشأن كل امر من الامور التي تتولاها الحكومة « الحرزانة » وترعاه بعين عنايتها . ولكن من حق الحكومة علينا ان نعرف بأنها وللمرة الاولى كانت صريحة واضحة في مفهومها للحياد تجاه نفسها اولاً وتجاه اللبنانيين ثانياً . فالحياد في رأي المسؤولين ان لا يكون لبنان مع الشرق ولا مع الغرب . او ان يكون مع احد الفريقين سراً ودون ان يعرف حتى الفريق الذي ينحاز اليه ، زيادة في الاحتياط والاحتراز والسرية . سرية الحياد .

وقال بعضهم ان حيادنا هو حياد لبناني وليس حياداً ايجابياً ناصرياً . . . وصفق الفريقان وهللاً فرحاً كما صفق كولومبوس وهلل عندما اكتشف امريكا !

وفجأة وعلى غير موعد . او في ليلة ليس فيها ضوء قمر : سقط القناع عن هذا الحياد اللبناني كما تسقط الكوفية عن رأس الاقارع وظهر الحياد على حقيقته بعد ان انحسر عنه الغطاء !

لقد دعا الرئيس جمال عبد الناصر والمارشال تيتو لعقد مؤتمر ذروة تشترك فيه ٢٠ دولة محايدة ، ووجهت الدعوات اليهم . . . وانتظر لبنان ، وهو البلد المحايد ، ان تصله دعوة اسوة بسائر الدول المحايدة ولكن تبين ان اسم لبنان غير وارد . . .

والاطرف — كيلا نقول الانكى — انه قد تم الاتفاق على ان يقتصر عقد مؤتمر حيادي على دول حيادية فلا يسمح لكوبا ان تشترك فيه بعد ان اعلنت نفسها بلداً اشتراكياً ، ولا لليبيريا لانها خاضعة لنفوذ الولايات المتحدة .

فما هو حياد لبنان ؟ ما هو مفهومه ؟ واين مكانه ومقامه اليوم بين الدول ؟
لماذا لم توجه الدعوة للبنان ؟
هل يشكون به ؟ هل هو غير اهل للالتزام على أسرار المؤتمر الحيادي ؟
وما معنى حياد لبنان اذا ؟

يبدو انه حياد تام عن اهل الحياد وعن دول الحياد . او ان الدول المحايدة قد صدقت حياد لبنان وان اللبنانيين محايدون فتركوهم على حيادهم . . .
حقاً انه حياد عجيب غريب ، وحيد فريد !

كل دولة تستطيع ان تجد رفيقة لها بين الدول الالبسان . . .
لقد تحول لبنان بفضل النخبة الحيرة ، الفهيمية الممتازة من حكامه الى لا شيء . . . لقد سقط حتى في . . الحياد !!

تكلم يا معالي الوزير

من خلال الازمة الوزارية الناشبة ، ومن ثانيا التحركات والمناورات السرية والعلنية ، برزت الى السوق اشاعة تقول إن وزير الاشغال العامة سوف يصرف من الوزارة بعد حركة التنسيق الوزارية المنوي اجراؤها في الايام القليلة المقبلة .

وقد ارتفعت هذه الاشاعة حتى أوشكت ان تصبح حقيقة لا شك فيها ولا ريب . فاذا صح العزم على التعديل والتنسيق ، والاستغناء عن بعض الوزراء ، فان من حق الرأي العام ان يقف على اسباب صرف هؤلاء الوزراء وفي جملتهم وزير النافعة والاشغال العامة الاستاذ عثمان الدنا .

ومن حق هذا الوزير ان يطلع الشعب على اسباب اقصائه والاستغناء عن خدماته . فما ينبغي لهذا الوزير ولغيره من الوزراء ان يكونوا « طراير » او اصفاًراً على الشمال لا يؤبه لهم ولا يقام لهم اي حساب .

اجل من حق الشعب الذي رفع الى سدة النيابة من ينوب عنه ، ان يقاضيه الحساب حتى لو اسقطته الحكومة من حسابها في خضم مناوراتها ومداوراتها . . . فليس النائب - الوزير متاعاً او سلعة حكومية تستعملها حين قضاء حاجتها ثم تطرحه جانبا بعد قضاء الحاجة بلا اسف ولا شكر ولا احترام .

كلنا نعلم ان الفشل الذريع الذي اصاب الحكومة لم تعرف البلاد نظيراً له بين جميع انواع الفشل او « الفشولات » - اذا صح الجمع - الذي منيت به سائر الحكومات الماضية . . . انه فشل عبقرى نادر ، ائتلف وانسجم مع هذه الحكومة حتى بات وكأنه جزء متمم لها ، وباتت وهي قطعة متممة له !

نعلم هذا جيداً ولا نستغرب لهذا ابداً للظروف التي احاطت بولادة هذه الحكومة الثمانية عشر رأساً . . . فليس غريباً ولا عجباً ان يتوجها الفشل ، وليس عجباً ولا غريباً ان يكون هذا الفشل فريداً اوحدياً عبقرياً !

لقد وضع لكل ذي عينين ، بل وضح حتى لمكفوف البصر ، ان الحكومة « السلامية » ، حكومة الفتنة والخنادق والمنازيس ، ما جاءت الى الحكم الا لتنعم بمغانم الحكم . حقيقة نزلت في عقول المواطنين منزلة الايمان واليقين ، وباتت وهي اشبه ما تكون بالبدهييات المسلم بها . . .

فماذا عدا بما بدا كي تنشق الحكومة على نفسها ؟

ولماذا استيقظت اليوم بعد اغفاء عشرة اشهر لتقص من اطراف ثوبها الفضفاض ، الذي

طال تعثرها وتعثر البلاد به ؟ !
 هل هو الزهد والتقصير ؟
 هل هي الرغبة بالتوفير والاقتصاد ؟
 ام هي يقظة الضمير استبدت فجأة بالقلوب المغلفة ؟ !
 ام لا هذا ولا ذاك ، ولكنه الحرص على البقاء ، حتى ولو على حساب بعض الزملاء الوزراء !
 أياً كان السبب ، فالوزراء المفصولون ، او الذين سيفصلون عن جسد الحكومة ، مدعوون
 لبيان اسباب فصلهم . فالفشل العبقري الاوحد الذي منيت به الحكومة ليسوا وحدهم بالمسؤولين
 عنه ، فمسؤوليته تقع على رأس الحكومة مجتمعة ولا متفرقة ، ولا تصيب واحداً بمعزل عن زملائه
 الضالعين المشتركين القاعدين في دست الحكم !
 لنبدأ بوزير الاشغال العامة ، وهو المرشح الاوفر حظاً الذي ترشحه الاشاعة بالخروج من
 الحكم والاستغناء عن اشغاله العامة !
 فهل يتكلم معالي الوزير ؟
 هل ما يزال مصرأ على « كشف الحقائق » في المؤتمر الصحفي الذي ينوي عقده . . . ام انه
 تراجع عن عقد المؤتمر وبالتالي عن « كشف الحقائق » ؟ !
 ما هي الاسباب الحقيقية التي ستبعد وزير الاشغال عن منصبه ؟
 هل هي اسباب خاصة سداها ولحمتها النكايات والشايات والاحقاد . . . ؟
 ام ان المصلحة العليا للبلاد تقضي بخروج هذا الوزير الى جانب من سيخرج معه من
 الوزراء ؟
 ترى هل يتكلم معالي الوزير ؟ !

الى عنادك الحكم

اما وقد استقالت حكومة الفشل العبقري ، او هي في حكم المستقيلة ، فلنمسك اللسان
 ولنوقف القلم عن الطعن فيها وتجريحها ، وعن الخوض في مثالبها ومآتيها . . .
 لئلا نلجأ ، او على الاصح لنرح أنفسنا منها ، لا لان « الضرب في الميت حرام » بل لئلا نثاراً
 من الانتظار والترقب ، لعل وعسى يغير الله حالاً بحال وخيراً بشر ، ونحن على يقين اننا ما
 عرفنا حالاً ولا شراً أسوأ من هذه الحال وهذا الشر !
 ومن حق الحكومة المستقيلة ان تكف عن ذكر معايبها وسيئاتها لا طمعاً برضاها وموالاتها ،

وهي التي لم ترض الله والوطن في جميع اعمالها التي أقدمت عليها جملة وتفصيلاً ، ولكن ، ولنصارحها القول ، وقد عودناها دائماً ان نكون صريحين معها . . . لقد أعيتنا السبل في نقدها وتوجيه اللوم اليها على ما أقرت بحق البلاد والمواطنين ، حتى كدنا لفرط « سماكة » جلدها ، وفرط صممها او تصاممها عن سماع نداء الحق والواجب ، كدنا ان نسأم معارضتها ونفقد اللذة في محاربتها والعمل على الخلاص منها .

لقد تسلحت الحكومة منذ ان تترست بمقاعد الحكم بقوة الجهل الذي دفع بها ورفعها من خنادق الشوارع الى خنادق الحكم ، وعرفت انها الفرصة الوحيدة التي يتاح لها البقاء ، فعضت بالنواجذ والانياب على الكراسي والتصقت بها كما تلتصق الزقة الاميركانية . . . وجعلت اذن من طين واذن من عجبن . وتسلحت كذلك الى جانب جلدها السميك بصدغ نحاسي فأصبحت على رأي المثل : « كلام زي الرصاص في صدغ زي النحاس » !

تقرأ أنباء فضائحها في الصحف ، وتسمع أخبار عيوبها وسيئاتها . على أفواه الناس ، فتضحك ملء شديقتها وكأنها لا تقيم وزناً لرأي الصحافة والناس فيها . لقد كانت تبدو نهمة دائماً عطشى أبداً ، لا تشبع ولو أكلت قمح الدنيا وزوانه ، ولا ترتوي ولو شربت الأنهار والاقيانوسات . . .

انها بدت وهي أشبه ما تكون بثري الحرب ، او بثري الثورة ، الثورة التي انبثقت عنها ، والتي باضت وفرخت ، طبقة كاريكاتورية مضحكة من الاثرياء والوجهاء والزعماء والحكام ! واليوم ، والبلاد تمنى النفس بالخلاص من آثار هذا الكابوس المزعج الذي طال منذ بداية حوادث الفتنة عام ١٩٥٨ حتى ايامنا هذه .

اليوم يتلفت الناس صوب السماء رافعين الاكف ضارعين متوسلين ان يمن عليهم رب السماء بحكومة جديدة . . .

جديدة بروحها ونفسيته وعقليتها .

جديدة باستعدادها للعمل الخير المثمر البناء .

جديدة بعندها عن المتاجرة بالاديان والمشاغبات .

جديدة بأيثار المصلحة العامة .

جديدة ، باحساسها ورقة جلدها . . .

جديدة ، بفسخ الشراكة الرهيبة التي عقدت عام ١٩٥٨ بين فريقين على اقتسام المناصب والمغانم تحت شعارات مزورة دعية كاذبة !
حكومة جديدة ؟

نعم ولم لا ؟
لقد سئمتنا فشل الحكومة الثمانعشرية فلم لا نجرب ، على الأقل من باب التجربة - فشلاً
جديداً آخر ، ونحن على يقين كما قلنا اننا لن نعثّر على فشل عبقرى كفشل الحكومة التي استقالت
على امل ان تعود !
لنجرب فشلاً آخر على أسوأ الافتراضات . . .
ولكن ان نجرب المجرب فليس معنى هذا الا ان عقلنا مخرب !!

المشكلة الكبرى !

حصيلة الاستشارات التي اجريت حتى مساء امس ، اثبتت ان ثمانية وثمانين نائباً من اصل
٩٩ ، طلبوا دخول الوزارة العتيدة ، التي ما زالت جنيئاً يحور ويدور في بطن الاستشارات
والمناورات والتطبيقات . . . لقد أفصح « طرابين الحق » الذين استشيروا ، عن رغبتهم بالركوب
على الكرسي الوزاري أسوة بغيرهم ممن ركب . . . و « ما حدن أحسن من حدن » وغير لائق
بسمعتهم وكرامتهم ان يكونوا هم أبناء الجارية وغيرهم أبناء الست . . . فالنواب سواسية ،
ولا فضل لأحد على آخر طالما أنهم جميعاً تمتعوا بثقة الشعب !
إذا فالعقبات الطارئة التي يواجهها الرئيس المكلف قد ازدادت بالاضافة الى العقبات الاصلية
والخوازيق القائمة . . . ذلك أن الكتلة النيابية الحزبية منها وغير الحزبية تطمع أن تمثل في التشكيلة
القادمة ، وما يرضي فئة قد يغضب أخرى ، وما يسر كتلة قد يغضب الثانية ، وهلم جرا . . .
فكيف السبيل للخروج من هذه المأزق المتعددة بتعدد الخوازيق والرغبات والاهواء ؟
إن العدد ، عدد الوزراء ، لا يعني بنظر الرئيس المكلف إلا شيئاً واحداً هو تأمين الاصوات
الكافية للحصول على الثقة . وصحيح ان تجربة الرقم ١٨ قد نجحت في هذا الصدد اذ استطاع
اعضاء الحكومة بجهد بسيط ان يضمّنوا اكثرية ظاهرة لدى التصويت على طرح الثقة .
هذا صحيح . ولكن تجربة عدد أقل من ١٨ وزيراً تستدعي تفكيراً عميقاً وحساباً دقيقاً من
الرئيس المكلف لكي يضمّن الثقة المطلوبة امام مجلس النواب .
من هنا ان الاستشارات ليست سهلة وبالتالي ليست نتائجها - إذا أدت الى نتائج - مضمونة
مائة بالمائة .

أما التجانس بين أعضاء الحكومة العتيدة ، وأما التوافق وتأمين الجو الهادىء البعيد عن
المماحكات والخناقات لاقرار المشاريع المعطلة والعمل المثمر . . . اما كل هذه الامور فأمرها

يهون ، فالكوارث التي حلت بالبلاد سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وخلقياً ليست بذات بال أمام المشكلة الكبرى التي تواجه الحكومة العتيدة . . . وهي مشكلة تهون امامها كل ما عرفته البلاد من مشاكل وكوارث . . .

ما هو عدد اعضائها ؟

من تؤلف ؟

من يبقى من يذهب ؟

من يدخل من لا يدخل ؟

من يغضب من يرضى ؟

من يوالي من يعارض ؟

حقاً إنها مشكلة فاقت كل المشاكل . . .

كان الله في عون الرئيس المكلف على حل هذه المشكلة لتظفر البلاد بمزيد من الازدهار والرفي والتقدم ويسعد الناس بالعز والرفاهية والامن والسلام !

اشخاص

الاستاذ « شوكت المنلا » رئيس هيئة التفتيش لا أعرفه . لا أعرف له صورة وجه . . . ومع هذا باستطاعتي أن أتخيله ، خاصة بعد فضيحة إقصائه عن وظيفته ، وشكر رئيس الحكومة له والثناء على كفاءته ونزاهته وتجرده و . . . الى آخر الاسطوانة التي شيعه بها الرئيس رشيد كرامي . نعم ، باستطاعتي أن أتبين ملامح هذا الموظف الكبير . . . فهو كما ينحلي الى رقيق البدن ناحل الجسم ، شديد الحساسية ، متوتر الأعصاب ، حنبلي بطبعه ومزاجه ، شديد الوطأة على نفسه وعلى الآخرين ، يضع نظارة — كيلا أقول منظاراً — على عينيه يدقق ويحقق في كل شيء ، لا يراعي ولا يراي ، مستقيم الخلق ، وقور السميت والسمعة قليل الاختلاط بالناس ، لا يحسن « الخوش بوش » مع معظم النواب والوزراء وأصحاب الحاجات والصفقات . . . وبأكثر أصحاب الحاجات والصفقات وطلاب المغانم والوساطات في لبنان !

ترى ، هل هو كذلك ؟

لست أدري تماماً إذا كان شوكت المنلا هذا ، ولكن الذي أدريه انه ينبغي أن يكون هكذا في إستقامته ونزاهته وأمانته وتجرده وفي بعده عن مراعاة الخواطر والخضوع لسياسة « الخاطرشن » المرعية الإجراء في معظم مصالح ومرافق الدولة اللبنانية . . . ولو لم يكن هكذا لما استحق من الدولة

أن يبعد عن وظيفته الحساسة على النحو الذي تم به إبعاده وإقصاؤه عن رئاسة هيئة التفتيش !
وبكلمة أفصح وأوضح :

لو كان شوكت المنلا مطوعاً سهل الانقياد ، يحسن مسح الجوخ والتعلق للسادة الاجباد
من وزراء ووجهاء ونواب . فيسهل لهم « المعاملات » ويغض الطرف عن « المخالفات » ويقضي
الحاجات . . .

أقول لو كان هذا الموظف يتحلّى بهذه « الصفات » لما أقصي عن وظيفته ، بهذا الشكل الذي
يثير الشبهات ، ويدفع الناس الى المزيد من التساؤلات !
وأذن فلماذا أبعد شوكت المنلا عن رئاسة هيئة التفتيش طالما أن رئيس الحكومة قد أعلن على
صفحات الجرائد بأنه نزيه وكفء ومتجرد ؟
أليس معنى ذلك بداهة أن هذه الصفات التي يتحلّى بها هذا الموظف هي سبب إقصائه عن
وظيفته ؟

وهل ينبغي للبناني حتى العادي أن يكون ذكياً فهاولياً كيما يدرك هذه البديهيّات ؟

هل أساء المنلا إلى وظيفته ؟

هل تآمر على قوانين الدولة ونظمها ؟

هل مد يده ليقبض رشوة ؟

هل أعان نائباً أو وزيراً أو وجيهاً أو متنفذاً على خرق حرمة القانون ؟

هل أغضى الطرف عن فضيحة ما أو مخالفة ما ؟

إذا كان الامر كذلك فلتفضل الحكومة ولتذكر للرأي العام الاسباب او لتدعُ الاستاذ
شوكت المنلا في مقابلة تليغزيونية تطرح فيها الأسئلة على هذا الموظف لتتلقى ويتلقى معها الشعب
البناني الإجابة والايضاح عن الاسباب والمسببات في إبعاده عن وظيفته .

* * *

نحن نعلم جيداً أن رأسمال رشيد كرامي ليس ذكاهه الخارق ولا عبقريته الفذة ولا براعته
في أفانين السياسة والأعيان . . . ولكن رأسماله نزاهته ونظافة يده وسمعته ، ولو تم إقصاء رئيس
هيئة تفتيش الدولة في عهد رئيس حكومة غير رشيد كرامي لما أعرنا هذا الأمر كثير التفات
واهتمام .

ولكن أخشى ما نخشاه على رشيد كرامي وعلى رأسمال رشيد كرامي أن يخرج من الحكم
وهو صفر اليدين حتى من هذا الرأسمال الذي يعتز به ويفخر .
ولا شيء أدعى لاعتزاز رشيد كرامي كأعتزازه بنزاهته ونظافة يده وسمعته !

الاختصاص والمختصون

ما من زمن كثر فيه الحديث عن الاختصاص والاختصاصيين ، كهذا الزمن .
وما من أزمت حفلت بمحدث الاختصاص والاختصاصيين ، كالأزمات الوزارية التي
عرفنا في الحقبة الأخيرة من تاريخ لبنان .

فلان إختصاصي ، ادخلوه الوزارة !
فلان غير إختصاصي ، أبعده عن الوزارة !
والحقيقة انني لم أعد أفهم معنى كلمة إختصاص هذه إلى حد ما ، ولم يعد يروق لي
هذا الكلام الذي يبدو أنه ما زال يروق لبعض الناس . . .

أصبحت أسأل نفسي :
ما لهم يتحدثون ويكثرون عن الاختصاص والاختصاصيين ؟
ألا يعرفون أن الإختصاص ولله الحمد موفور وعام وشامل ؟
أوليس الذين ولوا الحكم كلهم من ذوي الإختصاص ؟
وهل من يتهم ساستنا بنقص في إختصاصهم ؟
أليس بينهم الاختصاصي الذي لا يضاهاى ولا يجارى في إختصاصه في تحويل الدولة إلى
مزرعة ؟

أليس بينهم الاختصاصي الذي لا يرقى إلى إختصاصه شك في جمع المال وتكديس الثروات
وقنص الصفقات ؟
أليس بينهم الاختصاصي الذي لا يعلو على إختصاصه اختصاص في فن تحكيم الاتباع
وتسليط الأذنان والاعواد ، وتحريض السفلة والجهلة . . . ؟
أليس بينهم الاختصاصي بنصرة القاتل على القتل ، وصاحب البيت على اللص ، والباغي
الظالم على المظلوم المحروم . . . ؟
أليس بينهم الاختصاصي العالي الكعب والخبثات في الخطب الفارغة والتصريحات غير
المسؤولة ، والبيانات المنقوشة ؟

ليس بينهم الاختصاصي بالتعصب الطائفي و « التجليط » الشارعي ؟
أليس بينهم الإختصاصي باثارة البغضاء والشحناء وتذكية الأحقاد والعنينات ؟
أليس بينهم الإختصاصي بالتفاهة والسطحية والفراغ ؟
أليس بينهم الاختصاصي بالرعاة والصنافة والغلظة في الطلة وفي السرية ؟
أليس بينهم الاختصاصي باساءة العلاقات الخارجية والعربية والمحلية ؟

أليس بينهم الاختصاصي بكل ما هو عكس القانون ، وبكل ما هو ضد العرف والنظام ؟
دلوئي على من هم أكثر إختصاصاً من هؤلاء لاوافقكم على إننا بحاجة إلى إختصاصيين
وذوي إختصاص !

أما هؤلاء كما أعرفهم وكما يعرفهم كل مواطن ، وكما يعرفهم رئيس الدولة ذاته ، فلنكف
عن حديث النقص في الإختصاص .

العلة ، المرض ، الداء ، المصيبة ، الكارثة ، النكبة ، انما تكمن كلها في قوة إختصاص
هؤلاء لا في ضعفه ، في غزارة لا في شححه ، في كماله وشموله لا في نقصه وجزئيته !
لا نريد إختصاصيين . يكفينا في الوقت الحاضر ، وحتى يفرجها الرحمن الرحيم ، يكفينا
أن تأتونا يا من تملكون الحل والربط ، بأصحاب إختصاص نصفي أو جزئي أو ناقص في هذه
الأمور ، ونحن راضون شاكرون !

كل ما نطمح اليه أن لا تسلموا البلد للاقطاب الأرهاط في هذه الاختصاصات كلها !
لا نطلب منكم أن تأتوا بغير ذوي الإختصاص أو بغير ذوي الخبرة ، بل نطلب منكم أن
لا تختاروا في هذه الاختصاصات التي بلونا منها ما بلونا ، الكاملين الذين لا كمال بعد كمالهم ،
والمتمكنين الذين لا تمكن بعد تمكنهم . . .

نريد ضعفاء في هذا الإختصاص الذي نكب البلاد وأوقفها على شفير الهاوية ، ولكم جزيل
الفضل والأجر والثواب !

غياب المعارضة

من حق « النهار » على صائب سلام أن تطالبه بعرفان الجميل والشكر الجزيل على ما أسدته
اليه من جليل المنفعة وعظيم الأثر ، بانتهاء الأزمة الكبرى التي تعرض لها ، طيلة محاولاته لتأليف
الحكومة ، تلك المحاولات التي منيت بما هو أشد وأقسى وأمر من الخيبة والفشل والخذلان . . .
وجاءت « النهار » على أهون سبيل تحل له الأزمة الناشبة التي بلغ من حدتها أن أقرب
المقربين إلى صائب سلام من الموالين وغير الموالين ، فقدوا كل أمل بإمكانية تشكيل الوزارة
على وفرة المستوزرين الطامحين الطامعين . . . ولقد بلغ من حدة الأزمة وتهافت الرئيس المكلف
على تشكيل الحكومة بأي ثمن ، أن أشد الناس معارضة لصائب سلام ورهطه أدرسته الشفقة على
المصير البائس المحزن الذي وضع من ثنايا الاستشارات وما رافقها من مهازل واضاحيك ليس
فيها شيء مما تثيره الأضحاحيك من الفكاهة والتسلية !

وأقولها صراحة :

لقد أحسست ، ساعة انفض الحلفاء من حول صائب سلام ، بشيء هو أعمق من الشفقة على المصير الذي أنهى اليه ساعة تخلى عنه حلفاؤه وأعلنوا أنهم لن يتعاونوا معه .
لم أقل :

اللهم لا شماتة ولم أقل : « يستاهل » وهي العبارات التي تقال في مثل هذه الأحوال . ولكنني رثيت لصائب سلام الرجل كما رثيت للحالة المزرية التي تردت فيها أوضاع البلاد السياسية .
لم أفاجأ إطلاقاً عندما أنفض حلفاء صائب سلام من حوله .

لم أفاجأ أبداً وأنا أسمع وأقرأ التغيير المفاجيء السريع الذي طرأ على « لهجات » الاصدقاء « الانتميم » الضاربين بسيف سلام المسبحين بحمده آناء الليل وأطراف النهار . . .

ولم أفاجأ أيضاً عندما عاد الحلفاء إلى حليفهم ، والاصدقاء إلى صديقهم . . . « وحدة الصفوف » و « مصلحة البلاد » و « كرامة لبنان » و « الوحدة الوطنية » وغيرها مما نعرف من الكليشيات التي أصبحت لا تثير في المواطنين أكثر ما تثيره النكت البائخة من الغثيان . . . وهي ذريعتهم واسطواناتهم التي يديرونها كلما أحسوا بدنو آجالهم . !

ولقد دنت الساعة بالفعل وأوشكت عقاربها أن تتلاقى وتطلع الناس يتلمسون من يملأ الفراغ بعد ذهاب الحاضرين . . . فاذا بالفراغ يملأ المقاعد الشاغرة الفارغة إلى حين !

تطلع المواطنون ، أول ما تطلعوا صوب المعارضة ورجال المعارضة فلم يجدوا أحداً في الساحة . لم يجدوا حتى تشكيلة أو شبه تشكيلة من التشكيلات التي تكاثرت ساعة الأزمة . . .

غابت المعارضة فكان لا بد أن يجيء صائب سلام وحلفاء صائب سلام ليملأوا الفراغ بأية تشكيلة كانت . . . و « الحلي أفضل من الميت » كما يقول الناس !

لقد أسهمت المعارضة إلى حد بعيد بانقاذ الحكومة الجديدة وبتأليفها . . . وذلك في غيابها العجيب الذي يوازي في عجبه نتيجة الولادة القيصرية التي تمخضت منها الاستشارات الأخيرة فولدت حكومة الثمانية وزراء : تشكيلة فيها القديم - الجديد والجديد - القديم ! !

ولكن اذا استحققت المعارضة شكر رئيس الحكومة فمن حق « النهار » على صائب سلام أن تطالبه بشكر مضاعف . . . فلولا « النهار » ما طلعت شمس الحكومة !
ماذا فعلت « النهار » ؟

لقد أعلنت « انهيار حلف سلام - الحميل » وقالت انه « يمهّد لاجراج أهل الثورتين » !
 وكان مساء فما طلع الصباح الا وتنادى أهل الثورتين لجمع الشمل ورأب الصدع . . .
 يا لثارات الثورتين يا لكرامة المتراسين ؟!
 وتعانق صائب سلام وبيار الحميل وتبادلا القبلات . . . وتألقت الحكومة !!

حكومة الطرح

اليوم ينعقد مجلس ٩٩١ ليستمع الى بيان حكومة الـ ١٨ وزيراً التي أختصرت وأصبح عددها
 ثمانية . . .

وسوف تفتتح الجلسة في غير الموعد المحدد بل سيتأخر التمام الشمل أكثر من العادة المألوفة ،
 ولا عجب فالجلسة المخصصة للبيان الوزاري وطرح الثقة على أساسه - كما يقولون - تستدعي
 مزيداً من الحذر والمراقبة وتتبع تحركات النواب الموالين والمعارضين ، وأنصاف الموالين والمعارضين
 على السواء .

وعندما يكتمل العقد الفريد النضيد ، عقد الحكومة ، ويستوي الثمانية وزراء على ارائهم ،
 يحيطون برئيسهم إحاطة الهائلة بالقمر تحف بهم الأنظار من فوق ومن تحت ، ثم تتوالى ضربات
 مطرقة الرئاسة معلنة أن الكلمة لرئيس الحكومة . فيقف على الأثر ليعتلي المنبر ، باناقته المشهودة
 وقرنفلاته المعهودة ، وطلعته المضئية ، ووقفته الجريئة . فينشر أمامه البيان الوزاري المطبوع الواحد
 بعد المائة أو الألف - لا أدري - من البيانات - الكليشيهات المعهودة التي تلقى في مثل هذه
 المناسبات ، والتي حفظها الشعب اللبناني عن ظهر قلب لفرط تردادها وتعاقب اصحابها على
 منبر المجلس لتلاوتها وترديدها في كل حفلة افتتاح حكومية تطرح الثقة فيها !

هكذا تقضي اللعبة البرلمانية إلى جانب ما تقضيه من ألعاب أخرى بتنا نعرفها جميعا !
 أما ما عسى رئيس الحكومة أن يقول ؟ وما عسى البيان الوزاري أن يتضمن ويحتوي من
 وعود وعهود ؟ وما عساه يميّ اللبنانيين ؟ وعلى أي أساس يطلب ثقتهم ؟ فهنا السؤال ، بل هنا
 أحجية الأحاجي التي أستعصت على العقول وقصر عنها كل خيال !

ترى هل يتضمن البيان الوزاري احصاء دقيقاً أميناً لكل المشاكل العالقة والقضايا المعقدة
 والأزمات الحادة التي تخبطت فيها البلاد وما زالت تتخبط منذ أن در قرن الحكومة الشمانعشرية التي

تحولت الى حكومة من ثمانية بعد أن اختصرت واجتزئت وأصبحت مقصودة مخوفة . . . على نحو ما وصفنا في العدد الماضي ١٩

* * *

البيان الوزاري الذي سيلقى مساء اليوم سيكون طرفة الطرف وآية الآيات إذا جاء - وهو سيحيى حتماً - على صورة حكومة الجمع والطرح . . .

* * *

سيستحل الأعداء لتقصير حكومة الجمع - هذا إذا اعترف البيان بالتقصير - سيمحي اللبنانيين بالمن والسلوى وأطايب الوعود : بانتظار ما ستفعله حكومة الطرح . . . وما ستفعله حكومة الطرح ليس بالقليل !
أمام رئيس الحكومة فرصة طيبة لكلمة يقولها في جلسة اليوم .
يقف صائب سلام على قدميه ، ويقول بالجرأة المعهودة فيه :
« لقد أخطأنا سواء السبيل في الحكم ، ولم نستطع أن نحل أزمة واحدة من الأزمات الطارئة والتليدة . بل ازدادت الأزمات حدة ، وازدادت القضايا تعقيداً على تعقيد » .
وفي الخالين ، سواء نالت الحكومة الثقة أم لم تنلها ، سيسجل اللبنانيون لصائب سلام موقفاً جريئاً لم يسبقه اليه رئيس حكومة من قبل .
سيقول اللبنانيون :

أنه أول رئيس حكومة يصارح مواطنيه وبواجههم بالحق حتى ولو كان طعم الحق مرّاً ! !

أبدأ مش صحيح !

قلت للنائب ناظم القادري حين التقيته في باب البرلمان ، وقبل التصويت على الثقة بنصف ساعة :

« هل تعلم ماذا يقول عنك بعض المعارضين ؟ »

ورد القادري : ماذا يقولون ؟

فأجبت : يقولون انك لن تتقيد بوعده الذي وعدته وإمضائك الذي وقعته . . . فهل صحيح انك لن تحجب الثقة ؟

وصاح القادري بصوت جازم حاسم :

أبدأ مش صحيح !
قلت : والصحيح ؟
وعاد الصوت الجازم يؤكد :
لا ثقة ... على سن الرمح !
وطرحت الثقة فنالت الحكومة ٤٦ صوتاً بمن فيها صوت رئيس الحكومة وصوت رئيس
المجلس النيابي ... ونالت المعارضة ٤٤ صوتاً ...
وسألت أول من سألت ريمون اده وهو يغادر المجلس « الى جانب من صوت ناظم القادري ؟ »
وأجاب عميد المعارضة :
« لقد هرب القادري وصوت صبري إلى جانب الحكومة فنالت الأكثرية بهروب الاول
وتصويت الثاني » !
وضحكت ... فقد كان الحديث يدور حول ناظم القادري بعد منتصف ليلة أول أمس .
وكان ريمون اده وجان عزيز ورينيه معوض يتولون إحصاء النواب المعارضين والموالين .
وراح ريمون اده يؤكد بأن القادري سيحجب الثقة وانه وقع مع نواب البقاع في منزله على
التعهد بأنه سيحجب الثقة .
وقلت :
أنا لا أستطيع أن أصدق بأن القادري سيقف في المجلس ويقول : « لا ثقة » !
وقال ريمون اده :
وماذا تريد أن أصنع ؟ لقد وقع بأعضائه ولا أستطيع أن أربط النواب بالسلاسل ليتقيدوا
بوعودهم ويشرفوا امضاءاتهم !
ذكرت هذا الكلام بعد أن عرفت نتيجة التصويت على درج المجلس النيابي ... ورحت
أنفحص الوجوه وجوه أعضاء الحكومة التي فازت بصوت رئيس المجلس النيابي وهروب النائب
القادري ...
كانت الألوان الصفراء والخضراء والحمراء تبرز ويتداخل بعضها ببعض لتألق على صفحة
كل وجه من الوجوه التي نالت هذه الثقة ... فقد أرسمت معانيها وتجلت بوضوح ما بعده
وضوح ، على وجوه أهل الثقة المسحوقة ...
وحاولت أن أتبين فيليب تقلا ذا الوجه الحيبي الحجلول ، من خلال الوجوه التي برزت في
أشكالها وألوانها المتعددة المتداخلة ، فلم أعثر على وجه وزير الخارجية ...
لقد أختفى ... لعل حيائه كان سبب اختفائه !

وهربت بدوري من عرس الثقة الذي تحول إلى مأتم . . . هربت لكي لا أسمع حشرجة
 التهاني يصعدها ازلام الحكومة « بلدنا نحكم بصوت واحد »
 « بلدنا نفيد اللي معنا ونضر اللي ضدنا »
 « بلدنا . . . نعمل مثل ما بنريد . . . »
 هربت خوفاً من الاصفرار الذي علا وجوه « أهل الثقة » والشحوب الذي ارتسم في كل
 سمة من سماتهم . . .
 هربت خجلاً من الخجل الذي دعا فيليب تقلاً كي يتوارى عن الأنظار لكيلا يرى
 الانتصار المجلل بأكليل . . . الغار . ويا له من انتصار ويا له من إكليل غار ١٩
 تهايننا للحكومة والف مبروك بهذه الثقة التي نالها وهي أهل لها . . .
 بقيت بطاقات الدعوة التي ستوزع غداً لتقبل التهاني ، وأغلب الظن إنها ستكون على الوجه
 التالي :

في اليوم الاول تقبل التهاني في منزل ناظم القادري
 وفي اليوم الثاني في منزل صبري حماده
 وفي اليوم الثالث في بيت الكتائب . . .
 وكل ثقة والحكومة بخير ١١

أشخاص

أكثر ما يثير الضحك ويبعث على التسلية والفكاهة ، ولا أقول السخرية والشماتة ، منظر
 بعض السياسيين عندما ينبرون أمام المواطنين وهم يقتلون عضلاتهم ، سواء في ساحة البرلمان ،
 أم في مجلس الوزراء ، أم على صفحات الجرائد ، كما تنفتل المانيكان في ساحة العرض أو المصارع
 في حلبة المصارعة . . .

فقد أعلنت امس إحدى الصحف الصباحية بأن الرئيس السابق كان قد التزم موقف الميراث
 أمام الحكومة الكرامية ، فلم يبد معارضة صريحة لها . ولكن فتح دفاتر حكومته السابقة والحملات
 التي بدأت توجه إليها وإلى أعمالها ، خاصة بعد إثارة فضيحة توزيع ٤٠٠ الف ليرة على الصحفيين
 الازلام في مجلس الوزراء ، وهي إحدى الفضائح البسيطة والتي لا تعتبر شيئاً مذكوراً أمام غيرها
 من الفضائح الضخمة — كل هذا أو بعض هذا دفع رئيس الحكومة السابق لأن ينتقل الى العلنية
 في معارضته لحكومة خلفه الاستاذ رشيد كرامي .

ولقد عرض في مجلس الوزراء وزير الانباء الاستاذ فيليب بولس على زملائه الوزراء ،
لوائح تتضمن اسماء الذين وزعت عليهم في عهد الحكومة السلامية مبلغ الـ ٤٠٠ الف ليرة .
وفوجيء الوزراء بأن عدداً من الذين وزعت عليهم هذه المبالغ كانوا يقبضون من الدولة رواتب
شهرية ، وان بعضهم لا يحمل اسماً كاملاً . . .

وقد طالب وزير الداخلية الاستاذ كمال جنبلاط بفتح تحقيق في هذه الفضيحة .
وهذه كما قلنا إحدى الفضائح الصغيرة التي تعتبر ، عفيفة خفيفة لطيفة ، إذا ما قيسست
بغيرها والعياذ بالله العظيم . . .

ومن حق الوزير جنبلاط الذي طالب بفتح تحقيق في هذه الفضيحة ، من حقه علينا ان
نعترف له بفضيلة النزاهة التي سبق أن ذكرناها له في بدء حملاتنا ونقدنا المستمر لتصرفاته ومنهجه
في العمل السياسي .

بقي على الوزير كمال جنبلاط أن يثبت - ولو في مجال هذه الفضيحة الصغيرة - صحة
الاتهام ، ولا سيما وأنه قد سبق له الفضل ، وقذف بسبل من الاتهامات الخطيرة الكبيرة التي
يكفي واحدة منها لأن تقلب حكومة بأسرها وأن ترسل إلى السجن اشخاصاً كثيرين مسؤولين
وغير مسؤولين !

فهل يقرن الوزير القول بالعمل ، أم يظل الاتهام اتهاماً وتسلية يتندر بها الناس في مجالسهم ؟
تري هل يفعل الوزير جنبلاط شيئاً آخر غير إرسال التهم ، وغير « فتح التحقيق » الباب
الذي عرفنا اسراره وخفائاه والذي تنبخر منه الفضائح وكأنها لم تكن . . . بل وتتحول في بعض
الاحيان الى مكرمات ومجالات مباهاة وافتخار بدل أن تكون مسبة ذل وعار ؟!

العمل والانتاج !

« . . . حكومة سببت بعدم كفاءتها ولا مبالاتها واستهتارها وتسويقها المشاكل التي تتخبط
بها البلاد .

« لم تتمكن الحكومة من ايجاد اي حل سليم لهذه المشاكل .

« البيان الوزاري الذي أدلى به رئيس الحكومة كان أهزل وأفرغ البيانات التي سمعها مجلس
نيابي في لبنان .

« الرئيس سلام سيضطر عما قريب إلى إعادة النظر في الوضع الوزاري .

« الحكومة الحديدية ضعيفة للغاية وضعفها جعلها تنهرب من إجراء الانتخابات البلدية

أو الإختيارية لأنها حكومة عاجزة . . .

« هذه الحكومة ليست جديرة بإجراء الانتخابات البلدية والاختيارية وما عليها إلا أن تؤجل هذه الانتخابات حتى تذهب ، وهذا هو الحل الوحيد لها لأنها عاجزة عن القيام بأي عمل جدي . »
« حكومة الانسجام فيها . . . وزير المال يرفض ، ووزير التربية يتمتع ، ورئيس الحكومة يوافق . . . هذه تمثيلية معناها أنهم جميعاً لا يرغبون بإجراء الانتخابات البلدية ، ولو أرادوا لرصدوا الاعتمادات اللازمة .

« رئيس الحكومة وبعض الوزراء غير واثقين من فوز لوائحهم في بيروت والمناطق ولذلك عمدوا إلى تأجيل الانتخابات البلدية !

هذه باقة غير مختارة لاقوال بعض النواب في الحكومة السلامة الثانية الثمانية والمرشحة لأن تصبح اربعتشرنية !

فلقد دشنت عهدها الزاهر الميمون الغدوات المبارك الروححات ، بتأجيل انتخاب البلديات ، فأثبت بحق وحقيق أنها حكومة عمل وانتاج !

ولا أدري لماذا يعتب النواب ويغضبون من حكومتهم لاتباعها قاعدة التأجيل والتسويق في كل قضية تطرح وكل مشكلة تظهر وكل أزمة تنشأ . . .

انها لم يمض على وجودها أكثر من عشرة أشهر . فعلام العجلة ولم لا تتأني ؟ ففي العجلة الندامة وفي التأني السلامة !

صحيح إنها بقيت في كراسي الحكم ما يقارب العام . وصحيح ان المشاكل والازمات والقضايا العالقة المعقدة بقيت بلا حلول . وانها استطاعت طيلة تمرسها بالحكم ان تخلق من المشكلة مشكلتين ومن الازمة ازميتين ومن الحكومة حكومتين . . .

انها لو ارادت ان تكون منسجمة مع شعارها الذي رفعت في أوائل عهدها الميمون الزاهر شعار « لبنان واحد لا لبناان » لا كتفت بعدم تشعب الازمات ومضاعفة المشكلات !

ثم لم هذه السرعة بمطالبتها حالاً بإجراء الإنتخابات البلدية وهي . . . « ما صار لها بالقصر الا من مبارح العصر ! » انها لم تفرغ بعد من التلمظ بكأس النصر التي شربتها ولا من قرص الحلوى الذي أكلته . . . بل ان الفرحة لم تصل بعد إلى القرعة . . .

أوليس من اللائق الانتظار بعض الوقت ريثما تنتشي الحكومة مع محاسبيها وأنصارها بكأس النصر المترعة التي شربتها هنيئاً مريئاً ؟ !

أوليس من واجب المعارضة — مجاملة على الأقل ، أن تترث ولو عشرة أشهر أخرى ريشما تفرغ حكومة «البنان الواحد لا اللبنانيان» من مشاكلها وإزماتها المتعددة السابقة ثم تعكف حكومة « العمل والانتاج » للانكباب على العمل والانتاج ولتنتج مزيداً من العمل والانتاج ؟ . . . حقاً . . . لقد زادت المعارضة !!

آن له أن يرى !

من أنباء الصحف أن رئيس الحكومة أدلى بتصريح قال فيه أن اجتماعه بسفير الجمهورية العربية المتحدة في لبنان السيد اللواء عبد الحميد غالب يوم الثلاثاء الماضي ، لا علاقة له البتة بأزمة اضراب المحامين وقال رئيس الحكومة : « ان هذه القضية حسب اعتقاده واعتقاد كل لبناني مختص لهذا البلد ، هي قضية لبنانية داخلية تعالج في الوقت الحاضر على صعيد لبناني كما هو معروف .

واني أعتقد أن اللجنة الوزارية المكلفة باجراء اتصالاتها لحل هذه القضية ، سوف تنهي هذه الاتصالات في القريب العاجل بإيجاد الحل المنشود الذي يرضي جميع الفرقاء » .

* * *

هذا ما أدلى به حضرةئيس الحكومة أمس بصدد قضية معهد الحقوق العربي واضراب المحامين الذي ما يزال مستمراً .

واعترف ، كقاريء عادي ، انني لم أفهم من كلام حضرة رئيس الحكومة سوى شيئاً واحداً هو محاولة التنصل والتبرؤ من تهمة إثارة هذا الموضوع مع سفير الجمهورية العربية المتحدة ، والتلطي وراء عبارات « قضية لبنانية داخلية » و « ان اللجنة الوزارية سوف تجري اتصالاتها . . . » و « انها سوف تنهي هذه الاتصالات في القريب العاجل . . . » و « انها سوف تصل إلى إيجاد الحل المنشود الذي يرضي جمع الفرقاء . . . » إلى آخره إلى آخره !

لا أدري ما الذي يخيف رئيس الحكومة من معرفة الناس بأنه اجتمع إلى السيد السفير اللواء وبحث معه قضية معهد الحقوق العربي ؟ أو حتى بحث معه مسألة أخرى كسفره إلى القاهرة مثلاً ليقفأ حصرة في عيون الحساد كما فعل عند سفره الى دمشق . . .

واذا لم يتحدث صائب سلام الى عبد الحميد غالب في قضية كقضية معهد الحقوق ، وهما من هما في صداقتهما ووفائهما وودادهما و « انتيميتهما » فالى أي سفير آخر عساه يتحدث ؟ بل ما عسى صائب بك يتحدث الى عبد الحميد بيه . . . ؟

وصحيح انهما لن يعدما حديثاً آخر يدردشان به في جلسة أنس وصفاء خارج السراي . ولكن أن « ينتع » السفير نفسه ويكلف خاطره في هذا الحر اللاهب ليذهب الى السراي ويمكث ساعتين في خلوة طويلة مع رئيس الحكومة وأمام الاعين الفضولية ، أعين الصحفيين . . . ثم يريدون أن نصدق بأن زيارة السفير لا علاقة لها بأزمة المحامين . . . ؟

فهذا ما يصعب على عقول المواطنين ولا أقول الصحفيين أن يصدقوه ! ولماذا لا يبحث رئيس الحكومة اللبنانية مع سفير الجمهورية العربية قضية سببت اضراب المحامين وعطلت العدالة في البلد ؟

هل تراهم يخشون أن يحلوا أزمة واحدة من الأزمات ؟ هل تراهم يريدون أن يحلوا الأزمات في ضربة واحدة ؟ ما الذي يخيف صائب سلام من اجتماعه بصفيه وصديقه وبؤبؤ عينه السيد السفير اللواء . . . ؟

هل تراه يخشى من عتاب أو حساب زميله وشريكه في الحكم الشيخ بيار الجميل ؟ ولكن السيد السفير اللواء كان والشيخ بيار على أشهى وأصفى ما يكون الاصدقاء . وهل نسي صائب بك أن سفير الجمهورية العربية قد استحضر أوسمة رفيعة الشأن ونخص بها الحكومة الكرامة الرابعة في لبنان ؟ !

* * *

ترى لماذا ساءت العلاقات الآن بين الجمهورية العربية وبين لبنان ؟ ولماذا يعجز السيد السفير اللواء عن نصرة أعز الاصدقاء . . . ؟ أوليس هو السياسي اللبق الأنيق ، ذو الخبرة والفهم العميق ، والحكمة والرأي الوثيق ؟ أم أن الحرق قد اتسع على الراتق ؟ أم أنهم حسبوا أن العين التي كانت غافلة هناك لا ترى ما جرى ويجري هنا ، ستظل غافلة دائماً وإبدأ ؟ ! لقد آن له أن يرى . . . ويرى جيداً ! !

يدير الظهر للصحافة

هي نهاية محزنة حقاً وان لم تكن غير متوقعة . . .
نهاية محزنة أن يتنكر الاستاذ عبدالله المشنوق الكاتب الاديب الصحفي ، لمهنة الصحافة
فيدير لما ظهره بعد أن وصل على ظهرها إلى النيابة فالوزارة . فقد صرح علناً وأمام الصحفيين
بأنه يمثل الحكومة في هذه الوزارة ولا يمثل الصحافة .

ومن حق الوزير المشنوق أن يدافع عن الحكومة ما دام يتربع في صفرها ، كما أن من حقه
أيضاً أن يتقلب عليها عندما يصبح بعيداً عنها ، والتاريخ القريب والبعيد يثبت للوزير هذا الحق
الذي أتاح له أن يدبر الظهر للصحافة ويتبرأ منها .

ولو أن الاستاذ المربي والاديب الصحفي قد أكتفى بقوله هذا لمان الامر ، ولقال الناس
انها النهاية المحتومة التي يصير اليها أكثر طلاب المناصب والكراسي .

ولكن أن يتفضل وزير الانباء ويفلسف لنا نظريته من أن بالامكان الاستغناء عن حرية
الصحافة في سبيل الوحدة الوطنية فهنا ينحشر رأس البغل في الإبريق ويوشك أدبنا أن يتميز غيظاً
وحقناً . . .

ليسمح لنا الوزير المشنوق - ولا تقول الأديب المشنوق - ان لا نوافق على هذا الرأي
ليسمح لنا ان نقول له لا !

لا يا سيدي لا يمكننا ان نستغني عن حرية الصحافة الا اذا اردنا ان نستغني عن الوحدة
الوطنية الحقيقية .

نحن نعلم جيداً ما هي الوحدة الوطنية كيف ومتى تكون ، وكيف ومتى لا تكون !
نعلم جيداً ان هذه العبارة - الكليشية تحمل في جوفها كل معنى الا معنى الوحدة الوطنية
الصحيحة المبرأة من كل عيب . انها تبطن غير ما تعلن وتخفي غير ما تظهر .

الوحدة الوطنية ليست بحاجة إلى مزيد من المزايد المدافعين عنها ، بقدر ما تحتاج إلى
الاقلال من المتاجرين بها الغارقين في نعمائها وافضلها !

« الوحدة الوطنية » !

هذه الياقطة الخام أو الجنفيس التي ما تزال ترفعها بعض الأيدي تهللت وباخت ألوانها
واصبحت خرقه ممزقة بالية لا تثير في نفوس المواطنين حتى شعور العطف الذي تثيرها في
نفوسهم الناديل التي ينشرها المتسولون على أبواب الجوامع والكنائس !

لم يعد أحد من المواطنين يستسيغ طعم هذه الاكلة العفنة ، ولا يطرب لهذه الاسطوانة
المشروخة ، ولا يأنس الى من يروج لها او يدعو اليها !

لقد باتت « الوحدة الوطنية » طعاماً على صنارة يصطاد بها كل صائد في كل ماء . . .
أصبحت « الوحدة الوطنية » بفضل متعهدتها سطلا كبيراً يعب منه من يشاء ويبقى السطل
فارغاً ولا ماء !

تريدون مزيداً من تردادها ؟ . .

ليكن ما تريدون .

أما الحرية التي تدعون الى الاقلال منها او الاستغناء عنها فلدونها خراط القتاد ، وليس
بإستطاعة احد ان يحسها بسوء او ينال منها قلامه ظفر !
للوزير المشنوق أن يتنكر للصحافة .

له أن يدير ظهره للصحفيين وأن يدير بالتالي اسطوانة « الوحدة الوطنية » متى شاء . ولكن أن
يدعو الى الاستغناء عن الحرية الصحفية في لبنان فهذا ما لا يقبل به احد حتى لو كان قائله وزيراً
يربع على وزارتين !

الشراب السري !

في التصريح الرسمي الصادر أمس عن مقام وزير الداخلية كمال بك جنبلاط ، رداً على
زميله السابق في الحكم ، الأستاذ عبدالله المشنوق ، الذي اتهمه في جريدته بالانحراف لاشتراكه
باستقبال الوفد السوري ، وتناول الغداء ، وشرب عصير رب البندورة ، وعدم التلبس بوجه
البرابرة . . . الى آخر ما ورد في تصريح الوزير المشنوق في غير هذا المكان ، رداً على اتهامات
المشنوق .

في نهاية هذا التصريح العلمي يقول كمال بك :

« وأنا على كل حال اكتفينا بشرب رب البندورة ، لاسباب صحية ، عوض ذلك الشراب
الذي يستسيغه ويتذوقه ويطرب له زميلنا السابق في الحكم ، والحالي في مجال الصحافة ، والذي لا
يجوز أن نبوح بسرّه ، صوتاً لبعض العلاقات الطيبة » .

* * *

ونحن الذين نعرف صراحة كمال جنبلاط ، ومدى حرصه على تسمية الأشياء بأسمائها ،
ووضع النقاط على الحروف ، استغربنا لجوءه للغموض والتستر واعتماد السرية ، في عدم ذكره
اسم ونوع الشراب السري الذي تعود أن يشربه المشنوق وزميله السابق في الحكم ، والذي كان
يستسيغه ويتذوقه ويطرب ويستشي له . . . على حد قول ووصف الوزير جنبلاط !

ما هو هذا الشراب ؟
 ولماذا يستحي شخص مثل كمال جنبلاط أن يذكره ؟
 بل لماذا لا يجوز أن يبوح الوزير بسره ؟
 وهل هو سر ؟
 وما عسى يكون هذا السر . . . ولماذا يكون سرّاً ؟
 إن الوزير جنبلاط يؤكد بأنه لا يريد أن يبوح باسم الشراب « صوناً لبعض العلاقات الطيبة »
 أية علاقات يعني الوزير ؟
 بين من ومن ؟
 بينه وبين المشنوق ؟
 أم بين المشنوق وصاحب العلاقة ؟
 ولكن من هو صاحب العلاقة ؟ وما علاقة اسم الشراب السري بأسماء او اسم صاحب او
 أصحاب العلاقة ؟
 قد يكون الوزير جنبلاط على حق في حرصه على « صون العلاقة » بين شخصين وعلى وجوب
 التزام السرية في هذا الأمر الذي نهله ويجهله معنا القراء ، فالوزير جنبلاط يحب السرية في
 بعض الأمور ويؤثر كتمانها . . .
 ولكن من حقنا على الوزير ، ومن حق القراء عليه ، أن نسأله عن حقيقة ذاك الشراب السري
 الذي اتهم المشنوق بأنه كان يتذوقه ويستسيغه ويطرب له . . . إلى آخره !
 هل هو شراب الليمون ام شراب الزنجبيل أم شراب التفاح أم شراب الخزر ؟
 ولكن أين هو العيب في هذه الانواع من الشرابات التي تلذ وتبهج وتطرب وتسر الخاطر
 والبدن ؟
 وأين هو سبب السرية في عدم ذكره ؟
 هل تراه يكون من المشروبات الروحية التي حرمها الله ورسوله . . . ؟
 عرق ، ويسكي ، شمبانيا ، روم ، فرموت ، والعياذ بالله العظيم ؟
 استغفر الله ثم استغفر الله ، إن المشنوق الوزير المسلم باني مساجد الله ومعمري الخلايا
 الاجتماعية الاسلامية ، لا يمكن ان يتعاطى اي نوع من المشروبات الروحية المحرمة !
 واذن ؟
 اذن ماذا ؟
 لا بد أن كمال جنبلاط يعني شراباً آخر غير ما ذكرنا وشرحنا وسمينا وفصلنا ؟

انه ليس حليب السباع ولا غير السباع . . .

ولا شك أن الوزير الأديب يمسكه أدبه عن أن يذكر لا تصريحاً ولا تلميحاً عن سر أسرار الشراب للسري ، « صوناً منه لبعض العلاقات » وتمشياً وانسجاماً منه مع الرياضة الروحية اليوغية التي تؤثر الصمت والكتمان ، والتي تتلذذ بشرب عصير رب البندورة كمان !

فهل لمعالي الوزير الكبير الشان ، وهو الذي عودنا على الاعلان ، أن يتبع تصريحه ببيان ، يذكر فيه بلا لف ولا دوران ، اسم ذاك الشراب ، الذي أنجبل منه اللسان ، وأعياء عن البيان ، ليطلع عليه كل مسؤول وغير مسؤول في لبنان ؟ !

دهشة الوزير

يخيل لمن استمع الى حديث وزير الأشغال العامة ، الذي أدلى به أمس إلى إحدى وكالات الاخبار . . . ان الوزير قادم لتوه من الجمهورية السعيدة او المدينة الفاضلة التي تخيلها الفارابي والتي تقوم على أنظف وأكمل القواعد الاخلاقية . لقد تحدث وزير الأشغال عن أوضاع الوزارة فقال : « أنه رغم رغبته بالمرور على الكثير مما شاهده ولسه ونخيره منذ أن تسلم مهام الوزارة فإنه يمكنه القول رغم ذلك أنه فوجيء كثيراً بأن وضع الوزارة كان يتميز بفقدان الانتظام في العمل ، وبعدم تفهم عدد كبير من الموظفين للقوانين والتشريعات رغم أن بينهم رؤساء مصالح ، وبعدم وضع المراسيم والمقررات التي حددت بموجبها صلاحيات المديرين وغيرهم من كبار الموظفين وبإطالة المعاملات على نحو عجيب غريب ، لم يكن ثمة مبرر له .

ويهون كل ذلك إلى جانب تناحر الموظفين منذ التبديلات التي أجريت بعد صدور المراسيم الاشتراعية فرقي فلان وخفض غيره لاعتبارات طائفية دون أي اهتمام بوجوب اعتماد الكفاءة وإلى اصرار بعضهم على العمل على اساس سياسي وحزبي ، وإلى مجالات خاصة .

ولا يمكن تصور ما أحدثته العهد السابق من تخريب وافساد للادارة حين جعل الرشوة نظاماً أساسياً للدولة وقاعدة للتصرف العام الا حين يدرك ذلك عن كثب في وزارة الاشغال . يضاف إلى ذلك أن عدداً من نخبة المهندسين قد نقل إلى التفتيش المركزي والفني فحرمت الوزارة من خبرتهم . . .

ان الدوائر محشوة بالموظفين المؤقتين الذين عينوا لغايات محض انتخابية ، فهناك وكيل ورشة عين رسماً . . . وعشياً عين معاون مهندس وهكذا . . . كل ذلك بالإضافة الى ان الوزارة كانت تشكو عدم وجود برنامج متناسق متتابع يمكن بواسطته معرفة مصير أي مشروع ، وأسباب تأخر العمل فيه ، وكان أصحاب المصالح بدورهم يؤخرون ويعرقلون سير المشاريع بنسبة لا تقل عن خمسين بالمائة بمراجعاتهم المتكررة .

وختم الوزير حديثه قائلاً :

« لقد اتخذنا عدة تدابير إصلاحية، ونحن بصدد اتخاذ المزيد من هذه التدابير ، واننا لنأمل أخيراً في أن نوفق إلى إصلاح هذه الوزارة وإلى جعلها أهلاً للقيام بما يترتب عليها من تبعات حيال الوطن »

ألا يحسب من يقرأ هذه المطالعة القيمة أن صاحبها غريب عن هذا البلد أو أنه على الأقل غريب عن السياسة اللبنانية ، كيف تقوم وعلى أي قواعد تستند ، ماذا رأى وزير الأشغال كيما يفاجأ هذه المفاجأة التي جعلته مدهوشاً مندهلاً ؟

الطائفة ، المصلحة الانتخابية ، المحسوبة ، الإهمال ، القوضى ، عدم الكفاءة ، عدم الاختصاص ؟ . او ليست هذه هي القواعد الاساسية التي يقوم عليها التوظيف واستناد الوظائف في الدولة . . ؟

فما الذي أدهش الوزير . . .

إذا كان وزير الأشغال يعترم هدم الأسس القديمة وإقامة قواعد جديدة للتوظيف في دوائر الحكومة وخاصة في وزارة الأشغال فأهلاً به وبرحباً . أما إذا كان يبتغي من وراء حديثه الضاقي الاصلاحى النظري الذي وزعه على الصحف امس الانتقام من الموظفين الذين عينوا في عهد غيره ، فنصيحتنا اليه أن لا يركب هذه المركب الخشن ، فالدنيا وفاء ودين كما يقول المثل وبالكيل الذي سوف يكيله وزير الأشغال اليوم ، سوف يكيله وزير الاشغال الذي سيخلفه . . .

معنى ذلك بصريح العبارة أن سياسة الانتقام لا تجلدي أحداً مهما كانت الوسائل التي يتلذع بها صاحبها منطقية ومعقولة . . .

فليبحث وزير الأشغال إذا شاء عن وسيلة أخرى وقواعد إصلاحية ثابتة ونحن أول من يهلل ويهتف له !

الهواء الأصفر !

« أرى خلل الرماد وميض نار
ويوشك أن يكون لما ضرام »

• • •

استطاع الاستاذ كمال جنبلاط وزير الداخلية ، ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ،
وأحد كبار أصحاب المماريس عام ١٩٥٨ ، أن يحقق نصراً عربياً لبنانياً تقدمياً اشتراكياً بشطحة
قلم ويتصريح واحد .

فقد أعلن الوزير رفضه السماح بالترخيص لحزب البعث الذي قدمته قيادة الحزب في لبنان
بصورة رسمية . وورد الوزير حيثيات الرفض ، فكانت والحق يقال ، مقنعة مفحمة مثلجة لصدر
كل لبناني يخاف على بلده وكل عربي يغار على لبنان ويحرص ان يبقى واحة العرب وشاطئ
الامان وسط الاغاصير والرياح التي تهب من كل مكان .

ولكن الوزير الحصيف الحريص على « منع تحويل الاراضي اللبنانية الى ميدان للصراع
بين الفئات العقائدية المتنازعة في العالم العربي » - كما جاء في حيثيات المنع - لم يشأ أن يلصق
التهمة صراحة ويوجهها مباشرة إلى حزب البعث ، بل أكفى بالاشارة اليها ليقع في أذهان
الناس أن مجرد إعطاء الترخيص للبعث من شأنه ان يحول الاراضي اللبنانية إلى ميدان للصراع
والاقتتال . . .

من حق الوزير جنبلاط علينا أن نعرف له بفطته وبراعته في صياغة قرار المنع ، ذلك
أنه حدد نوعية الصراع غير المرغوب فيه في لبنان اذ أسماه « الصراع بين الفئات العقائدية المتنازعة
في العالم العربي » . فحق المنع والحظر على حزب البعث ، وكأنه هو المقصود - وهو المقصود
فعلاً - دون غيره من الفئات والتشكيلات و « اللملات » التي تواجه في الصراع القائم في هذه
الايام !

وليس لنا أن نعترض على قرار رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي الذي يحظر فيه العمل على
حزب البعث العربي الاشتراكي ، قلعله يؤمن بأن الصراع بالعكور والنيت أجدى من صراع
العقائد وأسلم . وان القتال بالبازوكا خلف المماريس أكسب وأضمن . . . لسلامة لبنان وأضمن
لحرية أبنائه وأرواحهم وأموالهم !

أجل قد يكون لوزير الشؤون الداخلية اللبنانية وجهة نظر في هذا الموضوع اليوم ، وقد
تختلف غداً كما اختلفت بالامس . فليس هذا مهماً وقد تعود اللبنانيون على « فولكلورية » آراء

الاستاذ كمال جنبلاط المعروفة المشهورة .

نعم ليس مهماً كل هذا ولا بعضه ، لولا أن صاحبه رجل مسؤول ينطق باسم حكومة ودولة وعهد ، ويحمل بين يديه أمانة المحافظة على أرواح وأموال شعب بأسره !
أو ليس يفهم من قرار وزير الداخلية أن منع حزب البعث من مزاوله نشاطه في لبنان ، لم يكن إلا ترضية وتطمينا للفئات التي تحارب البعث في هذه الايام ؟
أوليس يفهم من هذا القرار ، إنه شجب للعمل العقائدي الصحيح ، وتحريض سافر للانتفاض عليه . وإنه تعطيل لضمانة كبرى من ضمانات العقل والمنطق والوعي تقف في وجه السخف والرعونة والغوغائية ؟

أما كان الأجدد بوزير لبناني مسؤول ، مدعو لان يمثل وجه هذا العهد الذي أوقف الفتنة والتدابيح بين اللبنانيين ، أن يتناسى ميوله وعواطفه ومصالحه من أجل مصلحة هذا العهد المؤمن على أرواح اللبنانيين وسلامتهم من أن تكون نهياً لتجربة أخرى ؟
أما كان الأليق والأنبل برئيس حزب يدعي العلمانية والتقدمية والاشراكية والتحررية ، أن يستصدر قراراً يحظر فيه إثارة التعرات الدينية ويحذر من مغبة التجارة بالاديان والأديان ، بدلاً من تعطيل العمل العقائدي وتهديم الضمانة الكبرى التي تقف في وجه الفتنة ؟
إن الأحزاب العقائدية ليست بحاجة إلى رخصة عمل لتعمل . فما هي صفقة ولا سلعة ، ولا هي شهادة وطنية يدفع صاحبها الثمن ليظفر بها ولتكون مبرراً لعدم الاعتداء عليه وطعنه بشرفه ووطنيته كما كان الأمر عام ١٩٥٨ .

* * *

إمنعوا حزب البعث إذا شئتم ، ولكن قبل أن تقفلوا هذه النافذة أوصدوا سائر الأبواب
المشرعة التي حملت النيرا رباحاً أين منها الرياح السموم والهواء الأصفر !

سامح الله العراق !

« السفارة العراقية في بيروت تقوم بأعمال من شأنها أن تشكل تدخلاً في شؤون لبنان الداخلية وذلك عن طريق المساعدات التي تقدم إلى البعثيين في لبنان ، وهي مساعدات تختلف باختلاف الظروف التي تقدم فيها » .

بهذه الحيليات الوجيهه أعربت حكومتنا الجليلة عن حرصها البالغ على كرامة لبنان ، ومنع الايدي الطويلة من التدخل في شؤونه والعبث بمقدراته .

فما على اللبنانيين بعد اليوم إلا أن يناموا على حرير ويطمثنوا إلى سهر الحكومة ويقظتها وحراستها لأمن لبنان واستقلاله وعزه وكرامته .

وما على الشعب اللبناني إلا أن يتنادى بكافة طوائفه وأحزابه ليقيم مهرجاناً كبيراً يكرم فيه سادته المسؤولين ويعلق فوق صدورهم أوسمة الفخار ونياشين العز والاكبار ، على أنغام الدفوف وقرع الطبول وبضعة طلقات من مدافع البازوكا ، تجلة واعتزافاً بعظيم فضلهم وجميل صنعهم ... ولم لا ؟

وهل قليل أن تفتن حكومة ، ما قامت وما قدر لها أن تقوم وأن تستمر في قيامها حتى اليوم ، إلا لأنها بقية من « جرجرة » الحكومات التي تعاقبت بفضل المتاريس والخنادق التي حفرت في صدور وجماجم اللبنانيين عام ١٩٥٨ ؟

هل قليل أن تستيقظ حكومة كهذه هكذا فجأة ، لتضع يدها على الداء وتصف الدواء بمثل هذه الصراحة والشجاعة — صراحة المتاريس وشجاعة الخنادق — ولتقول لنا بلسان عربي فصيح لا لعملة فيه ولا ارتجاج ، بأنها عازمة عزماً أكيداً شديداً على منع التدخل بشؤون لبنان الداخلية ، وأنها لن تضعف ولن تتهاون ولن تسام ، حفاظاً على شرف لبنان وسمعته كرامته ؟ فمن لبنان ولبنانيين غير هذه الحكومة القوية الشكيمة المعقوفة الشنب العالية الكعب العريضة المخاطر الموهوبة الجانب ، تقيم الدليل على أنها سيدة حرة مستقلة ، ليست تبعاً ولا ذليلاً ولا أمعة ؟ من لبنان غير هؤلاء الفرسان الأبطال الأشاوس المغاوير ، يفهمون القريب والبعيد بأن عهد الانتداب والوصاية والحماية والمسكنة والتزلف قد مضى وانقضى ، وإن ليس بعد اليوم من كلمة تعلق على كلمة لبنان الحر واللبنانيين الأحرار في بلادهم السادة في تصريف شؤونهم ؟

* * *

سامح الله العراق الشقيق ، وسامح معه السفارة العراقية في بيروت ، التي تجرأت على تقديم بعض المساعدات إلى البعثيين . فلم ترع للبنان حرمة ولا كرامة ، بل تجرأت عليه أيما تجرؤ واستهانت بعزته وسيادته أيما استهانة !

لقد اشترى العراق الشقيق الذمم والضماير في لبنان . واستباح الحرمات ومرغ الكرامات وسود الأمعات ، وشطر لبنان شطرين وقسمه متراسين ووزع الأسلحة والرواتب لكل حسب وجاهته ومن كل حسب طاقته وقدرته على زرع الاحقاد وتفسخ الصفوف والولوغ في الاعراض ! سامح الله العراق وسامح السفارة العراقية في بيروت ، لقد أقدمت على ما لم تتجرأ سفارة عربية ولا غربية الإقدام عليه . . .

لقد أقدمت على تقديم بعض المساعدات إلى بعض البعثيين في لبنان !

الدورة الخطرة !

لست أعرف من شروور هذا البلد السياسية ، شراً أكبر من هذه الدورة القاسية المشؤومة التي تتألف منها حياة أكثر السياسيين في لبنان .

لأنها الدورة التي تدور دائماً وأبداً على وتيرة واحدة ، لا تتغير ولا تتبدل .
يبدأ السياسي حياته السياسية ، متطرفاً عنيفاً ، فيجمع بفضل هذا التطرف العنيف ، عصبية له في الشارع ، ثم ينتقل بعد أن يتمكن من هذا الشارع ، الى كرسي الحكم . وهناك يمنح نحو الاعتدال الذي يبقيه في الحكم فترة من الزمن ، ولكنه يفقده في الوقت ذاته ، قوته في الشارع التي ينتزعها منه متطرف عنيف ناشئ ، يعني عليه اعتداله .
هذه الدورة التي تكاد تكون سيرة حياة كل سياسي عندنا ، هي دورة خطيرة مجرمة ، تذهب ضحيتها عادة ، لا مصلحة الشعب وحسب ، بل وسمعة الكثير من السياسيين وأكثر من مجرد السمعة أيضاً .

إن العاقبة فيها سيئة دائماً ، وهي أسوأ بكثير من مصير أي سياسي بدأ معتدلاً وسار دائماً على طريق الاعتدال .

تذكرت أمام مظاهرات النجادة وذيوها المؤلة ، كل مراحل الحياة السياسية التي مر بها صائب سلام وعبدالله المشنوق !

« زعيمان » تمخضت عنهما ثورة عنيفة متطرفة .

وكانا من قادتها بفضل تطرفهما ، يصلان الى الحكم فيضطران لإضطراراً لان يقيما بالعنف مظاهرة تحمل نفس الشعارات التي كانت تحملها المظاهرات الزاحفة بالأمس تحت لوائهما ، فتفتح الطريق سهلة معبدة بوجه « زعيم » آخر اختار الطريق نفسه ، وللغرض نفسه .
ولقد تساءلت وأنا أفكر في مصير السياسيين عندنا :

ترى أما كانت النقمة على سلام والمشنوق أقل مما هي عليه اليوم لو ان الرجلين لم يكونا في السابق متطرفين عنيفين كما كانا ؟

ترى ، أما كان الناس يقدرون سلام والمشنوق أكثر مما يفعلون اليوم ، لو انهما لم يرتبطا منذ البدء بالمواقف الجاحقة ، التي نراها مضطرين اليوم ، لمحاربتها والقضاء عليها عند غيرهما ؟
ان القسط الأوفر من نقمة بعض الاوساط على رئيس الحكومة ووزير داخليتها ، انما يقوم لا على انهما قعما مظاهرة ، بقدر ما يقوم على انهما ، قد تنكرا للسبيل الذي سارا عليه في الماضي ، والسلم الذي ارتقيا ووصلا الى حيث هما !

• • •

عبرة الحوادث الاخيرة ، أن حالة لبنان السياسية ، ستبقى على ما هي عليه من سوء وتدهور ،
وان الحكم سيظل محرقة الرجال ، ما دامت الدورة الخطرة المشؤومة هي التي ترسم لهم حياتهم ،
فاذا هم ، وقد اختاروا التطرف والعنف منذ البدء ، يذهبون في النهاية ضحية تطرف سواهم !
ترى هل يطول بنا الانتظار ، حتى نشهد السلم ، سلم المجد ، يسلم نفسه لصنف من
الرجال جديد ، ينتهي على ما بدأ به ، ويبدأ بما سينتهي عليه ، ولا يكون في آخرته غير ما كان
عليه في مطلع حياته ؟
لقد دارت الدورة المجرمة . بما فيه الكفاية ، على مصلحة هذا البلد ، وعلى مصائر سياسيه .
وآن لها أن تقف بعد اليوم عن الدوران !

أشخاص

لم أكن أعلم أن رئيس الحكومة السابق السيد صائب سلام ، كان ينوي الدعوة إلى مؤتمر
صحفي ، ثم عدل عن ذلك ، لولا أنني قرأت أمس تصريح وزير التصميم العام في هذا الشأن إذ
قال :

« إننا نشكره (يشكر صائب سلام) على هذه المبادرة نحو الحكومة ، إذا كان المقصود منها
إقراره بحسن معالجتها لقضايا البلاد الخارجية والداخلية . وأعتقد انه خيراً فعل بصرف النظر عن
هذا المؤتمر الصحفي ، باعتبار إنه كرجل دولة وكبرلاني ممتاز ، يقرنا بأن البرلمان هو المكان
الصالح لمناقشة الحكومة الحساب الذي لن يكون إلا يسيراً بالنسبة لها » .

هذا ما ذكره الوزير الاستاذ عثمان الدنا .

والواقع . . . أنني لم أفهم تماماً ما قصد اليه وزير التصميم .

إنه يشكر صائب سلام إذا كان المقصود إقراره بحسن معالجة الحكومة قضايا البلاد
الخارجية والداخلية . . .

وصائب سلام قد عبر عن رأيه بسياسة الحكومة الداخلية والخارجية عبر تصريحاته الطنانة
الرنانة من القاهرة ومن صوت العرب ، والتي يتهم فيها الحكومة — لكيلا نقول الدولة — بالرضوخ
لارادة « الاجنبي » !

هذه واحدة .

والثانية ، قول وزير التصميم أن صائب سلام فعل خيراً بصرف النظر عن مؤتمره الصحفي .

ولست أدري ما هو الضرر في أن يعقد صائب سلام مؤتمراً صحفياً بل مؤتمرات عديدة . . . ؟
والثالثة ، أن الاستاذ الدنا يعتبر أن على صائب بك « كرجل دولة وكبرلاني ممتاز » عليه
أن يعلم بأن البرلمان هو المكان الصالح لمناقشة الحكومة الحساب . . .
وما من لبناني في آخر قرية من قرى لبنان ، يجهل بأن مناقشة الحكومات الحساب لا تتم
في البرلمان بقدر ما تتم خارج البرلمان . . .
وتاريخ لبنان ولا سيما الحديث شاهد صدق على ما نقول .
والرابعة والاخيرة .

قول وزير التصميم بما يشبه التأكيد والعزم والتصميم بأن « الحساب لن يكون الا يسيراً
بالنسبة للحكومة » !
والمعنى الظاهر الواضح الذي لا يخفى على اللبيب ولا على غير اللبيب ، أن الحساب سيكون
عسيراً بالنسبة لصائب سلام !
وليتفضل وزير التصميم ولينف صحة ما أراد قوله حقيقة وجعله جوازاً بدل أن يجعله وجوباً
ومستتراً عوض أن يكون ظاهراً !
كل هذا ليس مهماً ، فصائب سلام الرجل المقدام ، بغير حاجة إلى إثارته ودفعه الى الكلام .
وليس يضيره التحدي ولا يقعه الملام . وما عليه إلا أن يرد على الكلام بكلام وعلى الإتهام بإتهام . . .
ثم ما عليه لوم ولا حرج ، بل عليه الامان والسلام .
لا سيما وأنه عاد حديثاً من القاهرة ولا بد أنه سيعود مرة ثانية إن لم يكن قد عاد ونحن لا نعلم !
ثم منذ متى كان الكلام في لبنان يخضع لرسم الجمر ك ؟

* * *

تكلم يا صائب بك . . .
سافرت أم لم تسافر . عدت أم لم تعد .
عقدت مؤتمراً صحفياً أم لم تعقد مؤتمراً صحفياً .
اجتمعت بعبد الحميد السراج أم اجتمعت بغير عبد الحميد السراج . . .
تكلم بالله عليك يا صائب بك !
تكلم إن لم يكن لإكراماً لنا ولحق قرائك علينا . . . فعلى الأقل إكراماً لصديقك اللود الحميم ،
وزير التصميم . . .

زعيم لا زعيمان !

على عكس ما يوحى به التضخم الظاهر في الوفد الذي ألفتة الحكومة الى مؤتمر بلغراد ، وترأسه السيد صائب سلام .

على عكس ما يوحى به هذا التضخم فان نتائج مؤتمر بلغراد لم تأت في صالح لبنان ولا الدول العربية ، في أكبر قضية من قضاياهم ، وأعني بها قضية فلسطين .

فقد أقصيت قضية فلسطين من مقررات المؤتمر الرئيسية ، وبان تراجع دول الحياض عما سبق وقررت في باندونغ ، حيث ناشدت الدول الاسيوية - الافريقية الامم المتحدة بتطبيق مبادئ العدل ، وروح ميثاق الامم المتحدة في موضوع فلسطين .

والمؤلم أن نكون قد ضربنا من بيت أبينا كما يقول المثل . فالذي رفض اعطاء مقام رئيسي لقضية فلسطين ، هو بورما وسيلان والهند ، وكلها دول حرص العرب دائماً على حسن العلاقة بها .

وفيما يخص الهند بالذات ، يعلم القاصي والداني ، أن هذه الدولة كانت منذ مدة بعيدة من الزمن ، صديقة العرب المدللة الاولى .

فمن أجل الهند ضرب العرب بعرض الحائط بصداقتهم للباكستان ، الدولة التي يشهد الله انها لم تقف مرة واحدة إلا الموقف الذي يقفه العرب في أكثر القضايا العربية ولا سيما قضية فلسطين بالذات .

فمن أجل الهند نسي العرب كل رابطة تربطهم بالباكستان ، ونسوا أن الباكستانيين هم أكثر شعوب الارض احتزاماً للتراث العربي وتعلقاً بمآثر العرب القديم منها والحديث . وبدلاً من أن تقدر الهند للعرب هذا الامتياز الذي آثروه لإياها ، وقفت الهند تناصب العرب العداء في أقدم قضية من قضاياهم ، متجاوزة حقوق الصداقة ، متجاهلة جميع المبادئ السلمية والانسانية التي تدعي الهند نصرتها على الصعيد الدولي .

ولكم حز في قلوبنا أن يقف الرئيس نهرو ، نهرو الذي نحب ونقدر ، في مؤتمر بلغراد نفس الموقف الذي يقفه من فلسطين أعداء العرب وأعداء الهند من دول الاستعمار . ولكم حز في نفوسنا أكثر وأكثر ، أن يكون نهرو هذا هو الذي من أجله خاصمنا ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان الشهير ، الذي تحدث وقائع جلسات الامم المتحدة أنه أفصح من نافع عن القضية الفلسطينية ، وأبلغ من شرح خفاياها وأظهر الحق الصراح فيها .

* * *

إننا نعتبر ما جرى في مؤتمر بلغراد فشلاً عربياً ذريعاً جديراً بأن يجعلنا نفكر ملياً في هذه

العلاقات الدولية ، التي نقبل عليها بعفوية وسذاجة ، ويقبل عليها غرنا بأنانية ولا مبالاة !
لقد أعطينا بعض الدول الاسيوية والافريقية أكثر مما أعطتنا ، في حين أن العدل يقضي بأن
نأخذ مثلما أعطينا . . .

* * *

طبعاً ليس هذا الكلام موجهاً لبصائب بك . فهو مشغول بتطبيق « عالم واحد لا عالمان » على
المسكوفة بأسرها . . . وفقه الله وأيده بنصر من عنده .
ولكننا نتوجه بكلامنا هذا الى الرئيس عبد الناصر ، الذي يحمل وحده في المؤتمرات الدولية
أعباء القضايا العربية ، وحيث تسود عادة نظرية زعيم واحد لا زعيمان !

عودة البطل !

الضجة الكبرى التي أقامتها المعارضة في اليومين الاخيرين ، حول استقبال رئيس الحكومة
العائد من بغداد ، لست أفهمها ، وما أحسب أن أحداً من اللبنانيين يفهمها أو يقبل باعترافاتها ..
فكلنا في الاستقبالات والوداعات والمهرجانات والعروضات لبنانيون . لبنانيون اقحاح يتقنون
الاصول المتبعة والقواعد المرعية في مثل هذه المناسبات . . . فاذا تزوج أحدنا وجب أن تصدح
موسيقى السيارات بزماميرها المتنوعة والمنغمة ، وهي تجوب الشوارع في « البرمة » التقليدية المشهورة ،
والتي يسمونها « برمة العروس » أو « برمة بيروت » . واذا احتفل أحد المواطنين بعيد ميلاده
أو عيد ميلاد طفله ، أقام الدنيا وأقعدھا احتفاء واحتفالاً بالعيد السعيد . واذا اراد زعيم حزب
من الاحزاب ان يتقبل من زاروب الطمليس الى زاروب الحرامية مثلاً ، رفعت له اقواس النصر
في الشوارع العامة وانتشرت يافطات الخام الترحيبية تغطي سماء العاصمة ، أما الاسهم النارية
وطلقات الرصاص المدوية . فحدث عنها ولا تسكت . . . انها بمثابة الشرابات والحلويات التي
توزع في الافراح . ولكل من الزعماء ، طلقات المدافع والرصاص ، حسب زعامته ووجهته . . .
و « الشاطر ما يموت » !

سنة الله في لبنان . وسنة المواطنين في أهل السياسة من المستزعمين والمستوجهين . ولن نجد
لسنة الله في لبنان تبد يلاً ولا تغييراً .

فماذا بدا مما عدا حتى تقوم قيامة المعارضة والمعارضين لشجب الاستقبال العظيم الذي
« يوضبه » أنصار الحكومة لرئيس الحكومة ؟ أية مناسبة اشرف وأكرم وأبهج وأمتع ، من هذه

المناسبة الكريمة الشريفة ، مناسبة عودة الرئيس المظفر من مؤتمر بلغراد المفتخر المعبر ؟
وهل هناك مناسبة تدعو إلى المباهاة والاعتزاز اسمى وارفح من مناسبة عودة بطل السلام
صائب سلام ؟

وإذا لم « يوضب » انصار الحكومة الاستقبال الكبير لرئيس حكومتهم ، فمن عساه يتولى
هذه المهمة غيرهم ؟ وهل أقفرت بيروت من الانصار والاتباع ، من الذين لهم في كل عرس
قرص ، خاصة اذا كان العرس فخيماً عظيماً والاقراص كثيرة ومتوفرة ، متنوعة الاشكال
والانواع ؟!

وهل قليل أن يذهب صائب سلام إلى مؤتمر بلغراد بل ويترأس المؤتمر ؟
وهل قليل أن يسعى الرئيس الى توطيد دعائم السلام في العالم ، فيجمع رأسين بالحلال ،
رأس خروتشوف ورأس كنيدي ، يذهب اليهما فيعانهما ويقبلهما وينصحهما بأحلال الوثام
بدل الخصام ، فيستجيب القطبان الكبيران ، قطبي العالم بأسره ، للنصيحة الكبرى والموعظة
الحسنة ، فتروق الاحوال ، وتصفو الايام وتنتشر الوية السلام خفاقة لتعم الارض وتصل الى
السماء !

وماذا يعني عدم استتباب الامن والسلام في لبنان ؟
ماذا يعني لو تزعزعت دعائمه وفقد أبنائه كل ثقة مأمولة وكل أمل مرتجي ؟
بل ماذا يعني لو تهدم لبنان وتبخر وطار ؟
ان صائب سلام أضحى ملكاً للعالم ، العالم بأسره ولم يعد ملك لبنان وحده . فهل ينبغي
للرئيس العالمي أن ينصرف الى توافه الامور ؟
ومن قبل صائب سلام رفع رأس لبنان عالياً في المؤتمرات الدولية المثمرة ؟ بل من بعده قادر
على أن يطيل عتق لبنان أكثر مما أطاله صائب سلام ؟

أهذا هو جزاء الابطال العظام يلقونه من معارضيههم . يقيمون الدنيا ويقعدونها وينادون
بالويل والثبور وعظائم الامور احتجاجاً على « ترتيب » و « توضيب » و « تهيئة » الاستقبال
الشعبي العفوي للقاء الرئيس العائد ؟!

لقد أجمع صائب سلام الى نهرو وتيتو وعبد الناصر وسوكارنو وناكروما و... . اجتمع
الى رؤساء ثلث الكرة الارضية ، وجلس عليهم رئيساً . . . فهل قليل عليه أن « يوضب » له
احتفال يليق به ؟

ولقد قبله عبد الناصر أيضاً ، نعم قبله قبله طبعته ونشرت ووزعت في جميع الاحياء

البيروتية ، ولا سيما الاحياء الغربية إبتداء من الباشورة وطلوعاً حتى الطريق الجديدة وزاروب
صبرا . . .
أفبعد هذا تضيق عين المعارضة ويضيق صدرها بتهيئة استقبال لصائب سلام ، وهو الذي
قابلته وقبله جمال عبد الناصر ؟ !

* * *

ايها السادة عيب . . .
والله العظيم عيب !!

التلميذ النجيب !

« الله الله يا دنيا » . . .
عبارة كم كان سامي الصلح يحب ترادها .
وما أحرانا اليوم أن نرددها : « الله الله يا دنيا » . . .
من يراقب تصرفات رئيس الحكومة الحاضرة — الداهية ، السيد صائب سلام ، يخيل اليه
ان صاحب هذه التصرفات هو سامي بك نفسه ، مع حفظ حق السبق لدولة أبي الفقراء !
ألم يكن سامي بك ، هو الذي كان يقول في كل أزمة وزارية تهدد حكومته : أنا باق
أنا باق ، سأقاتل سأقاتل ، لوحدي لوحدي ؟
ألم يكن هو صاحب التعبير المشهور : « رجلي ورجلك ، سوا سوا ، جوا سوا برا سوا كلنا
سوا سوا » !
ألم يكن هو الذي دعاه الفرد نقاش للاستقالة يوم كان النقاش رئيساً للجمهورية ، وكان
سامي بك رئيساً للحكومة ، فكان جوابه « رجلي ورجلك » ؟
ألم يكن هو الذي طلب منه الشيخ بشارة الخوري مغادرة كرسي الرئاسة الثالثة فرفض أن
يذهب قبل أن يأخذ معه الشيخ بشارة الخوري من الرئاسة الاولى ؟
ألم يكن هو الذي طلب منه بعضهم أن يستقيل أثناء الثورة — الفتنة فكان جوابه « استقالة ؟
استقالة ؟ أنا يستقيل ؟ استقالة يوق » !
يومذاك ، وعلى الرغم من أن الناس كانت تسرها مثل هذه المواقف الطريفة ، لما فيها من
من غرابة وما فيها من اعتداد و... ، كان صائب بك ومن كان في صفه ينتقد تصرفات

سامي الصلح ، بل يحمل عليه ويتهمه فيها بالرعونة ، وجب الكرسي ، وفرط الانانية ، وعدم تقدير العواقب .

فاين مواقف صائب بك اليوم مما كان ينتقده بالامس ؟

إنه اليوم قد « دويل » على سامي الصلح نفسه بتشبيهه بالبقاء في كرسي الحكم ، و « دويل » عليه في الشكل أيضاً وليس في الاساس وحسب ! فهو يقول إنه سيذهب إلى المجلس ولو ذهب اليه وحده .

وهو يقول إنه لن يستقيل لن يستقيل لن يستقيل ، وإنه باق باق باق ! وهو يقول بالعربي غير الفصيح ما كان يقوله سامي بك بالتركي الفصيح « استقالة يوق إستقالة يوق ! »

لا بل ان صائب بك يقول في هذا الموضوع أموراً أكثر غرابة مما كان يقول أبو الفقراء . . . فاذا كانت الناس تستطرف في السابق كلمة « رجلي ورجلك » و « أجبنا سوا بروح سوا » فإنها اليوم تستنكر مثل هذا الكلام تقوله بعض الاوساط التي تعتقد انها تفيد رئيس الحكومة وهي في الحقيقة تسيء اليه أشد الاساءة !

* * *

اننا مستعدون أن نفهم الضرورات التي جعلت صائب سلام يسير بالسياسة الداخلية والخارجية على نفس الطريق التي سار عليها سامي الصلح ونفهم الضرورات التي جعلته يطبق في الحكم عكس ما كان ينادي به وهو خارج الحكم .

نفهم كل هذا جيداً . ولكننا لا نستطيع أن نفهم ، ان يتبع صائب بك نفس الاسلوب ونفس العبارات ونفس الحركات والاشارات التي كان يتبعها سامي بك !

فلولا التركية الفصيحة لما كان من فرق على الاطلاق بين ما نسمعه اليوم من صائب سلام ، وما كنا نسمعه بالامس من سامي الصلح . لا فرق ، لا فرق أبداً . . . فرق يرك !

ترى هل يريد صائب بك أن يثبت للبنانيين في آخر أيامه في الحكم ، إنه تلميذ نجيب لسامي بك ؟

إذا كان هذا قصده ، فلقد أثبت حقاً بأنه تلميذ نجيب !

الفرصة التي ضاعت !

إن من راقب الاستشارات النيابية التي قام بها رئيس الجمهورية ، واطلع على التوصيات والتمنيات التي صدرت عن الغالبية العظمى من أعضاء المجلس ، مضطراً لأن يشهد للمرة الأولى من تاريخ هذا البرلمان ، شهادة حسنة به .

فالمجلس قد قال صراحة بالشيء الذي تقول به البلاد ، منذ نهاية الفتنة الشمطاء ، التي يدعونها تجاوزاً بل كذباً واقتراء « ثورة » !

كان رأي المجلس صريحاً في أنه لا يريد حكم المتراسين . فهو لا يريد صائب سلام ، وهو لا يريد بيار الجميل ، وهو لا يريد كمال جنبلاط . وإنما يريد حكومة لا يدخلها أحد من الذين أريق دماء اللبنانيين تحت شعاراتهم وألويتهم وسناجقهم !

وليس مهماً على الإطلاق أن يكون النواب قد قالوا بما قالوا به ، لأنهم ييغنون أن يفتحوا أمام أنفسهم أكبر عدد ممكن من الابواب الوزارية . فإلهم أنهم قالوا ما تقول به البلاد ، ووضعوا لها الدواء الذي تعتقد انه شافيها من أمراضها .

نعم ، لقد كانت الاستشارات الاخيرة هزيمة أدبية وعددية ، معنوية ومادية ، للزعامات الفارغة التي ما زالت تتحكم بالبلاد منذ نهاية الفتنة ، وتقاسم الحكم ، من دون الشعب . ولو ان رئيس الجمهورية احصى الذين استشارهم احصاء دقيقاً ، وتقيد بأحكام هذا الاحصاء تقيداً تاماً ، لما كان على اراثك الحكم احد من الذين رأى فيهم الناس ، السبب الرئيسي لشكاواهم .

ولكن الرئيس كان ازحم بهؤلاء من أبناء البلاد ، وكان أرحم بهم من النواب ، فلم يقبل بالاجهاز عليهم اجهازاً نهائياً ، وبقى لهم شيئاً مما فقدوا وما يستحقون أن يفقدوا ، فجاء بعضهم على حساب الرئيس بعد أن عجز أن يأتي على حسابه الخاص .

إنها فرصة ضاعت مع الاسف الشديد ، وكنا نريدها ان لا تضيع ، فيستقيم الوضع في لبنان استقامة صحيحة ، ويتخلص هذا الوطن المسكين من اسطورة « لا غالب ولا مغلوب » وهزلة « ثمار الثورة » وتجارة « لبنان لا لبنان » !

إنها فرصة لم نحسن الاستفادة منها ، بالرغم من ان هذه الاستفادة كانت ميسورة سهلة ، لا تكلف الوطن متاعب او صعوبات ما .

وإذا قابلنا المتاعب والصعوبات والثورات والاضطرابات التي تجري في البلاد العربية من أجل تغيير الأوضاع وتبديل الاحوال بالمتاعب البسيطة ، والصعوبات الصغيرة ، التي تنتج من جراء ابقاء كمال جنبلاط او بيار الجميل او غيرها خارج الحكم ، لعجبنا كيف لا تقبل الخير

يجيء بهذا الثمن القليل والاصلاح يأتي عن هذا السبيل القريب .

ماذا نريد أكثر من أن يأتي مجلس النواب فيقول لا نريد أحداً منهم ، حتى نجد من ذلك مناسبة سانحة لإخراجهم جميعاً والتخلص منهم ومن اساليبهم ، ومن النظرية الخطرة المدمرة التي جاءت بهم الى الحكم !

ماذا نريد أكثر من أن يتشتر في طول البلاد وعرضها رأي عام يقول بإبعاد هؤلاء عن كراسي الحكم ، وإعادة التنفس الطبيعي الى الحياة السياسية ، بعد أن خنقها وجود أبطال المتاريس والخنناق ، دعاة التنازع بالدم والتفاهم على حساب هذا الدم !

كانت البلاد تحب أن ترى عند رئيس الجمهورية الشدة المطلقة بحق هؤلاء ، وكانت تحب أن ترى عند رئيس الجمهورية القسوة على هؤلاء الذين ما رحموا البلاد ، لا يوم دعا الى المنابيح ولا يوم جلسوا على طاولة الاحكام !

لقد كان المجلس النيابي في الاستشارات الاخيرة يريد هو الآخر أن يكون الرئيس شديداً وقاسياً مع هؤلاء .

قال متى يبقى هؤلاء ، أبطال المتاريس والخنناق ، يتمتعون بما لا ينبغي ولا يجوز أن يتمتعوا به ، من مكان في قيادة البلاد وهم الذين لا يقودونها ولا يمكن أن يقودوها الى غير الدمار ! !

اللقم الثالث

الصعوبات التي لاقاها الرئيس المكلف الاستاذ رشيد كرامي بتشكيل الوزارة ، ليست تعد شيئاً أمام الصعوبات الاخرى التي سوف يصطدم بها اذا ما تم تشكيل الحكومة على النحو الذي قيل انها ستشكل عليه أثناء المشاورات . فالطريق ليست سهلة ، والاختيار ليس ميسوراً ولا مأمون العواقب . ذلك أن الاستاذ رشيد كرامي الذي فرغ من مشكلة إختيار أعضاء حكومته العتيدة ، اصطدم بالشروط التي وضعها بعضهم ، وأولها وأقاساها فرض إختيار الحقائق الوزارية ، بشكل يجعل من الرئيس الشاب طرطوراً لا حول له ولا سلطان !

فبعد إجماع الرأي على وجوب الاتيان بحكومة لا تتمثل فيها الخناق والمطاريس . وبعد الرضوخ مجدداً لاهل الخناق والمطاريس ، وضمهم في التشكيلة الجديدة . بعد هذا وبالرغم من هذا ، أبى أهل المطاريس الا أن يفرضوا ويختاروا المقاعد الوزارية التي كانوا الى عهد قريب يتمتعون بها ، وكان شيئاً لم يحدث ولم يتغير .

ولا هل المتاريس عندهم . فأى شيء قد حدث ؟
وأى شيء قد تغير كيما تتغير حقائبهم وتبدل مقاعدهم ؟
كان كمال جنبلاط وزيراً للاشغال العامة .

وكان بيار الجميل وزيراً للمالية .

فلم لا يعود كمال جنبلاط الى مقعده في وزارة الاشغال ؟

ولم لا يعود بيار الجميل الى كرسيه في وزارة المال ؟

وماذا عدا مما بدا كيما تتغير المقاعد وتبدل الحقائب ؟

هذه مشكلة . ولكنها ليست كل شيء . انها واحدة من المشكلة الأم التي تفرعت عنها سائر المشاكل التي اعترضت سبيل الرئيس المكلف . فلقد قام في أذهان الـ ٩٩ نائباً أن كل فحل منهم مؤهل لان يكون وزيراً ، إن لم يكن رئيساً ، حتى لو كان نائباً من الدرجة التيسر المخفضة ، فما بالك بالنائب البريمو الذي ينتمي الى كتلة نيابية لها وزنها ولها رأيا ولها مرشحها ؟

ولقد جنت الوزارة الثمان عشرة جناية كبرى على أسلوب الحكم في لبنان . ذلك انها أطمعت كل طامع في الكرسي الوزاري ، ليس من صفوف النواب وحسب ، بل من كل هب ودب ، حتى بات المنصب الوزاري أرخص من حزمة الفجل في سوق الخضار ، أو الثياب القديمة في سوق الدالين !

نحن نعتقد أن تأليف الوزارات في لبنان سيظل مشكلة طيلة هذا العهد ، لان المجلس قد ولد والى جنبه ثلاثة الغام من النوع الذي ينسف الحياة البرلمانية .

أما اللغم الاول فهو لغم الانتخابات الموهوسة التي جاءت الى المجلس بجماعة الخنادق والمتاريس ، ممن تعودوا أن ينظروا الى أنفسهم وكأنهم حكومات قائمة بذاتها ، وشعارهم « ما دمت قد كنت حكومة أثناء الثورة فلماذا لا أستمّر حكومة مستقلة بعد الثورة » !

أما اللغم الثاني فهو عدد النواب الذي يشكل بالنسبة لاتساعه غير المتناسب مع لبنان عقبة كأداء في وجه كل حكومة !

وأما اللغم الثالث ، فهو البداية السيئة التي بدأها الرئيس السابق صائب سلام عمر هذا المجلس بتأليف حكومة من ثمانية عشر وزيراً ، مما كان له النتائج التي ذكرنا .

انه لغم وضعه صائب سلام ، فأنفجر للمرة الاولى بحكومة صائب سلام نفسه ، وما هو اليوم يتفجر أمام رشيد كرامي ، ولسنا ندري بوجه من سينفجر في الغد !

أشخاص

رحم الله أحمد الاسعد ما كان أظرفه بين رجال السياسة وأطرف أسلوبه في الكلام .
 في كل مرة أقرأ فيها تصريحاً لكمال جنبلاط أو أتأمل في موقف من مواقفه ، أتذكر
 عبارة اسرها لي يوماً سيد الطيبة : « يا أحمد افندي شايفك هالكمال بيلك مثل المنام المخربط » !
 وأشهد انني ما ضحككت لعبارة كما ضحككت في ذلك اليوم لتلك العبارة .
 فقد صورت لي ما كنت اعتقده بالفعل في الزعيم الجنبلاطي .
 بالامس قرأت مقالاً في جريدته المعارضة « الانباء » يقول فيها :
 « نحن نعلم ان أخطاء بعض الحكام أكبر بكثير مما يتصوره بعض اعضاء المعارضة .
 ولو تكلمنا لكننا نخطو امام المعارضين الحاليين عدة فراسخ إلى الامام ، ولا يستطيعون اللحاق بنا
 في حقل النقد والتجريح » .

وما انتهيت من هذا الكلام الذي شعرت معه بما يشبه الدوار في رأسي ، حتى رحت اتساءل :
 أحقاً ان قاتل هذا الكلام وزير ؟
 أحقاً ان كمال جنبلاط يعني هذا الذي يقوله ؟

واذا كان يعني ما يقول فما الذي يمنعه من أن ينضم الى المعارضة ، حيث يتقدم صفوفها
 بفراسخ على حد تعبيره . اما اذا لم يكن يعني ما يقول فما هو تفسير مثل هذا الكلام ؟
 اننا نعلم ان كمال بك هو من حيتان المجد والزعامة ، يريد ان يبتلع كل ما في بحر الوجهة
 من صيد ، ثم هو بعد ذلك « يتششف » بالاحقاد السماوية والروحية ، فيلتهم قداسة غاندي ، وعلم
 أفلاطون ، وعقل أرسطو ، وأرقام كارل ماركس ، وجمهورية البوغا ، ناهيك عن الصوم
 والتعبد والتهجد والتوحد والكشف والتواجد والاشراق . وهو يريد ان يبتلع ما تعطيه المناصب
 الحكومية من القاب ورتب ونياشين ووشحة ، وهو يريد كذلك أن يبتلع احقاد المعارضة والمعارضين ،
 وهو يريد أن يبتلع الشعبية والشعبيين ويبتلع الشارع بل الرصيف اذا اقتضت الوجهة !
 مثل هذه الحيتان ، قد أخرت حياتنا السياسية وجعلتها مهزلة .

نحن نعلم كل ذلك ، ونعلم ان لكمال بك معدة مستعدة لطحن وهضم كل شيء ، ما
 عدا الرشوة المالية .

ولكننا مع ذلك ، ومع اعترافنا بنزاهة كمال جنبلاط ، نرى أن مثل هذه الحيتان ، قد أخرت
 حياتنا السياسية وجعلتها مهزلة بين سياسات الامم .

فالسياسة اللبنانية بطابعها الحاضر ، أصبحت شيئاً لا يطاق ، لقد انهارت منها كل قيمة
 من القيم المألوفة ، فلم يعد فيها محال ومحرم ، ولم يعد فيها أبيض وأسود ، ولم يعد فيها حس

بالمسؤولية بل لم يعد فيها أبسط معنى من معاني الادب .
فالوزير يتكلم كالمعارض ، والموظف يتحدث كالفوضوي ، ورجل الامن كرجل
للعصابات .

ولم يبق أحد يحترم صفته العامة ودوره ووظيفته .
بل أصبح الجميع يتحدثون باللغة عينها مستقدين الاشياء ذاتها ، مثيرين الاوضاع نفسها ،
ناقمين على أمور هم صانعوها وهم خالقوها في أحيان كثيرة .
من هو المسؤول ومن هو غير المسؤول ؟
من هو الحاكم ومن هو المحكوم ؟
من هو الموالي ، ومن هو المعارض ؟
من هو الذي « مع » ومن هو الذي « ضد » ؟
من هو الذي فوق ومن هو الذي تحت ؟
من هو المتهم ومن هو صاحب الدعوى ؟
لقد أصبح لبنان في هذه الايام كله على ما يظهر ، على صورة كمال جنبلاط ومثاله « منام
مخربط » . . . والف رحمة على أحمد الاسعد !

الأزمة في « ويك أند » !

اللغم الذي تحدثنا عنه أمس وقلنا انه انفجر امام الرئيس المكلف الاستاذ رشيد كرامي ،
كما انفجر في الماضي بحكومة صائب سلام .
هذا اللغم يبدو انه لم يكن أكثر من « فرقيعة » صغيرة او فتيسة غايتها استلقات الانظار
والاسماع .

فقد تبين ان الأزمة التي نخيل لنا انها أزمة مستعصية الحل ، كما نخيل كذلك للرئيس المكلف ،
لم تكن الا مزحة من المزحات التي تسبق عادة المشاورات قبل تشكيل الحكومات . وليس
في واقع الحال الا بمثابة الديكور للفيلم ، والملابس للتمثيلية المسرحية . . .
وكان ينبغي ان تطول الأزمة — أزمة التكليف والمشاورات والمناورات — كيما يقوم في
روع النظارة من المواطنين ، بان الرواية جدية لا هزل فيها .

والمواطنون ، جميع المواطنين ، يعلمون حق العلم انها رواية هزلية لا أثر فيها للجد والرصانة !
ذلك أن تكليف الرئيس الشاب رشيد كرامي تشكيل الحكومة قد صدر مساء الاربعاء ،

وكان مقدراً ان تتم نهاية الرواية كما بدأت فصولها الاولى ، على أثر انتهاء الاستشارات التي قام بها رئيس الجمهورية ، وختمت بشكل سريع حاسم . ولكن تبخر يوم الخميس على لا شيء ، وجرجرت ازمة المشاورات والمناورات اذياها الى يوم الجمعة . وقيل انها ستنتهي قطعاً في المساء ... وذهب المساء وأقبل الصباح ، وكان يوم السبت ، والازمة لياها ، ازمة الاستشارات والمناورات والمداورات ، تدور في حلقة مفرغة . . .

الكتل النيابية تريد الاشتراك في الحكومة العتيدة . وكل كتلة لها شروط ولها طلبات ينبغي ان تنفذ والا . . .

والوزراء ، موضوع « كفشلة » الحكومة السلامية يغنون العودة والاشتراك مجدداً في الحكم ، ولكن على ان يحتفظوا بمقائهم الوزارية الماضية . . .

ورئيس الحكومة الكرامية العتيدة يصير على عدم الرضوخ لمطالبهم . . .

وقيل ان الاستاذ كرامي اعتذر لرئيس الجمهورية عن عدم تمكنه من تشكيل الحكومة ، والتمس منه تشكيلها من خارج المجلس . ولكن رئيس الجمهورية رفض اعتذار الرئيس المكلف . وفهم في النهاية أن تشكيل الحكومة قد بات أمراً مفروضاً منه . وان الوزراء الذين تعتوا وتشبثوا بكراسيهم القديمة مستعدون للعودة عن تشبثهم وعنادهم .

واذا ، وما دام الامر كذلك فما هو مبرر ضياع الوقت وقتله في المناورات المكشوفة والمداورات المفصولة ؟

اذا كانت الغاية منها هز العصا في وجوه النواب وارهابهم ، باللجوء الى حل المجلس — قرة عيونهم ومنتهى آلامهم وامجادهم — فلقد نجحت مناورة التخويف بمجيء حكومة من خارج المجلس ، ووضيخ النواب كئلاً وافراداً . ذلك ان المعنى الظاهر ، لا المستتر ، من تشكيل حكومة من خارج المجلس ، معناه استعجال حكم الاعداء على المجلس قبل أوانه . . . وما من احد من النواب ، ولو كان أزمداً الزاهدين ، يقبل بقصف عمر المجلس قبل الاجهاز على قطف ثماره حتى آخر دقيقة بل آخر نسمة من حياة المجلس .

ولو ان جرجرة الازمة واستمرارها امر فيه شيء من الفكاهة والتسلية يدفع السأم عن المواطنين ويدخل البهجة الى نفوسهم ، لكننا اول المطالبين باستمرارها الى الابد ، لا الى ما يشاء المسؤولون وحسب .

فليس أحب على نفوس اللبنانيين ، من ان يروحوا عن أنفسهم بمشاهدة الطرائف والفكاهات التي تنسيهم ما عانوه ويعانونه من هموم وآلام ومنغصات !

جميل أن تصبح الازمة في « ويك اند »
وأجمل من ذلك ان يتمتع اللبنانيون انفسهم بقضاء « ويك اند » بعيداً عن هذه الازمة
التي لا تحمل معنى واحداً من معاني الفكاهة والتسلية ، بعد أن فقدت كل معنى من معاني الجدل
والرصانة !

الفصل الأول لرواية الحكومة القديمة - الجديدة !

وكما تتم اعسر الولادات ، تمت أخيراً ولادة الحكومة . ففي اليوم التاسع - لا الشهر التاسع -
تمخضت المشاورات والمناورات والمداورات عن تشكيلة حكومية ضمت ١٤ وزيراً « تناتش »
اعضاؤها الحقايب الوزارية وتركز « التناتش » على حقيقتي المال والاشغال ، موضوع الازمة
الاستشارية التي طالت والتي قبل حتى مساء امس وقيل اعلان التشكيلة بساعات بل بدقائق
معدودات ، ان الرئيس المكلف قد أعلن عجزه عن تأليف الحكومة وأنه اعتذر او سيعتذر
نهائياً !

وفجأة وكما يحدث في الحكايات حدثت المعجزة ، وجاء البطل فأنقذ الموقف ، وتعالى
المتاف والتصفيق ولعلت الزغاريد فرحاً وابتهاجاً بالنصر العظيم الذي احرزه الابطال في تغلبهم
على الازمة الناشبة وتغليبهم المصلحة العامة على المصالح غير العامة !

لقد تركز الصراع بين الرئيس المكلف وبين رئيس الكتائب على وزارة المالية . فرييس
الكتائب اشترط لاشتراكه في الحكم ان يكون وزيراً للمال . واشترط الرئيس المكلف بدوره
ان يكون هو دون سواه وزيراً للمال .

واشترط كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي العربي اللبناني الاشتراكي ، ان يحتفظ
بوزارته القديمة « النافعة والاشغال العامة » وقال ما معناه « يا فيها يا بلاها » !

وأعلن منذ البداية رئيس الكتلة الوطنية الاستاذ ريمون اده ، انه لن يشترك في حكومة تضم
احداً من أهل المتاريس والحنادق . واشترط لاشتراكه في الحكم ان لا يمثل أحد منهم في الحكومة
العتيقة . واشترط . . واشترط . . واشترط الى آخر الشروط التي وضعها كل رئيس حزب او
كتلة ، بل كل نائب دعي او لم يدع للاشتراك في الحكومة .

فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة ان تواضع كمال جنبلاط وتنازل عن وزارة الاشغال ليشغل وزارة الداخلية .

ومن يدري فلعله آتس في نفسه الخبرة والدراية بالشؤون الداخلية ، إن لم تكن أكثر فلا أقل من خبرته ودرايته بشؤون النافعة والاشغال العامة .

واسندت وزارة الاشغال الى رئيس الكتائب بالاضافة الى منصب وزير دولة لشؤون السياسة المالية .

والمعنى الذي لا يخفى على اللبيب من اسناد هذا المنصب للشيخ ييار الجميل ، اعطاؤه حق المناكفة الدائمة والمشاجرة المستمرة مع رئيس الحكومة — وزير المالية !

هكذا انتهت أزمة الاستشارات وهكذا تم تأليف الحكومة . أما سائر الحقائق الوزارية فكان توزيعها أشبه بالعمل الروتيني الذي لا يدور بسببه خلاف او خصام .

واما قبول الكتلة الوطنية بالاشتراك في الحكم ، فهو أيضاً يدخل في باب الاعمال الروتينية التي لا تقدم ولا تؤخر شيئاً من واقع الحال ، بالرغم من التصاريح السابقة التي اعلنها رئيس الكتلة الاستاذ ريمون اده من انه « لم ولن يشترك في حكومة يدخلها أهل المتاريس » وبالفعل فان رئيس الكتلة الوطنية لم يشترك في الحكم ولكن احد اعضاء حزبه اشترك ومثل الكتلة في الحكومة !

* * *

وبعد ، هذه هي الخاتمة لمقدمة الفصل الاول من رواية الحكومة الجديدة التي سوف « تكرر » فصولها في الايام القادمة .

ومن يدري ، فقد تنوقف في المشهد الاول للفصل الثاني من الرواية ، وقد لا تنوقف وتستمر ...

المهم ان نتساءل من هو الغالب ومن هو المغلوب في هذه التشكيلة الجديدة ؟

أغلب الظن ان شرعة « لا غالب ولا مغلوب » قد تمثلت أصدق تمثيل في تشكيل هذه الحكومة . فلقد تمثلت المعارضة كما تمثلت الحكومة القديمة سواء بسواء . ولا عبرة لخروج صائب بك من الحكم طالما ان شركاءه في المتاريس ممثلون في الحكم ، ففيهم البركة وفيهم الواجب . . .
ففيهم البركة التي ستحل على البلاد بوجودهم في الحكم .

وفيهم الواجب بتمثيل المتاريس التي رفعتهم الى كراسي الحكم . . .

وكل حكومة والمتاريس بخير !

الصورة الكاريكاتورية في الحكومة الكرامية .

إذا كان من حق الرئيس كرامي علينا ان نصدقه القول ، لما نعرفه فيه من استقامة ونزاهة ، فان من حقنا عليه ان نطالبه بالقراءة والمطالعة . فليس أضر برئيس حكومة مسؤول ، من اغفال ما يكتب عنه سواء اكان مدحاً أم ذماً ، وسواء اكان الكاتب محباً مؤيداً او معارضاً كارهاً .

واذا كان يجوز لرشيد كرامي خارج الحكم ، ان يغفل عن قراءة الصحف ومتابعة ما يجري حوله ، فانه لا يجوز ، ولا ينبغي ان يجوز لرئيس حكومة يريد أن يحكم ، ولا سيما اذا كان هذا الرئيس في مثل استقامة ونزاهة رشيد كرامي !

نحن نعلم ان الارث الضخم ، الذي خلفه وراءه ، رجل الكرامة والترفع والكبر ، عبد الحميد — عبد الحميد كرامي طبعاً — لا يمكن ان يذهب هباء ، ولا بد انه قد ترك أثراً ورصيداً في حساب رشيد كرامي. اننا لا نطالبه بان ينهج المنهج الذي اتبعه والده الطيب الذكر في الحكم ، يوم كان الحكم يسعى اليه سعياً ويفر منه عبد الحميد فراراً . فلكل زمان دولة ورجال .

ولكننا نطالب رشيد كرامي ، وهو من نعرف ، ان يفتح عينيه على ما يجري حوله ، وان يفتح بالتالي أذنيه لكل ما يقال ويداع ويملاء الاسماع .

وأبسط ما يقال في هذه الحكومة الجديدة ، انها ليست الا استمرار ، بل نسخة طبق الاصل عن الحكومة القديمة .

ويعلم رشيد كرامي جيداً رأي الناس جميعاً في الحكومة الماضية ، لان الناس ، جميع الناس ، يعلمون أيضاً رأيهم فيها . فما زالت كلماته وتصاريحه وبياناته في معارضتها ، تدوي في جنبات المجلس ، وفي الصحف ، يوم كان يحمل لواء المعارضة ، الى جانب من حملوه الحكم ، ثم ابتعدوا عنه وانضموا الى من كان يعارض ويعارضون !

وهل ثمة من صورة كاريكاتورية أعجب وأغرب من هذه الصورة ؟

ان الذين تمخلى عنهم والذين تمخلوا عنه انما يعبرون في تخليهم وفي تخليه ابلاغ تعبير عن هذا الواقع المبحزن المضحك الذي تتقلب فيه الحكومة اليوم !

وليس يوازي هذه الصورة الكاريكاتورية في غرابتها ، ولا أقول في طرافتها ، غير الصورة الهزلية المضحكة التي بدا من خلالها الوزيران — موضوع الازمة في الماضي والحاضر والمستقبل —

في كتاب استقالتهما السوري وهذا هو بنصه وفصه :

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية المعظم

باطلاع وبواسطة دولة رئيس مجلس الوزراء الافخم

تذكرون ولا ريب اننا قبلنا الاشتراك في الحكومة الجديدة تسهيلا لمهمتكم وتعاوناً مع دولة رئيس الحكومة وزملائنا الوزراء ورضينا بتعييننا وزراء دولة مكلفين بمهام معينة ، لكننا لا نرى من مصلحة الحكومة ولا من كرامتنا ان تثار مناقشة وتستمر على مسألة انطباق هذا التعيين على الاعراف البرلمانية مع العلم اننا لا نغير هذا التعيين اهمية شخصية . لذلك ، ورغم اعتقادنا بان هذا التعيين لا ينطوي على أية مخالفة وحسماً للجدل حول هذه المسألة الشكلية ، فاننا نتقدم باستقالتنا من مناصبنا كوزراء دولة تاركين لكم اجراء ما ترونه ملائماً .

وتفضلوا يا فخامة الرئيس بقبول اسمي عواطف احترامنا .

٤ تشرين الثاني ١٩٦١ بيار الجميل كمال جنبلاط .

وأشد ما يثير الضحك والعجب في هذه الاستقالة عبارة :

« مع العلم اننا لا نغير هذا التعيين اهمية شخصية » !

ولقد بلغ الوزيران ذروة الدروة في قولهما :

« ورغم اعتقادنا بان هذا التعيين لا ينطوي على أية مخالفة . . . » !

واذاً من أجل ماذا كانت الازمة ؟ ومن أجل أي شيء كانت الاستقالة ؟

وهل يحسب الوزيران — موضوع الازمة في الماضي والحاضر ، وموضوع كل أزمة في المستقبل — هل يحسبان ان الناس فقدت عقولها ، أو هي من البساطة الى درجة تصدقهما في قولهما :

« اننا لا نغير هذا التعيين اهمية شخصية » ! سبحان الله العظيم . . . إلى هذا الحد بلغ استخفاف الوزيرين القطيين ، القطب المتجمد الشمالي والقطب المتجمد الجنوبي ، في تلاقيهما باستخفاف عقول الناس ؟

وهل تحسب يا رئيس الحكومة يا رشيد كرامي ، انك اذا صدقتهما انت ، سيصدقهما الناس ؟

* * *

رحمة بنفسك يا ابن عبد الحميد كرامي . واعلم ان من حقنا عليك ان نصدقك القول ، أكثر مما نصدق قولك !

أشخاص

أمس شاهدت الجامعة العربية — طبعة حديثة منقحة ومزينة بعد اجتماعات شتورا — شاهدتها أمام مقهى « الدولتشة فيتا » في شخص الشاعر البيروتي الظريف الاستاذ شفيق ستيتيه . فقد أقبل صاحبنا كعادته عندما يقبل على الناس في افراحهم واحزانهم ، ينهال عليهم باشعاره المنتقاة حسب المناسبات ويظل صوته يلعلع حتى يظفر بحاجته المعهودة : الضرب والدفيش . . . ثم خمس ليرات وهذا أضعف الايمان . . .

وراحت عينا الشاعر تفحص وجوه الجالسين من رواد المقهى حتى استقرت على النائب الاستاذ أحمد اسبر ، فحط عليه كما يحط الطائر على الغصن . . . وغاص ناظم العكاري في مقعده ، وكان يجلس وسط افراد عائلته ، وهو يدعو الله ان لا تقع عليه عين الشاعر . ولاحظت أن صوت صاحبنا كان خافتاً هادئاً على غير عادته فحسبت انه قادم من حفلة مأتم او عرس ، ولكنني لم ألث طويلاً حتى علمت منه أن صديقنا النائب اسبر قد اتفق مع ستيتيه على أن يعطيه كل سنة مائة ليرة ويكف لسانه واشعاره عنه .

وانطلق الشاعر العاقل الذي يحسبه الناس مجنوناً — انطلق يتحدث عن كل شيء ويعطي رأيه برجال السياسة فصائب سلام رجل عال لانه يضربه ثم ينقده الضريبة المعهودة . أما رشيد كرامي فانه لا يعطيه ولا يضربه ويقول ستيتيه متحسراً « يا ريت رشيد بك يضربني » ! وفجأة صاح شفيق ستيتيه « هالدولة ما عاجبتني » ولم تكن بحاجة لان نسأل السبب ، فقد قال انهم القوا عليه في السراي سطل ماء ساخن عندما ذهب لمقابلة المسؤولين ومطالبتهم بانصافه ومعاملتهم له اسوة بحامل الصليب « ادمون خياط » . وقال شفيق ستيتيه انه معلم المرحوم بطرس عيد الديب وان ادمون خياط كان صانعاً عنده . وان فكرة البحث عن الضمير فكرة سخيفة باعتبار ان الضمير شيء غير محسوس وغير موجود فكيف يمكن البحث عن شيء غير موجود ؟ وتابع ستيتيه يقول ان الدكتور محمد خالد اقترح عليه ان يحمل خشبة يرفع فوقها هلالاً اسوة بصاحبه الذي يرفع الصليب واقترح عليه احدهم ان يحمل الصليب والهلال ، ولكنه استدرك قائلاً انها فكرة غير مثمرة وان فكرة الدكتور خالد أجدى وانفع باعتبار ان المادة ٦ و٦ مكرر تتيح له الافادة بشكل رسمي مشروع .

وانبسطت اساريه وقرر ان ينفذ الفكرة من الصباح الباكر خاصة بعد ان فشلت روايته القديمة وتمتره التقليدية التي ظل يرددتها سنوات طويلة وهي المطالبة برخصة دخان !

وما ان ابتعد ستيتيه قليلاً ، ونحن وناظم بك نحمد الله على بعاذه ، حتى لعلع صوته يردد أحياناً من الشعر في تقرير لبنان والعدالة في لبنان . . . واقبل شرطي يحاول اخماد صوته ، ولكن

صوته زاد في اللعنة وراح يهدد الشرطي قائلاً بأنه صديق شخصي لمدير البوليس الجديد.. ويعيش مدير البوليس وانطلق ستيتيه يرص كيفما اتفق بضعة أبيات من الشعر في تحية المدير . . . وما ان ابتعد الشرطي عنه قليلاً حتى عاد صاحبنا الى الصراخ :
« هالدولة ما عاجبتني ! »
لقد تذكر على ما يبدو سطل الماء الساخن الذي القي عليه صباحاً في سراي الحكومة !

* * *

حقاً ، لست أدري لماذا تذكرت الجامعة العربية عندما شاهدت شاعرنا هذا . فقد رحت اعقد الشبه بينها وبينه ، فلم أجد كثير فرق . . . انها تحمل الحجب والذرائع التي يحملها شفيق ستيتيه . وهي ترفع من حيث تدري اولاً تدري ذات الشعارات التي يرفعها الشاعر البيروتي . . . بل انها اداة اكثر طواعية من أداة الشعر الذي يتذرع به ستيتيه للوصول الى مبتغاه : الحمد والشكر والتقريظ تارة . والصراخ والعتاب والتقريع والهجاء تارة أخرى . وهي — أعني الجامعة — في جميع حالاتها كسمار جحا ، او على الاصح الادق كشعر شفيق ستيتيه سواء بسواء . . . بل انها أصبحت في الاونة الاخيرة على صورة الشاعر شفيق ستيتيه تماماً . ساعة بطربوش وساعة من غير طربوش . مرة تهنيء ، ومرات تعزي . أحياناً تبتهج وأغلب الاحيان تبتس وتشكو . . . فسبحان من ليس له شبيه !

شيء جديد !

سينسى الناس في لبنان كل ما رافق ولادة هذه الحكومة الجديدة ، وسينسون انها حكومة جديدة ، وما هي في الحقيقة بجديدة ، لينذكروا منها شيئاً واحداً ، هو طريقة ادوار حنين في ترك الكرسي الوزاري .

وبالفعل اذا كنا نشكر رشيد كرامي على أمر في هذه المرة ، فهو انه أعطى الحكم ، ولو ليومين ، لشخص عنده من الادب السياسي ، ما يجعل الكرسي الوزاري ، يهون ويرخص ، عندما يكون هو في جانب ، والادب السياسي في جانب آخر .

سنشكره على الاربع وعشرين ساعة التي أمضاها ادوار حنين ، أكثر مما نشكره على جميع الشهور التي سيقضيها جميع الوزراء الآخرين على كراسيهم طيلة مدة ولاية الاستاذ رشيد كرامي . ان معرفتي بادوار حنين ، معرفة سطحية . واعترف بانني لم أكن أكن لهذا السياسي ، الذي أحترم ثقافته وقلمه اي عاطفة خاصة ، اذ انني كنت ولا ازال أشعر ، انني من حيث الاتجاه السياسي والرأي الوطني في واد ، وادوار حنين في واد آخر .

ولكن ادوار حنين قد استحق عندي باستقالته الاخيرة ، ما ندر ان استحقه سياسي آخر ، من طلاب الكراسي والمغانم !

لم يستقل ادوار حنين ، لانه خاف حزبه . فالكتلة الوطنية ، ليست تلك الكتلة السياسية ذات الانضباط الرهيب المخيف . والخروج منها ، لا يعني بالضرورة ، خروجاً من الوجود السياسي الى العدم . ولا يعدم ادوار حنين ، اذا هو ترك الكتلة الوطنية ، ان يؤمن كروسيه النيابي ومركزه السياسي عن طريق أخرى .

ولم يستقل ادوار حنين ، لانه احتقر حصته في الحكم . فالوزارة التي اسندت اليه ، وزارة محترمة ، وفيها من امكانيات النجاح والشهرة ، وفيها من الموارد المالية ، ووسائل « تنفيج » الناس ، ما يجعلها وزارة مرغوبة مطلوبة . خصوصاً اذا عرفنا انها الوزارة المثالية بالنسبة لمن يدخل الحكم مزوداً بالزاد الثقافي الذي يتزود به ادوار حنين .

ولم يستقل ادوار حنين خضوعاً لتيار طائفي — خندقي مراسي ، من النوع الذي يغري رجال السياسة اللبنانية بركوبه ، تأميناً للزعامات الفارغة ، والوجاهات الضمحلّة ، وضمماً للمنافع التي يضمونها مثل هذا التيار ، لكل من يركبه .

لم يستقل ادوار حنين ، لا لهذا السبب ولا لذلك ، ولا لذلك من الاسباب . انما استقال لسبب واحد لا ثان له . هو انه رأى في البقاء في الحكم ، على الرغم من اجتهاد اخوانه ، مجافاة للاداب السياسية الراقية .

فضل ادوار حنين ان يعيش السياسة بالمعنى الراقي ، ولو ان ذلك لا يعني شيئاً عملياً في لبنان ، على ان يكون صاحب معالي . طائل اليد في المنافع « والتنفيع » ، متوجهاً مستوجهاً ، متمتعاً بكل ما للوزارة من امتيازات .

ولهذا استقال ادوار حنين ، ضارباً المثل لطبعة سياسية برمتها ، طاعناً في الصميم تلك القاعدة السياسية البالية الرخيصة ، التي تقول بالوصول بأي ثمن وبأي شكل !

* * *

غداً ، إذا اراد ادوار حنين ان يقول لرئيس الحكومة مثلاً ، لماذا تركت زملاءك في المعارضة ،

واتفقت مع بيار الجميل وكمال جنبلاط وغيرهم من اعضاء الحكومة الخندقية المتراسية السابقة .
اذا اراد ادوار حنين ، ان يوجه مثل هذا القول لرئيس الحكومة او لاحد الوزراء ، سيكون
لكلام ادوار حنين وزن ليس لكلام غيره ، لانه يكون مطالباً غيره بأن يفعلوا ما فعله هو ،
وان يتقيدوا بما تقيد به هو !
عند ذلك ، وعند ذلك فقط ، يكون قد دخل في البرلمان اللبناني شيء اسمه السياسة الراقية
التي لا ترفع كلمة الحق الا لتعني القصد الحق !

الله يا دنيا !

« أبغض عدوك هوناً ما ،
عساه يكون حبيبك يوماً ما .
وأحب حبيبك هوناً ما ،
عساه يكون عدوك يوماً ما » !

* * *

الله الله يا دنيا . . .
كمال جنبلاط يتولى مهمة رسمية تجاه سورية . . . وما هي هذه المهمة ؟ انها إعادة العلاقات
« الاخوية الودية الطبيعية بين الشقيقين العزيزين لبنان وسورية . »
لم أصدق وانا أقرأ الخبر !
كمال جنبلاط ، كمال جنبلاط قائد قوات الثورة ، ورئيس دولة الشوف ، والرجل الذي
قال لعبد الناصر في آخر زيارة له لدمشق « لو استطاعت جبال لبنان وأنهاره ووديانها وازره ،
ان تزحف اليك لرحفت » .
كمال جنبلاط هذا يقوم اليوم بتكليف من حكومة لبنان بتحسين العلاقة وشد الاواصر مع
الحركة الرجعية الانفصالية الكزبرية النحلوية العصابية الاستعمارية !

الله الله يا دنيا !
أصبح أن العالم يتغير بهذا الشكل وبهذه السرعة ؟!
أصبح أن التغير بلغ في لبنان هذه الدرجة من البساطة ، وهذه الدرجة من الآلية وهذه
الدرجة من المقبولية ؟!
أصبح أن مثل هذا التغير ظاهرة طبيعية وعرف غير معترض عليه في هذا البلد ؟

الله الله يا دنيا !

أحقاً ان الصوت الذي قال بالامس : « يجب ان تبقى علاقاتنا مع دمشق الحالية كما كانت علاقاتنا معها في السابق . . وكأن شيئاً لم يكن . » هو هو صوت كمال جنبلاط ؟
صوت كمال جنبلاط الذي كان يزأر في وجه خصوم عبد الناصر والذي كان يتحول الى قيامة حنون عندما كان يمدح عبد الناصر ؟

الله الله يا دنيا !

أهذا هو كمال جنبلاط ؟

كمال جنبلاط المثالي . كمال جنبلاط الزاهد . كمال جنبلاط المتكشف . كمال جنبلاط البيوعي . كمال جنبلاط صاحب المبدأ الذي أشاع عن نفسه اثناء الثورة الماضية وبعدها ، انه هو وحده الذي لا يتغير ولا يتبدل ؟

الله الله يا دنيا !

أليس هو الذي قال اول امس في تصريح ان سلطان باشا الاطرش قد كلفه ان يشجب الحركة الانفصالية الكزيرية الاستعارية الرجعية ؟ ثم أليس هو الذي كتب في جريدته « الانباء » ما كتب في مدح عبد الناصر ومدح السراج ما لم يكتب مثله لا محمد حسنين هيكل ولا غيره ؟

الله الله يا دنيا !

لقد أصبحنا في هذا البلد ، ونحن لا ندرى ما الذي يجوز وما الذي لا يجوز ، ما هو الممكن وما هو غير الممكن ، ما هو المبدأ وما هو القلب ، من هم المثاليون ، ومن هم غير المثاليين ، من هم الثابتون ، ومن هم الزئبقيون !

الله الله يا دنيا !

أهذا الناصري الكبير ومن هم مثله يتركون عبد الناصر ؟

عبد الناصر الذي أيدهم يوم لم يكن لهم مؤيد ، ونصرهم يوم لم يكن لهم نصير ، ومكنهم من ان يعودوا عمالقة ، بعد أن حولهم شمعون الى أشخاص عاديين ، وأمدهم بكل ما يمكن ان يمد انسان انساناً ليكبر ويتعظم ، وينمو ويتضخم ؟ !

الله الله يا دنيا !

لقد كنا نحسب كمال جنبلاط تاركاً عبد الناصر ، ولكننا لم نكن نحسبه اول التاركين ! وكنا نقول ان الدهرية ستتغلب في كمال جنبلاط على السماوية ، فيدعن لنداء المصالح والمنافع ، ولكننا لم نكن نظن ان هذا سيتم بهذه السرعة وبلا مقدمات ، وقبل ان تتقدم الحكومة بالثقة الى المجلس .

الله الله يا دنيا !

اليوم كمال جنبلاط ، وغداً صائب سلام ، وبعد غد عبد الله المشنوق ، وتكر المسبحة . . .
ناصرياً بعد ناصري وثائراً بعد ثائر ، وبطلاً بعد بطل ، ومتراساً بعد متراس . . الى ان يعود
الى دمشق جميع من استوردوا الوطنية والثورية والمصلحة العامة من دمشق !
الله الله يا دنيا !

بل الله الله يا لبنان . يا بلد العجائب . كم فيك من المبادئ المزورة ، والعقائد الملتفة ،
والزعماء المرتجلين . يا بلد الصلح بعد الخصام والورد بعد الشوك والعناق بعد الخناق ، والوصل بعد
الهجر . . . ويا حكم المصالح الخاصة من قبل ومن بعد !

« على عينك يا تاجر » !!

للمرة الاولى منذ انتهاء « الثورة — الفتنة » في لبنان ، يدرس النواب بصراحة وجراً تلك
الجريمة القومية التي ما زال اللبنانيون يعيشون آثارها حتى يومنا هذا .
ان معالم الصورة البشعة لثورة ١٩٥٨ قد اتضحت في أذهان اللبنانيين وقلوبهم من زمن بعيد .
ولكن هذه الصورة لم تنعكس تحت قبة البرلمان الا في جلسة الثقة الاخيرة .
والحق يقضي علينا بأن نعرف بأن بين النواب الذين عاجلوا هذا الموضوع ، من وفاه حقه
كاملاً ، فلم يترك فيه زيادة لمستزيد .
وقد عومل قادة الثورة — الفتنة في جلسة الثقة من قبل النواب معاملة المسؤولين الذين وضعتهم
اعمالهم أثناء الثورة في قفص الاتهام ، لا أمام البرلمان وحسب ، ولا أمام الرأي العام ، بل أمام
التاريخ .

وكان من المشاهد المشرفة للحياة البرلمانية في لبنان أن يشهد اللبنانيون نائباً مرموقاً كالأستاذ
كاظم الصلح يقف على منبر المجلس ليدعو قادة الثورة — الفتنة الى التواري في الظل بعد ان
فشلت ثورتهم وقادت البلاد الى أقبح مصير ، وكذبت امام العالم سمعة لبنان القائلة بأنه بلد
الحضارة والرفي والتقدم !

فكمال جنبلاط ، أحد قواد الثورة — الفتنة اتهمه فضل الله تلحوق بان اسمه قد ورد في
لائحة القابضين من بلد شقيق !

وقال الير نخير : ان كمال جنبلاط قد ارتكب من الذنوب ما يكفي لوضعه في السجون
الى ابد الابد . . . وانه أخذ من دولة شقيقة خمسة آلاف بندقية لم يسلم بندقية واحدة منها ،

بعد أن أدت هذه البنادق واجباتها . . .

لم ينف كمال جنبلاط تهمة واحدة من سيل التهم الصريحة الواضحة والمركمة التي وجهت اليه ، بل حاول ان يشرك غيره في المسؤولية ويتهمه بالتخلف عن القيام بها . . . وكأنها واجب ! ثم كانت منه تلك الكلمة الفلسفية الخلزونية التي لم يفهم احد ممن سمعوها ماذا يقصد من ورائها . . . وتساءل الناس ترى هل هي جواب على اتهامات المتهمين ، ام هل هي مجرد تغزل عاطفي روعي يوغى بالشيخ بيار الجميل وبمتراسه الذي انجذب فجأة فاندمج فتلاشى في متراس كمال جنبلاط ، ليقوم المتراسان بالحرب ضد « الاستعمار والاقطاعية » !

وحسناً فعل قادة الثورة — الفتنة بسكوتهم حين لزموا السكوت ، وبغموضهم حين تكلموا . اذ ما عساهم ان يقولوا ، ونتائج اعمالهم واضحة والثورة موضع كراهية اللبنانيين جميعاً ، فضلاً عن تغير مواقف هؤلاء القادة بين ليلة وضحاها ، وكأن لا ثورة وقعت ولا أرواح زهقت ولا شعارات رفعت ، ولا وطن نكب ! فالمهم ان المصالح تأمنت والكراسي استقرت والسناجق ارتفعت ، والموائد صفت ليأكل منها أعداء الامس اصدقاء اليوم !

* * *

الشيء الجديد الذي ظهر في جلسة الثقة الاخيرة : ان قادة الثورة — الفتنة ، كانوا يأكلون بالامس على مائدة ثمار الثورة بمعزل عن أعين الناس . . . فأصبحوا اليوم يأكلون وليس في البلاد عين واحدة لا تراهم !

دولة المتاريس الى زوال !

لعل أجل خدمة قدمتها المعارضة البرلمانية الى الحكومة كحكومة ، هي انها وجهت هجومها المركز على الجناحين (المتراس الشوفي والمتراس الكتائبي) مما حمل هذين المتراسين في ليلة الثقة على التظاهر بتناسي ما بينهما من بغضاء لدودة ، والتجمع معاً في متراس واحد وقف فيه كمال جنبلاط وزير الداخلية يدافع عن بيار الجميل ، وزير الاشغال العامة ، والعكس بالعكس . والواقع هو ان هذا التجمع الفجائي في جلسة الثقة ، الذي لم يكن منتظراً لا عند رئيس الحكومة ولا عند أعضائها الآخرين ، انما هو محاولة الدفاع عن النفس من ناحيتين :
الناحية الاولى هي الوقوف قدر المستطاع في وجه شدة الهجمات وبراعتها .

والناحية الثانية هي أن المتراس الكتائبي بحاجة ماسة في الظرف الحالي الى وزير الداخلية ، وان وزير الداخلية في الوقت نفسه بحاجة ماسة لتقوية حزبيته الى سكوت المتراس الكتائبي عنه ، خاصة وان الاعتدة في المتراسين ، تفرض بطبيعة وجودها ومستودعاتها ، على المتراسين ان يتظاهرا بروح المحبة والولاء والتفاهم . . .

غير ان ليلة الثقة جعلت المتراسين بعد الثقة بالنسبة لعمل الحكومة ، ناحية الضعف فيها ، وتركت ولا شك لرئيس الحكومة الذي امتدح في جلسة الثقة هذا الولاء الكتائبي - الجنبلاطي ، مسيطراً على الجناحين ، باعتبار انهما في مجلس الوزراء وجلساته ، وكأنهما متراس واحد سهل على رئيس الحكومة القضاء عليه او التخلص منه ساعة يشاء . وذلك لان دفاع كمال جنبلاط عن بيار الجميل والعكس بالعكس ، يضعف كل منهما ويكون منهما معاً في متراس واحد نقطة الضعف في معركة ، او بالاحرى في معارك مجلس الوزراء القادمة قريباً .

اذ انه من اشهر خطط المعارك حتى الحرية منها ، هي أن لا يقاتل الجيش الواحد على على جبهتين في آن واحد !

أما وقد التقى العدوان في متراس واحد ، في خندق واحد في خط واحد ، فقد أصبح بطبيعة الحال سهلاً على رشيد كرامي خصمهما المعروف ، أن ينتصر عليهما اذا شاء فيخرجهما ويخرجهما اذا استطاع كأنهما متراس واحد ، فلا تتصدع الحكومة ولا تكون كما كانت حكومة صائب سلام ارجوحة بين كمال جنبلاط وبيار الجميل صاحبي الدولة ، دولة الشوف ودولة المتن !!

لقد فتح هذان الوزيران في عهد الحكومة السلامية السابقة دولتين على حسابهما الخاص ، بمعزل عن الدولة اللبنانية ، فجاءت المعارضة تقفل الدولتين وتنتزع منهما حتى اللقب ، فلما قدما استقالتهما من وزارة الدولة ، وهي غير موجودة دستورياً ، لم يقدموا الا من حساب نفوذهما على الدولة ، وهكذا جردتهما المعارضة من وهمين كبيرين الاول اعتقاد كل منهما انه دولة ، والثاني اعتقاد كل منهما انه متراس قائم بذاته يفتحه متى شاء ويغلقه متى شاء !

وفضل المعارضة ، انها مزقت القناع قبل الجلسة وبعدها ولم يكن رئيس الوزراء بغريب عن هذا التمزيق . فلما وقع ما وقع تسلم زمام المبادرة منهما ، وهو الخبير بالمتراس واعتدتها ، ووقف يصرح ان لا خلاف في مجلس الوزراء ، بل هناك انسجام تام ، وكأننا به يسمع المتراسين انهما اذا عادا الى المتراس اعدا الانسجام الى وزارته بدونهما . والمثل العامي يقول « ما مت ما شفت غيرك كيف مات » ١٩

أما المثل الفصيح فيقول أيضاً « العاقل من انتعظ بغيره » !
ولقد كانت امثلة الوفاء الامثل التي اعطاها كمال جنبلاط في موقفه من رئيسه السابق وزميله
في المتراس ، أبلغ امثلة يتخذها رئيس وزراء في لبنان من رئيس وزراء في لبنان !

أشخاص

من حق اللبنانيين الذين آلمهم وأذهلهم الاعتداء على النائب الاستاذ نسيم مجدلاي ،
وأفرحهم وأسعدهم اعتقال اللجنة الأئمين . . .

من حقهم على الدولة أن يسألوها : وغارو متى يتم القبض عليه ؟

فالبنايون جميعهم ، لم يشكوا لحظة واحدة بقدرة الدولة على فرض هيبتها عندما تشاء ،
وزرع الرعب في قلوب الخارجين على ارادتها ساعة تشاء . فما من كبير الا والدولة أكبر منه .
وما من مجرم عات بالغا ما بلغ من السطوة والقوة الا والدولة أعز منه شأنًا وأقوى منه سلطانًا .

حقيقة بديهية لا يشك فيها اثنان في لبنان . وليس أدل على ذلك الا السرعة التي تم فيها القبض
على اللجنة في حادث الاستاذ مجدلاي . فقد استطاعت الدولة عندما حزمت أمرها ان تكتشف
الجانبي والذين اشتركوا معه بساعات معدودات .

ومن هنا يبرز السؤال الذي يرسم على شفاه اللبنانيين ، ويحوم فوق رأس الحكومة عامة
ووزارة الداخلية خاصة وهو :

لماذا لم يعتقل غارو حتى الآن ؟

وهل كان ينبغي ان يقتل وزيراً أو نائباً أو رئيساً كيما يتم اعتقاله بالسرعة التي اعتقل بها
خلفه ؟

ان جريمة غارو هي جريمة مضاعفة مزدوجة ، لا لانه قتل رجال الشرطة اللبنانية وحماة
الامن ، بل لأنه أتاح الفرصة لغيره أن يقتلوا به ، فكان القدوة لهم باستخفافه برجال الامن
وبالتالي بالامن والطمأنينة التي ظفر ويظفر بها ، الى حد استقباله رجال الصحافة واعطاء
التصريحات واملاء الشروط !

ولو ان الحكومة قتلت القبض على غارو لما تجرأ أحد أن يعتدي على الاستاذ نسيم مجدلاي
وعلى هيئة الدولة بأسرها ، فليس الاعتداء على النائب الا اعتداء صارخاً فاضحاً وقبحاً على كرامة
النواب والوزراء والمواطنين مجتمعين ومتفرقين ! و « جوزيف عون » الشرطي المسكين الذي جندله
غارو برصاصه ، لم يكن ليقتل لو ان الحكومة حزمت أمرها وكانت جادة في اعتقاله فور

ارتكابه جرائمه الاولى ، ولم يكن مصرع الشرطي جوزيف عون بأولى جرائم غارو ، بل كان السلسلة الذهبية التي تزين بها وتباهى ، والحبل الطويل الذي ترك له على غاربه يسرح ويمرح وكأنه دولة ضمن الدولة ! . . .

ويتساءل اللبنانيون ، ومن حقهم ان يتساءلوا وغارو ما يزال حراً طليقاً آمناً مطمئناً :

من يكون هذا الغارو ؟

ما شأنه ، ما قوته ، ما سلطانه ، ومن هي عصابته ، بل من هم حماته ؟

ألديه جيشاً أقوى من جيش الدولة ؟

أيملك مدافع وطائرات ؟

من يكون هذا الغارو كيما يعصى على الدولة ان تكشفه ، ولا سيما دولة في حجم لبنان

وعدد سكان لبنان ؟

هل تراه يحمل تعويذة من سحرة الهند تقيه الاذى ، وتغضض عين الحكومة عنه وكأن بها

قذى ؟ !

أما من تعويذة مضادة تبطل سحر تعويذة غارو ومن هم وراء غارو ؟ !

عندما « يدقق » النواب الكرام !

وقف النائب فضل الله تلحوق على منبر المجلس النيابي ليرد تهمة ألصقها به لسان الوزير

كمال جنبلاط .

وما كاد فضل الله تلحوق يبدأ كلامه ليشرح أبسط وأعدل قضية ، هي قضية الخيار

العقلاء الفضلاء ، ذوي القلوب الرحيمة ، من الزعماء والوجهاء والمواطنين ، الذين رفضوا

ان يجلسوا في الخنادق والمتاريس ويحاربوا أبناء وطنهم الواحد ، كما لو كانوا أعداء .

ما كاد فضل الله تلحوق يفتح فمه ، حتى ارتفعت من مقاعد بعض النواب ضجة من النوع

المعروف في باب مقاطعة النواب أثناء كلامهم .

والثفت الى مقاعد النواب أتساءل : ترى من هي الايدي التي « تدقق » ؟

هل هي الايدي التي لا تتقن من الكلام ومن الفنون البرلمانية ، غير استعمال الايدي في

الضجيج عندما تريد ان تنبري لنجدة زعيم أو مستوجه أو رئيس قائمة ؟

والحق أقول ، ما كان يخطر ببالي ان يكون النواب الذين عبروا عن آرائهم بأيديهم ، هم

النواب الذين رأيت . . .

الامير عبد العزيز شهاب . النائب والسيامي اللامع ، حفيد الامير بشير الكبير ، الرجل الذي يرى فيه الكثيرون الاهلية للكثير من المناصب الرفيعة .

الشيخ بهيج تقي الدين ، أبلغ البلغاء في المجلس وأفصح الفصحاء ، والوزير عدة مرات ، والمرشح دائماً وأبداً للمراكز التي رفعت اليها وترفعه كفاءاته .

عصام بك الحجار ، النائب الذي أجمع عليه الناخبون في منطقته ، سليل البيت الوجيه ، صاحب الشهادات الرفيعة ، الشاب المتميز في دنيا المروءة والاخلاق والدوق السليم .

هؤلاء ، هم الذين شاهدتهم « يدقدون » بأيديهم . . .

ولماذا « يدقدون » ؟

هل لهم مع فضل الله تلحوق خصومة ما ؟ كلا !

هل لهم نحو الثورة التي يريد ان يتحدث عنها فضل الله تلحوق عطف ما ؟ كلا ، بل العكس

تماماً ، فالامير عبد العزيز كان ضد الثورة ، بل كان مدير الداخلية المسؤول أيام الثورة !

والشيخ بهيج ، كان عضواً بارزاً في القوة الثالثة ، أي كان ضد الثورة !

وعصام بك ، كان هو الآخر ضد الثورة ، وآل الحجار بأجمعهم كانوا ضد التيار الجارف

في منطقتهم والبلاد تسجل لهم موقفهم المشرف هذا !

اذن وما دام الحال بينهم وبين فضل الله تلحوق على أحسن ما يرام ، وما دام هذا هو رأيهم

في الثورة ، فلماذا « الدققة » ؟

لا يمكن ان يفسر عملهم الا بتفسير واحد لا ثاني له ، وهو الولاء والطاعة لرئيس قائمتهم

للشوفية كمال بك جنبلاط .

فهل هذا التفسير يليق بالبك والشيخ والامير ؟!

وهل من المواقف البريانية المشرفة لهم ان يقال انهم « دقدقوا » لمجرد ان هذه « الدققة » تشنف

آذان كمال جنبلاط ؟

وهل يعتقد هؤلاء بحق وحقيق ، ان الناخبين في الشوف ، انما انتخبوهم لفضيلة واحده هي

فضيلة « الدققة » والقرعة والمقاطعة والممانعة ، كلما ارادهم كمال جنبلاط ان يدقدقوا ويقرقعوا

ويمانعوا ويقاطعوا . . ؟ !

اذا كانوا يعتقدون ذلك ، فليسمعوا لنا ان نكون اكثر احتراماً منهم لابناء الشوف فنقول :

لا ، ان ابناء الشوف لم ينتخبوهم لانهم مجرد دمي يحركها كمال جنبلاط !

ان ابناء الشوف انتخبوهم لانهم من رجالات البلاد القادرين على تمثيل مناطقهم بكل ما

في التمثيل من معنى .

فلا عبد العزيز شهاب بالمجهول اليتيم ، لا في الشوف ولا في غيره . ولا بهيج تقي الدين بالغريب عن الشوف ، وهو الذي كان ينتج في الانتخابات ضد كمال جنبلاط !
ولا عصام الحجار بالنكرة في منطقة اقترعت لعمه وابيه وأقاربه من قبله .
اذن ما معنى هذا الضياع غير المقبول من اناس محترمين في موكب الجنبلاطية الاقطاعية القبلية الكاملة ؟
ما معنى هذه المبالغة التي لا تعرف حدوداً في الولاء ثم الفناء في الذات الجنبلاطية ؟

* * *

نحن لا نعتب على جنبلاط عندما يتقلب ويلبس لكل حالة لبوسها ، فهي شرعة الاقطاعيين عندما يشعرون ان أيام عزهم تسير الى زوال .
ولسنا نعتب على جوزيف شادر الذي وقف وسار الى المنبر لينزل فضل الله تلحوق عنه ، فهو يمثل الكتائب ، والكتائب وجنبلاط اليوم هما اليوم في متراس واحد ، وعلى مائدة واحدة !
انما عتبنا على النواب الذين ينسون في بعض الحالات لماذا ارسلهم الشعب الى المجلس النيابي ، فاذا بكرامهم وبلغائهم ومأمولهم يعطون لزملائهم النواب أسوأ قدوة ، ويصورون الحياة البرلمانية في لبنان ، أقبح صورة !

اللجنة الخارجية

اللجنة الخارجية في مجلس النواب غارقة في هذه الايام في بحث موضوع تعتبره خطيراً ، ولا ندري اذا كان أحد من المواطنين يوافقها على تقدير هذه الخطوة !
الموضوع هو ايجاد صيغة موحدة بشأن اقتراح قدمه النائب ريمون اده باستنكار أي مشروع وحدوي او اتحادي يمكن ان يعرض على لبنان في الحاضر او المستقبل .
ووجه المشكلة في الامر ، هو ان اقتراح الاستاذ اده ، قد جاء في وضوحه وصراحته فجاً على اسماع بعض النواب وفي قلوبهم ، فثارت على الفور ضد الاقتراح ، تقاليد نوابنا المعروفة في اختراع الصيغ وابتكار الاساليب واستنباط المصطلحات ، لايجاد مخارج لا يموت فيها الذئب ولا يفنى الغنم !
ان النواب يريدون ان يقولوا ما يقول به اقتراح ريمون اده . ولكنهم يريدون ان يقولوه على غير ما قاله !

أنهم يريدون ان يقولوا ان لبنان متمسك بكيانه وحدوده . ولكنهم لا يريدون ان يقولوا انه يرفض الدخول في وحدة .

وهم يريدون ان يقولوا ان لبنان كان وسيبقى بلداً عزيزاً مستقلاً سيداً حراً . ولكنهم لا يريدون ان يقولوا انه لا يرغب في ان يفقد استقلاله في مشروع اتحادي او هلاكي حصيبي !
ومن هنا بدأ السيل يتدفق : اقتراحات ، صيغ ، اجتهادات ، عبارات ، تفصيلات ، تخريجات ، تأويلات . . . الى آخره ، والنتيجة : اختلافات ، منازعات ، مشادات . . .
تأجيلات !

وهكذا وجد اللبنانيون انفسهم في الصباح التالي لاجتماعات اللجنة الخارجية ، عاجزين عن فهم ماذا تريد اللجنة الخارجية ، وماذا تقترح ، وما رأيها بهذه المواضيع التي نراها مفلوثة في هذه الايام على أعمدة الصحف السبعة . . .
وانطلقت بين الناس الاسئلة :

لماذا لم يوافق النواب على اقتراح ريمون اده ؟

لماذا لم يوافقوا على اقتراح عبد العزيز شهاب المضاد ؟

لماذا لم يأخذوا برأي اميل البستاني ؟

لماذا لم يطرحوا هذه الاقتراحات جانباً ويستبدلوها باقتراح آخر ؟

ولقد ترك كل سؤال من هذه الاسئلة شيئاً من الغموض في نفس كل قارئ وكل متتبع للاخبار .

ولم يقلل من هذا الغموض تكرار الالفاظ المألوفة عنده أثناء رواية وقائع الجلسة : الميثاق الوطني ، الجامعة العربية ، المسلمون ، المسيحيون ، الوحدة الوطنية ، الاتفاق . . .
فقد تعود اللبناني ان يمر بسرعة على هذه الالفاظ ولا يقف امامها وقفة المتأمل المتفحص !

* * *

نخطر لي وانا اطلع على ما دار في جلسة اللجنة الخارجية ، ان اكرس قلبي في هذه الفترة الاخيرة ، في موضوع واحد ، هو دعوة السياسيين على اختلافهم ، لان يتكلموا بلغة واضحة ، والفاظ مفهومة ، وعبارات صريحة ، وان يتركوا الغمغة والجمجمة والهمهمة والدمدمة . فالبلاد في حاجة ماسة الى الوضوح والصراحة ، والبعد عن اللف والدوران ، والتلطي وراء الكلمات والعبارات ، التي تحتل عشرات التأويلات !

وحين يكون الزمن ، زمن انقلابات ودسائس ومؤامرات وتحقيقات وعقوبات ، لا يبقى مجال لهذا الاسلوب . فأما الكلام وأما السكوت .
لقد قال كونفوشيوس رحمه الله رحمة واسعة « ان اصلاح العالم يبدأ بايجاد قاموس يحدد معاني الكلمات » .
ولعل كلام كونفوشيوس الصحيح في كل زمان ومكان ، هو أصبح ما يكون الآن وفي لبنان ا

اشخاص

« اسم السيد صبري حماده قد ادرج مع قوائم الاشخاص المنوعين من دخول سوريا ... »
بهذه العبارة التي تحمل كل معاني الزرابة والتحقير اعتذر وزير الخارجية السورية الدكتور أسعد محاسن ، عن احتجاز رئيس مجلس النواب اللبناني عطوفة الاستاذ صبري بك حمادة . . .
وبهذه الكلمات والالفاظ اعتبر الناس في سوريا وفي لبنان ، بأن المشكلة قد سويت وعفا الله عما مضى . . . وان ما جرى لم يكن أكثر من « مداعبة » أو « ولدنة » قام بها خفراء الحدود السورية ، عندما تصدوا لرئيس مجلس النواب اللبناني على الحدود ، وأفهموه بأن اسمه مدرج على اللائحة السوداء في جملة اسماء المشبوهين والمنوعين من اجتياز الحدود السورية الشقيقة !

والاطرف والاطرف ، أن وزير الخارجية السورية الدكتور أسعد محاسن لم يكتف بولدنة ومداعبة خفرائه على الحدود ، بل اتبعها بما هو أشد وأنكى فقد صرح بان اسم رئيس مجلس نوابنا قد أدرج في قوائم الاشخاص المنوعين والمشبوهين في زمن الوحدة مع مصر . . . ولكن الوزير محاسن أحب ان يتوج عنق لبنان بحسنه ، فأمر ، حفظه الله وزاده حسناً على حسن ، بشطب اسم صبري حماده من قائمة المشبوهين ، وأصدر أمره بالغاء المنع والسماح له بدخول الاراضي السورية !

ومن يدري ، فلولا احسان الدكتور محاسن ولولا لطفه وتعطفه ، لظل رئيس مجلس النواب محتجزاً في أحد أكشاك المخافر السورية على الحدود ، ولحرم النواب من رئيسهم وحرّم الشعب اللبناني من ثاني رئيس له . . .

ولكن الله سلم ، فقد اجتاز عطوفة صبري بك حدود سوريا بالسلامة ووصل العاصمة اللبنانية بالسلامة أيضاً . . .

والآن هل ترانا نعتبر أن الحادث الذي وقع حادثاً عادياً وان ما جرى قد جرى . . .

وهل ترانا نؤمن مع المؤمنين بان قرار مجلس النواب باستنكار ما وقع لرئيسه كافياً شافياً ؟
ان حضرات النواب المحترمين يطالبون بتقديم مذكرة احتجاج الى السلطات السورية . .
وان هذا العمل لا يجوز . . . وانه غير مألوف . . . وانه الى آخره الى آخره !

وماذا يعني احتجاج كهذا والى احتجاج مثله ؟

وهل معنى هذا ان الحكاية قد انتهت عند هذا الحد . وان المخافر او على الاصح السلطات
السورية قد اكتفت بهذا القدر من الانتقام . . . وبالتالي هل يقنع اللبنانيون بأن كرامتهم لم
تمس ولم يخذلوا تصرف الاشقاء السوريين ؟

أقل اللبنانيين حظاً من الذكاء ، وأقلهم خبرة بأمور السياسة وآفانيتها ، يدرك تماماً بأن
المسألة ليست رمانة ولكنها قلوب ملأته . . . وان احتجاز رئيس مجلس النواب على الحدود السورية
ليس خطأ أو سهواً عابراً ولكنه عمل مقصود ومبيت !

يبقى على الدولة ، وهي في صبيحة عيد الاستقلال ، ان تبحث جيداً وتفكر جيداً بمعزل عن
كل تهويل وتهويل ، عن الاسباب الحقيقية التي دفعت الشقيقة سوريا لأن تحتجز رئيس مجلس
النواب الشقيق ، وان تدع اسمه مسجلاً على القائمة السوداء !

وليس أجمل ولا أدعى للاعتزاز من ان تكتشف الدولة اسباب هذا الحادث وتعمل على
ملاقاته كي لا يتكرر في المستقبل القريب او البعيد ، وهي في هذه الصبيحة تحتفل بأعز وأغلى
عيد !!

ارحموا لبنان !

لا دفاعاً عن الكويت ، ولا نصرة للرأي القائل بتبادل التمثيل الدبلوماسي على مستوى
سفارة مع امانة او مشيخة او قنصلية الكويت . . . ولكن حرصاً على هذا البلد اللبناني الصغير ،
الذي طمع فيه القريب قبل البعيد ، وأصبح مكسر عصا لكل حاكم عربي يحب « الرجل »
وتستهويه البهورة . . .

لقد هالني كل الحول ، واحزنني كل الحزن ، هذا الاستهتار العجيب الذي اظهره عبد الكريم
قاسم نحو هذا البلد بسحب السفير العراقي وتسفيره السفير اللبناني ، بنية تأديبه ، لا يصح ان يتحلى
بها جار نحو جاره او اخ نحو أخيه .

هكذا وكأن ليس هناك بلد اسمه لبنان . وكأن ليس هناك شيء اسمه رابطة عربية .
وكان ليس هناك عرف او ذوق او لياقة !

الحادث بذاته فظيع ، وافظع ما فيه انه اصبح عادة عربية مألوفة في التعامل مع لبنان
يمارسها عبد الكريم قاسم وغير عبد الكريم قاسم . وتمارسها بغداد كما تمارسها دمشق ، كما تمارسها
القاهرة وعمان ، بسهولة وعفوية وبساطة تدعو الى الاستغراب الذي ما بعده استغراب .
هذا يسحب السفير من لبنان .

وذلك يغلق الحدود في وجه لبنان .

وأخر يمول المتآمرين الناقمين في لبنان .

وغيره يسلم بعض لبنان ضد بعض لبنان .

اليوم . انتقام من المسافرين اللبناني .

وقبل اليوم انتقام من التفاح اللبناني .

وقبلهما عدوان على المهاجر اللبناني ، وصاحب الشركة اللبناني . . .

وفي لبنان ، يشهر كل واحد منهم سلاحه ضد خصمه . . . تعال يا فلان خذ مالا واشتم
عبد الناصر . وتعال يا علان خذ مالا واشتم سعوداً أو حسيناً . . .

اما الخاسر من ذلك كله فهو لبنان ، لبنان الذي كان وما زال يدفع من هناء شعبه وامنه
وكرامة أهله ، وأحياناً من دمائه ثمن هذا الاستخفاف وهذا التعدي الذي يعامله به اخوانه .

ان البلاد العربية اتفقت فيما بينها على ان تقاطع اسرائيل واسرائيل وحدها . . . فما بال
البعض يعامل لبنان بفكرة المقاطعة كلما عن لحاكم عربي ان يتجهز او يستعرض عضلاته
او يشتم خصمه ؟

ماذا يريدون من لبنان أكثر مما يعمل لبنان ؟

منذ ان وجد لبنان المستقل ، ولبنان واضح السياسة ، لا يريد عداوة أحد ، ولا خصومة احد ،
ولا يقف مع عربي ضد عربي ، ولا ينحاز الى جهة دون جهة .

سياسته ، السلم مع الجميع بلا استثناء .

اذا قال أحد الحكام العرب « نصادق من يصادقنا ونعادي من يعاديننا »

فان لبنان يقول : « نصادق من يصادقنا ولا نعادي من يعاديننا » ا

فهل هناك سلم أكثر من هذا السلم ؟

فهل هناك وداد أكثر من هذا الوداد ؟

ومع ذلك فلبنان ، في تعب دائم وهم مقيم ودفاع ودفع لاذي الاخوان ، الذين لا يحلو
لهم ان يتقاتلوا ويتشاحنوا ويتشامخوا ويتماحكوا ويتنازلوا ويتنافروا ويكروا ويفروا . . . الا على
ارض لبنان ا

ماذا يريد عبد الكريم قاسم من لبنان ان يراعيه أكثر مما فعل ؟
 اذا غضب او تعكر صفو مزاجه ، أرسلت وزارة الخارجية اللبنانية وراء سفيرها في بغداد
 وحملته الى عبد الكريم العواطف الصادقة والتمنيات العاطرة ، والتعابير الرقيقة .
 واذا ارادت ان تخطو خطوة نحو الشرق او نحو الغرب ، ابلغت عبد الكريم قاسم . . .
 واذا اعترفت الدول كلها بالكويت ، تريث لبنان ليقبى آخر المعترفين . . .
 واذا تجرأ على الاعتراف ، فهو يعترف على مستوى قائم باعمال لا على مستوى سفير .
 كل هذا ترضية ومراعاة واكراماً لعبد الكريم !
 من أجله ضحينا بجزء من مصالح اللبنانيين في الكويت ، وهي أكثر من مصالح اللبنانيين
 في العراق !

من أجله جافينا الكويتيين الذين يتزلون ضيوفاً في مصايينا !
 من أجله فعلنا كل ذلك ، وبقينا مع ذلك مقصرين متهمين ، بل مجرمين نستحق العقاب
 والتأديب !
 اننا نطالب الحكومة اللبنانية ، تجاه هذا التصرف الشاذ الارعن من قبل عبد الكريم قاسم ،
 ان تضع حداً لهذا الاسلوب الشامل الجامع في معاملة الحكومات العربية للبنان .
 فلعل وقفة كرامة واحدة ، تنقذ لبنان مرة واحدة ونهائياً مما يعانيه من بلاء هذه المعاملة العربية
 له . وفي انقاذه مصلحة عربية لجميع البلاد العربية بقدر ما فيه من مصلحة لبنانية !

لبنان بين حالنا ومانا

غضبة اللواء عبد الكريم قاسم على الكويت مفهومة . . . فلقد تنكرت مشيخة الكويت
 للعراق الوطن الأم ، او هكذا على الاقل تقول العراق ، ومن حقها ان تقول ، لا نريد هنا ان
 نناقشها .

غضبة مفهومة أو « فيها ما فيها » كما نقول .
 أما غضبته على لبنان فما هي اسبابها ومبرراتها ؟ انها غير مفهومة ، غير معقولة ، غير مقبولة .
 انها مرفوضة بالشكل وبالاساس .

والغضب الذي يحمل هذه الالوان من المعاني ، ليس يؤبه له كثيراً ولا يقام له كبير وزن ،
 ما دام في حيز الكلام ولم يخرج من الاقوال ليتعدى الاعمال .
 وحتى اليوم ما يزال الامل معقود اللواء على حكمة وبصيرة ورجاحة عقل اللواء عبد الكريم

قاسم ، لتظل الغضبة في اطارها الباسم ، ودائرتها التي تبهج ولا تكدر ، وتفرح ولا تحزن . . . بل تكون وسيلة للتسلية والترفيه عن نفوس الشعوب العربية لا عن شعب العراق وشعب الكويت وحدهما . . .

نعم ، المهم ان تظل غضبة اللواء قاسم مزحة ، وان نحافظ على طابعها الكاريكاتوري الكوميدي الخفيف ، وان لا تتحول الى غضب حقيقي دراماتيكي من النوع العنيف !
وليس يضير لبنان ويحزنه كالأغضب والعتاب والضرب والسياب وشق الثياب بين الاخوة الاشقاء الاحباب . . . ذلك لان لبنان هو الذي يدفع الثمن . يدفعه من امنه وراحته من ماله وسمعته . ورأس مال لبنان وسمعته . هو حركة السياحة والاصطياف (الماء والهواء ، الساحل والجبل ، العرق والحرية والكبة نية) .

ولكن الامر الذي نخشاه من هذه الحكاية ، حكاية العراق مع الكويت ، بعد ان دخل لبنان فيها طرفاً ثالثاً . . . ان تتطور الحكاية ، فقد أثرت علناً في الصحف وفي مجلس النواب وفاحت روائحها ، وقد كانت مطمورة او شبه مطمورة في ضمير الدبلوماسية اللبنانية تعالجها بقفزات حريرية اصحاب الانامل الحريرية !
ايضاً هذا ليس مهماً . . .

ثم ، فليخفف اللواء عبد الكريم قاسم من غلوائه ، وليقتنع بقلة جدوى الحرب الساخنة — الباردة التي يشنها على الكويت . فعحب الكويت انه ، في الدفاع عن نفسه وتثبيت وجوده ، يتوسل مثل الوسائل التي أشار اليها بعض النواب اللبنانيين في الجلسة الاخيرة تلميحاً وتصريحاً عندما لفظوا اسم احد الموشوشين النمامين المتجوسيسين المتجولين في دنيا البلاد العربية ، يعد ان حط الرحال به في ارض الكويت .

ويبدو ان سوء طالع الكويت انها ابتليت به ، كما ابتليت به من قبلها بيروت ودمشق والقاهرة وعمان وكل عاصمة حل فيها . . .

و « موشوش » الكويت اليوم ، هو هو موشوش الشيشكلي بالامس وهو هو موشوش السعودية قبل الامس ، وهو هو موشوش القاهرة في الماضي القريب ولعله ما يزال حتى اليوم . . .
تراه يمشي كما يمشي الوباء انه يتحسس الارض مصروعاً مذهولاً كأنه ملاحق دائماً وأبداً يخشى كل نظرة تقع عليه وكأنها اداة او مشروع اتمام ينصب على رأسه . . . يستجدي ويستضعف يلين ويستكين ، حتى اذا ظفر او خيل له بانه ظفر بأي شيء تنمر وأخرج مخالبه ، وليست مخالبه الا الدس والحقد والوشوشة والوقية !

عرفه الشيشكلي فقر به وآمنه بعد خوف وأطعمه بعد جوع . . وما ان انقلبت الدنيا على

الشيشكلي ، حتى كان اول « بابوج » انهال على وجهه هو « البابوج » الذي انتعله طيلة حكمه في دمشق . فقد تطوع صديقه وسكرتيره وكاتم اسراره ، غداة خروجه من الحكم ، تطوع بأن نشر مقالا يلعن فيه سنسفيل الشيشكلي !

انه لبناني سوري عراقي سعودي مصري اردني . . . وهو اليوم كويتي ! ولكنه في الحقيقة ليس لبنانياً ولا عراقياً ولا مصرياً ولا سورياً ولا كويتياً لانه ما أحس يوماً بأحاساس أي شعب حل ضيفاً عليه وما شعر بشعور أي بلد حماه وأكرمه . . .

* * *

وبعد ، للكويت ان تصطفي من تشاء وتقرب من تشاء وان تباعد عن تشاء . . . ولعبد الكريم قاسم ان يضم الكويت بالسلم او بغير السلم ، بالاقناع او بغير الاقناع . . له ان يستنفر جيشه واساطيله ليسرد اماره الكويت اذا شاء . ولكن ما ذنب لبنان في هذه الحرب الساخنة - الباردة التي تدور رحاها ؟

وأي خير سيصيب العراق وشعب العراق من هذه العداوة السافرة التي تشهر في وجه لبنان ؟ مرة ثانية ، ما يزال الامل معقوداً على ان تبدد الغيوم التي تلبدت في جو علاقات بغداد وبيروت ، والتي لم يكن للبنان يد فيها او رأي . .

وخير الف مرة ان تكون غضبة اللواء عبد الكريم قاسم على لبنان من النوع الذي لا يتعدى العتاب بين الاحباب ، وان تحافظ على طابعها الكاريكاتوري الخفيف الظريف فلا تتحول الى غضبة مضرية دراماتيكية من النوع العنيف . . .

كان الله في عون لبنان فقد أصبح بين الكويت والعراق على حد قول المثل « بين حانا ومانا ضاعت لحانا » ! .

سياسيون

اذا كنا لا نستطيع ان نهنيء الدولة ببعض اصدقائها ، فاننا نستطيع اليوم أن نهدي اليها أصدق التهاني على بعض خصومها .

فالدولة جديرة بأن تدفع الملايين لتقف هي في جانب ، ويقف هؤلاء الذين استطابوا أخيراً معارضتها في جانب آخر !

لقد كتب الاستاذ الكبير جورج نقاش ذات يوم يقول في معرض الحديث عن أحد رؤساء الوزراء :

« انني لا أعرف السيد عبد الحميد كرامي معرفة شخصية ، وليس لي به أية علاقة خاصة تخولني الحكم عليه . ولكنني أعتقد أن الرجل الذي يهاجمه « فلان » - وذكر اسم أحدهم - يمثل هذا العنف ، لا بد وأن يكون رجلاً نبيلاً طيباً يستحق من الناس كل محبة واحترام »

هذا بالضبط ما خطر على بالي وأنا أقرأ أقوال بعض المعارضين الذين انطلقوا من غير مقدمات ، وعلى غير سابق موعد ، يتحدثون ويدافعون عن الحريات والكرامات والديمقراطيات والقانونيات والدستوريات والتزاهات والاستقامات . . .

قلت بيني وبين نفسي : حظ بفلق الصخر لهذه الدولة أن تظهر في عيون الناس وكأنها منقذتهم ومخلصتهم من هؤلاء الذين استحدثوا الحملة عليها ويعملون على تحطيم هيبتها .

ولكن هذا الشعور العفوي بالانحياز للدولة المهاجمة من قبل بعض المعارضين ، يجب ان لا يصرفنا عن مؤاخذه الدولة مؤاخذه شديدة لا هوادة فيها ، وفي هذا الموضوع بالذات .

ذلك اننا مع غيرنا من أصحاب الاقلام الحرة ، كنا ننهب الدولة الى أنها لا يمكن ان تكون دولة ، ما دامت تضع الوزارات والنيابات بين أيدي هذه الفئة التي تنتقض عليها اليوم .

قلنا لها مراراً وتكراراً هناك طريقان لا ثالث لهما أما مزرعة وأما دولة . فاذا كان من ييدهم الامر يريدون ان ينشئوا مزرعة ، فما عليهم الا أن يأتوا بهؤلاء الزراع ، يزرعون في أرض هذا الوطن بذور الفساد والعدوان والاجرام .

واما اذا كان من ييدهم الامر يريدون ان يبنوا دولة ، فلبنان لا يعدم رجالاً كرماء لم يسبق لهم ان جعلوا من السياسة تجارة لهم ولا نصارهم . . .

واليوم ماذا نرى ؟

نرى ان هؤلاء الذين جعلت منهم الدولة على غير رغبة المخلصين من ابناء البلاد ، وزراء ونواباً وأقطاباً وأعمدة وبطانة وحاشية ، ينقلبون عليها شر منقلب .

فهل نقول الآن :

اشربي أيتها الدولة فهذه هي الكأس التي ملأتها يمينك ؟

أم نستسلم لشعورنا العفوي بمساندة هذه الدولة الموقفة في الوقت الحاضر باخصامها ؟ ان الدولة يجب أن لا تبالغ في الاعتماد على هذا الامتياز الذي حصلت عليه ، بوقوف هؤلاء موقف الخصومة لها .

فهناك بعض المعارضين المخلصين الصالحين ، ممن لم يشتركوا في أحوال السياسة ولم يغمسوا في خطياتها ، وهؤلاء كان على الدولة أن لا ترجح بهم من حيث تريد أو لا تريد في طواير الفساد وأصحاب الدواب في التخريب ! .

* * *

نهىء الدولة ، مؤقتاً : باخصاصها الجدد بانتظار اليوم الذي نتمكن فيه من مهنتنا بأصدقائنا !

سياسيين

بالمنعة نفسها التي يخسها بعض الدواة امام مشهد صراع اللادوك ، وبالحماس نفسه الذي يشعره أي جمهور تملكته شهوة الفرجة على كل غريب عجيب ، قابل اللبنانيون الجلسة النيابية الاخيرة التي وقف فيها رشيد كرامي وحكومته في جانب ومعارضوه في جانب آخر .
وكان اللبنانيون يتابعون الفرجة على نوابهم وأذهانهم خالية من أن هذا الذي يجري في برلمان مفروض فيه انه يمثلهم ، وان هؤلاء الذين يقفون على المسرح ، مفروض فيهم ان يكونوا زعماء ووجهاء ومتنفذين وقادة رأي ، فكان الأمر لا يهمهم من قليل او كثير ، وان كان يثير فيهم شيئاً من الفضول والسلوى .
أما الحكمة الشعبية العريقة التي كانت وراء هذا الموقف من الجمهور ، فهي تلك الحكمة القائلة « اختلاف الائمة رحمة بالامة » !

ان شعور الناس في هذا الوقت هو أقرب الى التناؤل منه الى التشاؤم ، اذ انه يتلخص في اعتقادهم بأن كل معركة من النوع الذي شهدنا بين الوزراء وبعض النواب من الموالين والمعارضين والراكبين والراجلين ، انما تؤدي في النهاية الى خير الا وهو ذهاب هذا الطقم السياسي المهترىء كله بتمثيلياته ومناورات كره وفره واساليبه ومخططاته وأغراضه وشهوته ، وجهله ورعونته وفضائحه وصفقائه . . .

لقد عم الزيف هذا البلد الذي تكاثر فيه المزيفون حتى امتد هذا الزيف الى حملة الاعلام الذين تقع على عاتقهم مهمة كشف المزيفين ، واخذ كل منا يدهن قلمه بالعلسل والسكر كلما تناول موضوعاً من المواضيع العامة . فغابت في غمرة النفاق والدجل حقيقة مشاعر الناس ، وهي انهم ينتظرون بفارغ الصبر اليوم الذي يذهب كل سياسي بال وكل برلماني مهرج ، وتحل فيه مكان الخفة والوصولية والانتهازية وحب الكراسي ، القيم السياسية الحقة ، والأسس الشعبية الصحيحة .

ان الناس في لبنان اصبحوا يكرهون البرلمانات التي تمثلهم بحسب الدساتير والانظمة . وهذه نتيجة سيئة لتاريخ طويل من اللعب السياسي غير المسؤول من جانب الحكوميين والمعارضين على حد سواء . ونخشى ان تنتحر البرلمانات اشنع انتحار اذا لم تتجدد في هذا البلد الواجهة السياسية فتأتي وجوه تغار حقاً على البلد ومصالح الشعب المقدسة وبراءة النظام الديمقراطي من كل المؤثرات من اي جهة انت والى اي وجهة توجهت !

الى اولئك الذين يعتقدون انني ابالغ في عداوتي للعنصر السياسي المخضرم ، حتى ليتهمني بسبهم انني احترف عداوة الساسة اللبنانيين وغير اللبنانيين

الى اولئك من اهل الوعظ والارشاد . اقول بأن الناس في لبنان وفي غير لبنان ، يكرهون هذا الطراز من السياسيين المحترفين المهترئين اضعاف اضعاف ما في غيبي من . . . الحب والاحترام !

اشخاص

عندما يتهم نائب محترم مثل ريمون اده وزير الداخلية الاستاذ كمال جنبلاط ، بأنه يحمي المجرم الفار « غارو » وعندما ينفي وزير الداخلية هذه التهمة عن نفسه ، هل يعني هذا أن المشكلة انتهت ، وان الحكومة استعادت كرامتها وردت اعتبارها ، وان الامن والطمأنينة والسلام يرفرف على لبنان ؟

لسنا نصدق ، ولا نحب لانفسنا أن نصدق ، بأن وزير الداخلية اللبنانية ، يقع في وزر هذه التهمة - البلية . وهل ثمة أدهى وأمر من أن يتهم وزير لداخلية بلد ، بحماية المجرمين وأعداء القانون ؟ أن أبسط الاثر الذي يخلفه مثل هذا الاتهام ، حتى لو كان غير صحيح ، استخفاف المجرمين بالعدالة ، واستقواؤهم على القانون ، وبالتالي استهتار المواطنين بالقيمين على العدالة والقوانين !

أو لم تكتب بعض الصحف أمس ، ويقرأ الناس أن البارون البروفسور « غارو » عقد أو سيعقد مؤتمراً صحفياً يشرح فيه وجهة نظره ويملي شروطه ، قبل أن يستسلم ؟ أو ليس خبراً كهذا ، أو حتى إشاعة كهذه ، من شأنها أن تنمي غرس الجريمة وتعلي من شأن المجرمين واقدارهم فتساوي بينهم وبين العلماء والكبراء الذين يعتقدون المؤتمرات الصحفية ويسيطون آراءهم ويمثلون شروطهم ؟

وأي فرق بين البارون البروفسور « غارو » الذي جندل برصاهه رجال الشرطة اللبنانية ، وبين أي عالم أو بروفسور يحاضر ويعقد مؤتمراً صحفياً ؟

بلى ، هناك فارق واضح بين . هو أن البارون غارو يحظى بأضعاف ما يحظى به أي عالم من الاعجاب والتقدير والاكبار .
ولم لا ؟ أو ليس البارون غارو يعتبر نفسه فريقاً ، والدولة اللبنانية فريقاً آخر ، يضع نفسه في كفة ميزان . ولا يجد غضاضة أن يضعها هي الاخرى في كفة ثانية ؟
فيا لتواضع البارون البروفسور غارو الذي أزرى وأخجل تواضع الاساتذة العلماء والسادة الكبراء .

* * *

بعد هذا نستغرب الاعتداء على النائب والوزير السابق الاستاذ نسيم مجدلاني ؟
بعد هذا نستفزع ونستهول ان يقدم مجرم في رائعة النهار وأمام البرلمان ، فينهال بالموسى على وجه حضرة النائب المحترم والوزير السابق ، وزير العدلية اللبنانية ؟
وهل نعجب غداً اذا سمعنا ان الاستاذ ضارب الموسى قد احتفى بأحد الكبراء النافذين ، أو عقد مؤتمراً صحفياً أملى فيه شروطه للاستسلام ؟
ان له قدوة بأستاذه وزميله البروفسور غارو .

سياسيون

هل يعلم رجال الحكم عندنا ، وهل يعلم أهل السياسة مدى العزلة التي تباعد اليوم ما بينهم وبين الناس ؟
هل يدركون ان هذه المموم الصغيرة التي تحركهم باتجاه المعارضة او الموالاته ، أصبحت لا تعني المواطن العادي في قليل أو كثير ؟
ان صفة هؤلاء التمثيلية للشعب ، تسقط اكثر فأكثر كل يوم بل كل ساعة ، لتحل مكانها صفة أخرى طبقية بكل ما في الكلمة من معنى .
ان الشعب أصبح يتحدث عن النواب لا على أنهم ممثلون للشعب ، بل على أنهم طبقة أهل السياسة التي لها أهدافها ومصالحها ومشاعرها واهواؤها المستقلة تماماً عن أهداف جماهير الناس ومصالحهم ومشاعرهم واهوائهم !

هذه الاشارة الى أهل السياسة عندنا كطبقة . هل يفهم رجال الحكم ورجال السياسة حقيقة معناها ؟

كل الدلائل تشير الى أن أحداً — مع الاسف الشديد — لا يفهم مغزى هذه النظرة الى السياسيين .

فالنواب عندنا يقومون ويقعدون ، يخطبون ويطلقون ، وكأنهم يحسبون أنفسهم فعلاً ممثلين للشعب . تماماً كما لو كانوا اعضاء مجلس العموم البريطاني مثلاً مع فارق المسؤولية والمستوى !

والحكومة ، هي الاخرى . بدلاً من أن تعمل على مخاطبة الناس مباشرة ، مهمة ضجيج الكلام المنمق وغير المنمق . المسؤول وغير المسؤول في المجلس النيابي ، نراها تشغل نفسها بالاصوات النيابية وتعدادها أكثر من اهتمامها بمطالب الناس وهمومهم !

ان كل شيء يدل في لبنان على ان الديمقراطية التي نحيها ، والتي زيفها اعداؤها من انتحلوا صفة تمثيلها — هذه الديمقراطية أصبحت بحاجة ماسة الى عملية تصحيحها شكلاً وموضوعاً ، نظاماً وأشخاصاً .

فليس من الطبيعي أن يستمر تشويه الديمقراطية على النحو الذي نشاهده ، ثم ندعي الحرص عليها والدود عن حياضها !

لم نأسف على زوال جمهورية بشارة الخوري ، ولا اسفنا على زوال جمهورية كميل شمعون ، ورحبنا بمجيء جمهورية فؤاد شهاب . وهي ثالث جمهورية لبنانية في عهد الاستقلال .

ولكن هذه الجمهورية الثالثة لا تكون جمهورية جديدة مائة مائة كما نريدها ، اذا هي استمرت مرتعاً لرجال الجمهوريتين السابقتين ، يجلسون على كراسي النيابة والوزارة ويأخذون ما يأخذون ، ويطالبون بالمزيد ولا يشبعون . . !

ان الشعب اللبناني يريد تعهد كل شيء جديد وصالح في جمهورية فؤاد شهاب ، بالسقيا والصيانة والمزيد من الرعاية ، ولا يريد أن يدع الساسة التقليديين يحاولون اقتلاع الجديد ووآد الانجازات التي تحمل الخير والاصلاح !

ولكن هل تعي الدولة حقاً هذه الارادة الشعبية .

وهل تعمل معها وبوجيها من أجل لبنان جديد ، وجمهورية جديدة برجال جدد ١٩

٢٠٥
مِصْر

الشخص

قال لي أمس أحد اخصاء الرئيس صائب سلام : هل عرفت ان قنصل مصر نقلوه من بيروت ؟

قالها بلهفة وجزع وراح يعدد مزايا وحسنات هذا الرجل ، والسمعة العاطرة الممتازة التي تتمتع بها طيلة تمرسه بعمله في القنصلية وإقامته في لبنان

ولم اعجب كثيراً فلقد تنبأت بنقل حفني محمد بن قنصل مصر ، منذ أكثر من أربعة شهور ، يوم كتبت امتدح هذا الرجل وأثني على مروءته ونبل معدنه ، وتفانيه في خدمة الناس جميعاً ، خدمة خالصة مبرأة من كل غرض وافتعال .

واذكر انني كتبت يومها أقول بأن اخشى ما أخشاه أن ينقل هذا الموظف الامين الذي بيض صفحة التمثيل السياسي ، بأخلاقه الحميدة وسمعته النظيفة وباجماع آراء اللبنانيين وغير اللبنانيين على الاعجاب به والثناء عليه .

أجل ما زلت أذكر ذلك ، وأذكر أيضاً بانني كتبت أقول في نهاية المقال « أكتب هذا وأنا أضع يدي على قلبي خوفاً من أن يتم نقل هذا الموظف الامين الشريف ، بعد أن اشرت اليه ونوهت بمزاياه . »

ولم أكتب ذلك عبثاً ، فقد سبق « الفضل » وجيء قبل حفني محمد بن في بداية الثورة المصرية بشاب اسمه سعيد الغمراوي كان مثلاً من أمثلة الرجولة والتفاني للء منصبه على أكمل وأنظف وجه وعرفه اللبنانيون فعرفوا فيه الخلق الكريم ، وعرفوا فيه البشاشة والاخلاص في خدمتهم وخدمة كل من يطلب قضاء أمر من القنصلية المصرية . . .

ولكن يظهر أن هذا البلد ليس له في « الطيب نصيب » فما كاد اللبنانيون يأنسون الى سعيد الغمراوي ، وما كادت الستهم تلهج بالثناء عليه ، حتى تحركت الاصابع الخفية والتقارير الرسمية . . . وكان صباح وكان مساء ونقل سعيد الغمراوي فجأة ومن غير أن يعرف أحد من اللبنانيين اسباب نقله !

وخلف الغمراوي في القنصلية المصرية انسان يدوب رقة ونبلًا ، ويتلاشى في خدمة كل من يؤم القنصلية كبيراً كان أم صغيراً غنياً أم فقيراً .

وكانت الحشود التي تحتشد على باب القنصلية صباح كل يوم تدخل على حفني محمد بن

فيستقبلهم جميعاً واحداً واحداً وكان واسع الصدر طويل الاناة ، لا يتبرم بأحد ولا يتأفف من أحد ، يستمع الى كل صاحب حاجة أو شكوى ، بهدوء عجيب وصبر أعجب . بل كان بعض أصحاب الحاجات — وصاحب الحاجة أرعن — يغضبون ويرفعون الصوت احتجاجاً — فيصطدم غضبهم دائماً وابدأ بالصوت الرقيق الهادئ المهذب ، صوت حفي محمد بن ، يهدىء من روعهم بهذيب ابن العائلة الاصيل ، وديبلوماسية الموظف الحريص على سمعة وظيفته وسمعة بلده . . . فما خرج انسان كائناً من كان من القنصلية المصرية في بيروت ، ومن لدن حفي محمد بن الا ولسانه يلهج بالثناء العاطر على رفيع خلقه وبالغ تهذيبه . . .

* * *

أما وقد تم نقل حفي محمد بن من منصبه ، وهو الذي تمتع بحب اللبنانيين واحترامهم . اليوم يسمح لي أن أتساءل عن هذا السر المغلق الذي استعصى علي فهمه منذ زمن بعيد وما يزال مستعصياً .

ترى ما هو المقياس ، وما هي القاعدة المتبعة في اختيار الممثلين الدبلوماسيين . ما هي الاسس المرعية الاجراء التي يتم على ضوءها وعلى اساسها نقلهم أو بقاؤهم ؟ ترفيتهم أو ابعادهم واهمالهم ؟ اللهم لا اعتراض ، فقد يكون حفي محمد بن مقصراً في « واجبات » التمثيل الدبلوماسي . . . قد لا يكون أنيقاً ولا رشيقاً . . . وقد لا يكون بارعاً في الرقص ، او غير متقن أصول التفتل في الحفلات والكوكيتيلات يا اكسلانس . . .

ولكن بالله ، هل انقلبت المقاييس رأساً على عقب ؟
هل أصبحت الفضيلة عيباً ؟
هل أصبح الدنس شرفاً ؟
هل بات الخلق الكريم مسبة ؟
هل بات الشرف عاراً ؟
هل أصبح الاخلاص جريمة يعاقب عليها المخلصون الشرفاء ؟
حقاً ما عدت أفهم شيئاً . . .
ولست وحدي !!

الجمعية الماسونية الحديثة !

كنت أحسب ان الغربة عن الوطن هي أقصى أنواع الاغتراب ، حتى كانت زيارتي الاخيرة للقاهرة ، بعد غيبة طويلة مريرة . عرفت حينها ان ثمة غربة أدهى وأمر ، هي غربة الشوق والحنين ، غربة الآمال العريضة الخلوّة التي كانت كل الزاد طوال عشرة أعوام . . . فاذا بها تبدد في الهواء ، واذا بي كمن يقبض على الريح ! حتى الشوق الى القاهرة ، استتاعت « الجمعية الماسونية الحديثة » التي تحكم سعياء في مصر . أن تقضي عليه في نفسي . . .

فلقد كنت أحسب مخملاً — وأنا على البعد — ان مصدر الشكوى والبلاء الذي طالما شكونا منه في لبنان ، ليس الاشواذ ، وان القاعدة هناك غيرها هنا . فاذا بي أكتشف حول الخطأ القادح الذي وقعت فيه . واذا بي أجد نفسي مرغماً وصادقاً على أن أتقدم بالاعتذار الشديد لسيادة السفير عبد الحميد !

أجل هناك جمعية تشبه الى حد بعيد الجمعية الماسونية ، التي يتعارف اعضاؤها فيما بينهم بالاشارات والايماءات والروز الخاصة ، بل هي أعلا كعباً وأرسخ قدماً من الماسونية نفسها . . . ويكفي أن تنطلق كلمة السر هناك في القاهرة ضد أي انسان حتى تسري في جميع الاقطار ومن غير أسلاك ، لتعم على سائر انصار ومريدي الجمعية إياها « الجمعية الماسونية الحديثة » التي تبرطع في مصر سيدة عزيزة غائمة سعيدة !

فأعضاؤها يتعارفون فيما بينهم بلا سابق معرفة لأنهم جميعهم معروفون . . . يتمتعون بأحاسيس واحدة وأمزجة واحدة ، وعادة واحدة . . . وقد يما قالوا « عادة في البدن لا يغيرها الا الكفن » !

تجد الواحد من هؤلاء اذا أصابه ضر وهو في القطب المتجمد الشمالي ، أحس به زملاؤه وهم في أقصى القطب المتجمد الجنوبي فيهرعون اليه بالأحضان وبشيء آخر غير الاحضان !

* * *

غربة الشوق ، غربة الآمال التي أطعمتها هناك وعلقت مرارتها وغصتها بالخلق ، عادت صباح أمس تتجسد أمامي في الخبر الذي نشرته الصحف حول الغاء مهرجان جمعية متخرجي المقاصد . فلقد اتصل الوزير المجاهد كمال جنبلاط باعضاء جمعية الخريجين وطلب اليهم الغاء المهرجان الذي اقيم لمناسبة الوحدة ، وذلك حرصاً على الوحدة الوطنية اللبنانية .

ولا لوم على الوزير المجاهد — وهو الحريص الحريص على عدم احراج الحكومة — ولا لوم بالتالي على من يحرص على سلامة الوحدة الوطنية في لبنان !

غير أن اللوم وأكثر من اللوم انما يوجه الى القادة والزعمان الذين استغلوا صدق الطلاب وحماستهم الوطنية وطعنوهم في أعز ما يطعن به الشباب المؤمن المتوقف الوثاب ، طعنوهم بأمالهم وأمانهم وأذاقوهم مرارة الخيبة وذل الهزيمة نتيجة الاساليب الغوغائية والاختطاء المتكررة المتشابهة ، وكأنها مقصودة وعن سابق تصور وتصميم . وأخيراً وأخراً : بالجمعية الماسونية الحديثة السيدة الآمرة الناهية ، المهيمنة المطاعة في مصر ، والمؤمنة على القضية العربية والقومية العربية والوحدة العربية !

* * *

أيها الطلاب ،
لكم الله في آمالكُم المفجوعة ، وعليكم العوض بأمانيكُم العريضة التي كانت في الماضي
لا تتسع لها صدر الارض ، والتي هزلت اليوم وأصبحت وهي أعجز من أن تقيم مهرجانات !

الحاشية

كنت مشغولاً بكم اذ كنتموا
شجراً لا يبلغ الطير ذراها
لا اراني الله أرى روضة
سهلة الأكثاف من شاء رعاها

* * *

أمس اكتحلت عيناى برؤية الرعيل الفذ الذي واكب ويواكب الرئيس عبد الناصر . . .
فقد شاهدت الشيخ عبد العزيز سيد الاهل ، الملقق الصحافي والثقافي للجمهورية العربية
المتحدة في بيروت سابقاً .

وشاهدت عدلي بيه حشاد ، صنو للشيخ عبد العزيز . . . ولكن في دمشق - الاقليم
الشمالي برضه سابقاً . . .

وشاهدت م.ح. ه. الطبري الجديد في جريدة الاهرام ، وأعني به « محمد حسنين هيكل » .
وشاهدت أيضاً وأيضاً « م.ع. ق.ح » أي « محمد عبد القادر حاتم » دوقور القومية العربية
المتحدة ليمتد . . .

شاهدت هذه الباقاة الفريدة أمس ، في حفلة السفير العراقي ، عندما التقيت بسيادة السفير
الجنرال عبد الحميد بيه غالب .

ولقد كان - والحق يقال - قلة الانظار ، ومحط العيون التي « تناتشت » من كل جانب . . .

فانافته المفرطة وعطره الشدي الفواح ، بالاضافة الى قامته السمهرية الفارعة ، أضيفت على حفلة السفير العراقي جواً من الانس والفرقة والنعشة . . .

كانت المرة الاولى التي تكتحل بها عيناى برؤية السفير الغالي منذ أكثر من أربع سنوات . . .
وكان آخر عهدي بسيادته ، يوم بعثت الى أحد المسؤولين في القاهرة أهنته بعيد الثورة المصرية ...
فقد أرسلت برقية تحمل هذه الكلمات :

« كل عام وعبد الحميد غالب بخير »

وحملها المسؤول المصري الى جمال عبد الناصر ليبلغه تهنئي بثورته المظفرة وما آلت اليه . . .
ولست أدري لماذا هجم علي طوفان من الشوق والحنين ، وطوفان آخر من اللوعة والحسرة
على الاعوام التي ضاعت هباء ، والاحلام التي تبخرت سدى . . .

ولم يكن لي يد من الاقتراب من سيادة السفير ، فسحره غلاب ، وجاذبيته لا تقاوم . .
ووجدت نفسي أقترب مع الاستاذ كاظم الصلح شيئاً فشيئاً صوب عبد الحميد ييه السفير
الجنرال .

والتفت كاظم الصلح نحو السفير يقول له بأدبه الجهم وديبلوماسية الناعمة « يا سيادة السفير
الا تعرف فلاناً ؟ »

وانعطف عبد الحميد ييه يصوب نحوى نظرة حانية عاطفة تسأل المبادرة بالسلام والشوق
والهيام . . . وتطلعت في وجه السفير فاذا بالصور تزدحم ويتراكم بعضها على بعض . . . صور
« م. ح. ه » و « م. ع. ق. ح » وأخيراً الشيخ عبد العزيز سيد الاهل وصنوه عدلي ييه حشاد
السابق في دمشق !

* * *

أمس شاهدت الجمهورية العربية المتحدة ممثلة في السفارة العراقية . . . وكنت أمني النفس
أن أراها هناك . . . على الحدود السورية - الاسرائيلية !

« م. ح. ه »
و « م. ع. ق. ح » !

الاجتماع الذي تم بين الرئيسين العراقي والسوري على الحدود ، ومباحثاتها لمواجهة الامر
الراهن حيال اسرائيل ، أمر من البساطة والتفاهة بحيث لم يطرق مسامع الطبري الحديد في جريدة
« الاهرام » وكاتب التاريخ (م. ح. هيكل)

وقد يكون للكاتب المؤرخ الطبري عذره في أن لا يعبر خبر اجتماع رئيسي دولتين عربيتين اهتماماً خاصاً ، لا سيما في هذه الايام العصيبة الحرجة التي تواجه جميع البلاد العربية لا واحدة بالذات .

أجل قد يكون لكاتب التاريخ عذره اذا ما انصرف عن هذا الامر الجلل الى ما هو أجل وأعظم منه ، كأن يكتب عن فلسفة الدولة وفلسفة الثورة والتفريق بينهما مثلاً . . .

أو أن يجبر صفحة كاملة يعالج فيها أفضلية « الهدف » على « الصف » وتقديم الثانية على الاخرى ، ووجوب الدعوة الى « عدم التضامن بين حكومات الدول العربية لسلامة الهدف » . . . الى آخره !

وقد يكون هذا الطبري الحديد الذي تمخضت عنه « الاهرام » في غفلة الزمان مشغولاً بتقييم الناس من عباد الله وتصنيفهم الى أذنان وأنصاف وأذنان وعملاء وثلاثة أرباع عملاء ، توطئة وتمهيداً لمقال جديد ينشره في صفحة كاملة من صفحات « الاهرام » الحزين اللطيم !

من يدري ؟

كل شيء أصبح جائراً ، حتى أبعد المستحيلات وأعظم المفارقات . . . ولكن ، أما سمع كاتب التاريخ وطبري العصر والاولان بالمعركة التي نشبت بين الجيش السوري والقوات الاسرائيلية ؟

أما طرقت اذنيه الطويلتين وهو المحقق المدقق ، انباء القتلى والجرحى من أبناء سوريا البواسل الذين سقطوا في ساحة الشرف والجهاد ؟

أم تراه قد أسقطهم من الحساب بعد أن صنفهم الى عملاء وانصاف عملاء ، وأذنان وأنصاف أذنان ؟ !

لست أدري ، وما أحسب أن أحداً في البلاد العربية قادر أن يسير غور نظرات كاتب التاريخ في جريدة الاهرام ، وأن يغوص الى أعماق فكره النير الخير الثاقب العميق ، الذي دق ويدق على أفهام البسطاء أمثالنا . . .

تري ، ما هو رأي دكتور القومية العربية (م . ع . حاتم) ؟

هل تراه على مذهب (م . ح . ه)

أم أن (م . ح . ه) على مذهب (م . ع . ح) ؟

الحاشية

منذ بضعة أعوام يوم كانت الثورة المصرية قبله انظار الاحرار في العالم العربي بل في العالم بأسره ، كتب الاستاذ احسان عبد القدوس مقالاً بعنوان « الجمعية السرية التي تحكم مصر » ! وكان ذلك ابان الفترة القصيرة التي أطلق فيها مجلس الثورة الحرية للأفلام ، وأعلن عن استجابته لرغبة الاحزاب والجمعيات والنقابات بعودة الجيش الى الثكنات وإطلاق الحريات . . . الى آخر المسرحية الشهيرة التي أنتهت كما هو معروف ومشهور !

في ذلك الحين ، ويوم لم يكن للثورة المصرية ولجمال عبد الناصر في هذا البلد ، غير هذا القلم ، يدافع وينافح ، دفاع المستميت . . . كتبت أرد على صديقي احسان عبد القدوس وأشتد في الرد والعتب . ولقد كوفىء الكاتب المصري الحر الذي كان قلمه الجريء في مجلة « روز اليوسف » بمثابة الشعلة الاولى للثورة المصرية . . . كوفىء احسان عبد القدوس بالسجن الانفرادي بضعة أشهر حتى كاد يهلك ، لو لم تتداركه رحمة التوبة والعفو والاذعان !

واليوم ، وبعد انقضاء عشرة أعوام على الوهم الكبير ، الذي عشنا في سرايه ، نفتح الاعين على الحقيقة التي كنا ننشدها وينشدها جيل كامل من الاحرار ، فاذا بها سراب يحسبه الظمآن ماء وما هو بماء .

اذا بأحلام اليقظة الهائلة المظلمة المتفائلة المستبشرة ، تتحول الى كابوس قائم يشد على الانفاس ولا خلاص . . .

فالمقاييس التي كانت في العهود الماضية مشوهة ، أصبحت اليوم مقلوبة .
والقيم التي كانت معطلة ، أصبحت ممسوخة . والاخلاق الفاضلة التي ما تجرأ أحد أن يدنسها او يعطلها أصبحت اليوم تهمة يعاقب عليها صاحبها أو من كانت له شبهة بها !
و « الامعات » التي كانت غاية مطامحها وأمجادها فيما مضى ، أن تكون أذناً ، أصبحت اليوم رؤوساً كبيرة تطأىء لها رؤوس الكرام رهبة وإجلالاً . . .
لم تصبح أذناً وحسب ، بل أصبح لها أذنان وأذنان . . . اشارتها أمر ، وأمرها مطاع .
وأبها لا يرد ولا ينزل الارض . حتى لكأن الثورة ما قامت الا من أجلها من أجل سعادتها وشهواتها وأمرها ونهيها ، والويل كل الويل للكريم الأبى الحر اذا أخطأ يوماً ورفع رأسه ليسأل « لماذا ؟ » و « من أجل ماذا ؟ » و « الى أين المصير ؟ »

بعد عشرة أعوام .

استمبح العذر من صديقي احسان عبد القدوس وأقول له بذلة الخاسي المنكسر :
ليتها ظلت يا صديقي جمعية سرية ولم تتحول الى جمعية ماسونية حديثة ، يديرها من
يديرها . . .

« هات لنا حلّ . . .
ياسي رفول ! »

سواء خفف الضغط عن الشيوعيين في مصر أو اشتد الضغط عليهم .

وسواء أطلق سراحهم من المعتقلات والواحاحات تدريجياً أو دفعة واحدة ، فمما لا شك فيه
ان الحديث الذي ظفر به مراسل « لوموند » من الرئيس عبد الناصر ، والذي يتحدث فيه عن
مستقبل فلسطين ، يعتبر أخطر حديث تفوه به مسؤول عربي ، ليس بالنسبة للشيوعية والشيوعيين
وتخفيف الضغط عنهم وإطلاق سراحهم ، بل بالنسبة لموضوع فلسطين .

فالواضح الذي لا يقبل شكاً ولا ابهاماً ان حكاية الشيوعية والشيوعيين لم تثر في هذا الظرف
بالذات الا لاحراج الحكومة العراقية ، سيان أكان الاحراج « شيعياً » ام « كردياً » . . .

ولقد كان الحديث عن فلسطين مفاجئاً يدعو الى المزيد من العجب والذهول ، لا لأنه جاء
بؤكد الرأي السابق بان لا حل لهذه القضية وانها متروكة على جانب الله وحسب ، بل لأن التأكيد
في هذه المرة حظي بفذلكة تشرح وتفلسف الاسباب لضياح فلسطين ونقص اليمين منها نهائياً .

فقد جاء في الحديث الذي نشرته « لوموند » على لسان الرئيس عبد الناصر بأن ليست لدينا
الآن مشاريع لحل مشكلة فلسطين عن طريق الحرب . . .

وان اسرائيل هي التي رفضت الحلول السلمية برفضها قرارات الامم المتحدة . . .

واذن ، لا حل ولا أمل بايجاد حل ، بعد أن تعذر الحرب وتعذر السلم ، وبقي على المسيو
« اريك رولو » ان يجد حلاً لقضية فلسطين ، كما طلب منه ذلك الرئيس عبد الناصر وأعلن
انه سيكون سعيداً لو وجد المسيو اريك الحل السعيد المنشود !

أما القول باننا « لسنا عنصريين ولا متعصبين ، وليس لدينا اية نوايا للربط بين الصهيونيين
واليهود ، واننا نقدر ان أي تمييز عنصري او ديني سيهدد تهديداً خطيراً كيان جميع القيم
الانسانية . . . الى آخره فهو كلام انساني لطيف اتفق جميع المسؤولين العرب عليه وأكده مراراً

وتكراراً قبل قيام دولة اسرائيل وبعد قيامها . فالعرب يقاسون الامرين في اسرائيل ، واليهود في جميع البلاد العربية يعيشون في أمن وطمأنينة وسلام .

واليهودية غير الصهيونية واليهود غير الصهاينة وو . . . كل هذه البديهييات يعرفها ويؤمن بها العرب جميعهم ، وأول المؤمنين المبشرين هم السادة المسؤولون . . .

فأي جديد اذن ظفر به مسيو « رولو » وأي نصر حققته « لوموند » ؟

الجديد في هذا الحديث انه تأكيد آخر لما سبق اعلانه من أن لا حل لقضية فلسطين . والنصر المؤزر المبين الذي ظفرت به صحيفة « لوموند » الفرنسية ومن هم وراء « لوموند » سوف تنشر بشائره وترفع اعلامه غداً ، وسيتولى هذه المهمة ليس مسيو « رولو » وحده بل نفر معروف من أبناء فلسطين نفسها !

وغداً وان غداً لناظره قريب سوف نقرأ الشروح الضافية لما خفي واستتر على افهامنا من الحديث الذي ظفر به مسيو رولو وصحيفة لوموند !

لا نريد أن نسأل من هو مسيو « اريك رولو » . .

فقد لا يكون هو نفسه الخواجه « الياهو رفول » اليهودي المتمصر الذي عاش في مصر والذي يتقن اللغة العربية ، والذي هاجر من مصر أو أبعد عنها . . .

قد لا يكون « اريك رولو » هو « الياهو رفول » بل حتى لو كان هو بعينه فليس في ذلك بأس ولا ضير . . و« نحن لسنا عنصريين ولا متعصبين وليس لدينا أية نوايا للربط بين الصهيونيين واليهود . . . »

و « نحن ليست عندنا مشاريع لحل قضية فلسطين عن طريق الحرب » و « اليهود رفضوا الحلول السلمية لهذه القضية . . . » الى آخره الى آخره !

ولكن ، ثمة سؤال أبيض :

ترى هل هذا هو الوقت المناسب للتفوه بمثل هذا الكلام ؟

ثم ، لو ان احد المسؤولين العرب في الاردن او السعودية او الجزائر او سوريا او لبنان ، أو العراق أو تونس أو ليبيا أو حتى تركيا . . .

لو ان أحداً تفوه بمثل هذا الكلام الذي نقله « ايلياهو رفول » هل تراه كان يخلو من العتاب والملام ؟

ذكرى زغلول تضي وتزورق

يبدو ان الهتافة اللعوقين من ماسحي الجوخ المترلفين ، لم يكفهم الاحياء من الناس ينهشونهم ويلغون في كراماتهم ، بل تحولوا الى القبور ينشونها لينهشوا ما تبقى من رفات وعظام الاموات ! وتلك ظاهرة جديدة وخلة غير حميدة تضاف الى سلسلة « المآثر » التي اختصت بها وتفنت طائفة الهتافة من المرتزة والمتاجرين باسم عبد الناصر

فلقد كنا نفهم أن تلجأ الامعات لمهاجمة الاحياء ، تهافتاً ومداجاة لنيل الرضا والاجر والثواب .

وكنا نفهم أن يبرع هؤلاء وكلهم بارع وبارع وضيع ضليع ، يعرف جيداً من أين وكيف تؤكل الكتف ، حتى لو كانت جيفة او رمة تعافها الانوف وتتفرز منها النفوس .

اما ان يتحولوا الى هذا الميدان ، ميدان الجثث والرمم والعظام ينشونها ويحاكوا اصحابها بعد أن أصبحوا في ذمة الله . . . فتلك التي تعجز عنها الافهام ، وتلك التي يضيق لها صدر الكرام ، ولا يرضى عنها غير اللثام !

لقد تطوع في الالوة الاخيرة من يدعى عبد اللطيف النشار او المنشار ، فكتب في احدى صحف القاهرة يهاجم سعد زغلول وينال من سمعته ووطنيته وجهاده الطويل في سبيل أمته .

ولو ان سعد زغلول — وهو من هو في وطنيته وعظمته وخلود اسمه — لو انه ما يزال حياً لامكننا أن نجد تفسيراً للحملة عليه في جملة ما نجد من تفسير وتعليل للحملة على الاحياء .

ولكن سعداً رحمه الله قد انتقل الى جوار ربه منذ أكثر من ثلاثين عاماً . . . ثم انه لم يترك ذرية من بعده كيما نقول ان الحملة عليه بعد الوفاة ، انما يقصد منها تجريح وطنه بذريته الاحياء .

وسعد زغلول الذي بلغ من حب المصريين له خاصة ، والعرب عامة ، مرتبة كادت تقارب مرتبة القديسين والانبياء ، لم يختلف على احترامه وتبجيله حتى ألد أعدائه . بل لم يجرؤ على مقاضاته ومحاكمته أحد وهو حي . . .

فما بالك وهو في ذمة الله ؟

بل ما بالك بمصري قدم نطع ، ينال منه في صحيفة مصرية . . . يتهمه ويحاكمه ، وهو بين يدي أحكم الحاكمين ؟

* * *

ترى أقفرت الميادين أمام الزواحف والامعات تسعى على بطونها للتزلف ونيل الرضى ، فلم تجد غير ميدان القبور والاموات ؟

أم ان ذكرى الاموات — الاحياء تخيف وترهب وتقض المضاجع ؟
 من يلدي ؟
 لعل لذلك الذي يسمى « النشار » ولن هم على مثال النشار ، عذراً ونحن نلوم !
 لعل ذكرى سعد زغلول الحية الخالدة في كل ذهن تضني وتؤرق . . .
 ولعلها اذن أحق بالمحاربة والهجوم حتى لو كان من يهاجمها ويتصدى للنيل من جلال
 ذكرها أمة تدعى . . . النشار !!

حرية النقد

حرية القول والكتابة لا تخيف الدولة القادرة الواثقة من نفسها ، حتى لو أساء بعضهم استعمالها .
 وهي بالتالي لا ترهب الافراد الاقوياء الشرفاء مهما ولغ في اثناء الحرية والغ .
 ذلك أن الحرية كالمرآة تعكس صورة من يحسن او يسيء استعمالها على السواء . فحرية النقد
 مهما كان قاسياً لا ينقص من قدر الحاكم — وكل حاكم غير معصوم عن الخطأ والزلل — ولا
 هو بالتالي معصوم عن النقد .
 انما يعيب الحاكم ، بالغاً ما بلغ من الشأ والسلطان ، أن يدافع عن حرية السفلة والاوغاد ،
 الذين ابتلي بهم وعرفهم ونعم باطايب سبابهم وشتائمهم ، ثم احتضنهم ليشتموا غيره كما كانوا
 يشتمون في الماضي — وهو واثق كل الثقة — انهم سينقضون عليه مجدداً لينهشونه نهشاً عندما تحين
 الفرصة وتدق الساعة .
 والحاكم المغرور الجاهل الذي يركب رأسه ، هو الحاكم الذي يضيق صدره بحرية من
 يصدقونه القول ، وينشرح صدره بحرية الزعانف والامعات التي تبصبص باذنانها له متملقة
 شعوره مستجدية عطفه واجره !
 وأكثر الحكام غروراً وجهلاً وعناداً ، هو ذلك الذي يعتقد ان باستطاعته أن يرد عن نفسه
 سهام النقد لمجرد اطلاق اجرائه وصنائه الموقوتين في أعقاب الرجال ، يبهبون وينبهون ويشتمون ،
 ظناً منهم أن هيباتهم ونبايحهم وشتائمهم ستصرف الرجال عن نقد سيدهم !
 وحرية الشتم ، حرية رخيصة مبتدلة يتقنها نوع معين من أشباه الرجال . . . أما حرية
 النقد فأنها الصخرة العاتية التي تتحطم عليها الرؤوس بالغاً ما بلغت من القسوة والعناد !

• • •

عندما استتب الامر لاسماعيل صدقي باشا في مصر فعطل الدستور وحكم المصريين بالنار

والحديد وقال قولته المشهورة « سأجعل من مصر سجناً يتسع لجميع المصريين » في تلك الايام التي خيل فيها لاسماعيل صدقي انه خنق كل حرية وداس كل كرامة استطاعت الحرية رغم بطشه وعسفه . رغم حديده وناره ، ان ترتفع وان تهتف بسقوطه في قاعة المحكمة وعلى مشهد ومسمع من قضاة مصر . . .

فقد وقف رحمه الله مكرم عبيد - وغداً ذكرى وفاته الاولى - أمام المحكمة وكان سكرتيراً للوفد المصري عدو اسماعيل صدقي اللدود : وقف مكرم عبيد يقول للقضاة :

« ايها السادة ماذا أقول لكم ؟ اذا قلت كذباً صدقتموني واذا قلت صدقاً كذبتُموني . . . اذن فليحيا كذبي و « ليسقط صدقي » !

ودوت صيحة مكرم عبيد في جنبات القاعة وعم صداها القطر المصري من اقصاه الى اقصاه !

ولم يلبث اسماعيل صدقي ان انهار حكمه وتقلص سلطانه بالرغم من السجن الكبير الذي هدد بوضع مصر وجميع المصريين داخله !

الدفع الثوري والدفع الفوري !

وكما تشح المياه في « الحنفيات » عندما يخف او يتضاءل الدفع - دفع الضغط في القساطل والانابيب - بدأت تشح النوبة العاطفية والتشنج التمثيلي في الانتصار لعبد الناصر عند بعضهم . . . لقد صح ما توقعناه منذ أمد بعيد ، وصحت العبارة المشهورة التي رفعت على يافطة في احدى احياء بيروت الغربية ، والتي كتب عليها يومئذ « يا ناصر لا تناصر من يتاجر بعبد الناصر » . وصح أيضاً ما كتبه منذ أيام قريبة ، عندما قلت بأن الفتور قد بدأ يحل عوض الحماسة ، والاحجام بدل الاقبال ، والادبار مكان الاقدام . وها هو أول الغيث ينهمر قطرة بعد قطرة ، وتاجراً بعد تاجر ، ومتظاهراً بعد متظاهر ، وكلهم يدعي الانتصار لعبد الناصر !

ففي الوقت الذي كان فيه بعضهم يقيم الدنيا ولا يقعدا ، أثر خطاب أو تصريح ، أو كلمة يلقيها عبد الناصر من القاهرة أو الاسكندرية أو أسبوط فينشطون بأيديهم وأقلامهم وألستهم ليملاً والصفحات تعليقاً وتهليلاً وتكبيراً وتبجيلاً وينشرون الصور في مختلف البوزات للرئيس عبد الناصر مع ما تيسر من آيات المديح والاعجاب ، اذا بهم اليوم يتواضعون ولا يستحون ، من ان ينشروا وعلى عمود واحد في حجم لا يزيد على ستة سنتمترات ونصف السنتي - تلخيصاً للخطاب الكبير الذي القاه الرئيس عبد الناصر أول أمس ، والذي يقع في صفحتين كبيرتين .

وهكذا يكون الولاء لعبد الناصر وهكذا يكون الانتصار لعبد الناصر .
لسنا نقول للرجل الثائر اشرب فهذه هي الكأس التي ملأتها يمينك ويمين أعوانك من عرف
وتعرف .

لا ولا نقول انه الجزاء الوفاق لاهل النفاق ممن استبطنت من حاشية ورفاق ، فكل اناء بما
فيه ينضح . ولقد شح الاناء على ما يبدو فشح معه المديح والثناء !
ومن يدري فلعل المتأفة على حق ونحن نلوم . ولعلمهم صادقون ونحن ملومون .
لعلمهم قد فهموا من خطب عبد الناصر ما لم يفهمه أحد غيرهم .
فالدفع الثوري الذي طالما تحدث عنه عبد الناصر في خطبه وبياناته وتصريحاته ، قد فهموه
على أنه دفع فوري (بالفاء لا بالتاء) وهو دفع معجل الاداء لا تسويق فيه ولا ابطاء ، والا فلا
تهليل ولا ثناء ولا اعجاب ولا ولاء !

ولعلمهم قد فهموا من المكاسب الذي طالما تحدث عنها عبد الناصر ، مكاسب الثورة :
ومكاسب الاشتراكية . ومكاسب العمال ، ومكاسب الفلاحين الى آخر جردة حساب المكاسب
... . لعلمهم عرفوا بثاقب فطنتهم وبعد نظرهم ، انها مكاسب وهمية ، وان المكاسب الحقيقية
ليست سوى مكاسبهم الفورية الآتية المعجلة العطاء بلا تسويق ولا ابطاء !

ناصر والنظام الناصري

ليس يؤخذ على سياسة عبد الناصر انحراف خارجي خطير ، ولا يؤخذ عليها شطط وطني
كبير . انما يؤخذ عليها هذا الرفض المستمر العجيب لكل عبرة وكل عظة من العبر والعظات
والامثولات التي اقتنها وتلقاها صروف الايام والاحداث .
ليس عيباً أن يقع عبد الناصر في خطأ ما ، فهو ليس الهاً لا يخطئ . انما الامر الذي يؤسف
له ، ان يتكرر الخطأ نفسه مدة طويلة من الزمن ، فلا يكون في الماضي رادعاً عن الحاضر ، ولا
يكون اللاحق خيراً من السابق !

لم يعرف عبد الناصر كيف يختار الرجال الذين قريهم وحالفهم .
في الفترة الاولى كان النقص في الخبرة هو العذر . وكان الامل أن القائد الثائر لن يلبث ان
يستفيد من التجارب فيميز الغث من السمين والصالح من الطالح .
ولكن شيئاً من هذا لم يحدث : فلقد بقي الرجال المعتمدون من قبل عبد الناصر هم انفسهم
لا يتغيرون ولا يتبدلون ، وبقيت الاساليب هي نفسها لا تتغير ولا تتبدل !

أما من دفع ثمن هذا الاصرار العجيب على عدم الافادة من العبر والتجارب فهو عبد الناصر ورصيد عبد الناصر عند الشعوب العربية .

* * *

لم يقل أحد في جمال عبد الناصر ما يقوله اليوم فيه أكرم الحوراني . فلا الملك سعود ولا الملك حسين ولا نوري السعيد ولا عبد الكريم قاسم ولا الحبيب بورقيبة ولا امام اليمن ، اتهم الرجل الثائر بجزء يسير مما اتهمه به نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة أكرم الحوراني . . . ذلك ان أقل ما يقوله السياسي السوري منذ قيام العهد السوري الحاضر ، ان جمال عبد الناصر قد باع نفسه لاميركا وتخلّى عن قضية فلسطين ، مما لم يسمعه عبد الناصر من أحد !

ووجه العجب ومكمن العبرة ، ان عبد الناصر لم يأتمن أحداً من الناس كما اتّمن اكرم الحوراني . فمنذ العهد السابق للوحدة اختار عبد الناصر أكرم الحوراني من دون زعماء سوريا جميعاً صديقاً له وحليفاً ، وعاون الرئيس الزعيم السوري على أن يتغلب على معظم خصومه السياسيين حتى كادت طبقة سياسية بأسرها تنهار بقوة المعونة التي قدمها عبد الناصر لاكرم الحوراني .

وعندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا كان في طليعة الآمال التي علقها جمهور كبير من السوريين على الوحدة انها ستكون وسيلة للتخلص من أكرم الحوراني ، فكانت النتيجة ان أكرم الحوراني أصبح المعزز المدلل في أيام الوحدة ، فقد عينه عبد الناصر نائباً له ، وجعل له المقام الاول من بعده .

ولم يكتف عبد الناصر بذلك ، بل انه اتى الى الوزارة بزم الحوراني ورفاقه وأصدقائه وأقاربه ، فكان الحورانيون هم ممثلو سوريا في حكومة الجمهورية العربية المتحدة .

وأثناء عهد الوحدة وحتى بعد استقالة أكرم الحوراني وجماعته من الوزارة استمر عبد الحميد السراج ، رجل عبد الناصر في سوريا ، يراعي خاطر الحوراني ويسايره ويداريه ويتملق له كما لو كان هو الحاكم ، هذا بينما كان سائر الزعماء في سوريا يقاسون الامر من الاضطهاد والظلم والقهر .

وفي العهد الذي تلى الوحدة ، قام أكثر من دليل على أن عبد الناصر استمر راغباً في صداقة أكرم الحوراني والمخالفة معه . وبهما يكن رأينا في اسباب شهرة الحوراني فمما لا شك فيه ، ان عبد الناصر كان من دعائم هذه الشهرة ومن اسسها وركائزها .

واليوم يضع أكرم الحوراني شهرته ومكانته في خدمة قضية واحدة ، هي تهديم عبد الناصر وزعامة عبد الناصر .

هل كان الحوراني يوم اصطفاه عبد الناصر غيره اليوم ؟
 وهل القلب شيء طارئ في طباع الحوراني ؟
 ثم هل كان الحوراني بالامس غيره اليوم ؟
 كلا .

بل ان الحوراني كان وما يزال هو هو لم يتغير ولم يتبدل .
 لقد اختاره عبد الناصر رغم انف كل من نصحه وحذره ونبهه . ولكن عبد الناصر لم يعر
 كلام احد أذناً صاغية .
 لقد قيل له ان السياسيين التقليديين الذين يمشونه اليوم سوف يغدرون به في الغد . وقيل له
 ان الذين يتصدرون موكب صداقته والدنيا مقبلة عليه ، سوف يتصلرون موكب عداوته في
 ساعة الشدة .

ولكن عبد الناصر مع ذلك اصر وصمم على اصراره . . فكان له ما اراد ، وهو اليوم يحصد
 ما زرع بالامس !

شيثان ، في جملة الاشياء ، التي ما تغيرت ولا تبدلت :
 الساسة القدامى ،

واصرار عبد الناصر على عدم الافادة من عبر الايام وعظاتها !
 فالى متى يدوم هذا الاصرار ؟

هل ضاعت الآمال ؟

سواء انسحبت مصر من الجامعة او لم تنسحب ، فان شيئا واحدا لا يغير حقيقة اوضاع
 الجامعة المهلهلة .

وسواء عادت او اكتفت بالتهديد بالانسحاب ، فان الواقع المخزي الذي تقلبت فيه الجامعة ،
 سيظل هو هو لا يتغير ولا يتبدل ، ما دامت العقلية الراهنة هي التي تسيطر عليها وتعمل بهديها .
 والحزن المعزج باليأس الذي أصاب المواطن العربي لدى سماعه نبأ انسحاب مصر من
 الجامعة ، ليس في الواقع حزناً على الجامعة نفسها ، بل على ما صار اليه العرب من فرقة وتناؤد
 وتشاتم . ومما يزيد في الاسى والالام أن تأتي النكسة من الجانب الذي علق عليه العرب آمالهم زمناً
 طويلاً ، وأحرز لهم الانتصارات المتوالية بسرعة اسطورية جعلت انظار العالم بأسره تنج صوبه
 باعجاب واكبار .

تلك هي العاجعة التي أحس بهولها وحزن من أجلها كل مواطن عربي حر .
فالاخطاء التي ارتكبها حكم عبد الناصر في سوريا واعتُرف بها عبد الناصر نفسه . . عقب
الانفصال هذه الاخطاء التي خيل لنا انها ستكون درساً مفيداً للمستقبل ، عادت ترتكب مرة
ثانية بلا تغيير ولا تبديل ولا تحوير !

والاساليب التي انتهجها حكم عبد الناصر أثناء الوحدة وبعد الوحدة ، عادت الى الممارسة
بنصها وفصها بعد فك الوحدة !
و « الطقم » الفاسد الذي عرض في واجهة الوحدة أثناء عهد الوحدة ، جيء به من جديد
ليمارس العمل من جديد لاعادة الوحدة .

وكبت الحرية ، وتسويد الازنان ، وحكم الارهاب ، الذي أدى الى الانفجار في سوريا .
وكان واضحاً لكل ذي عينين انه المسؤول عما وقع في دمشق وما قد يقع في القاهرة ، لم يكن
حافزاً للمسؤولين هناك لان يعتبروا ويتعظوا بمنطق الاحداث . بل كان حافزاً ومنشطاً ودافعاً لهم
لان يمشوا في الطريق ذاتها والاساليب عينها والاشخاص انفسهم . حتى ليحسب المرء ان ثمة
عقداً شيطانياً وحلفاً مقدساً بينهم وبين الاخطاء وأية اخطاء ؟

الاجزاء التي قادتهم نحو كل مصيبة وقعت وكارثة حلت .
فالظلم يداوى بالظلم .

والكبت يداوى بالكبت . والفساد يصلح بالفساد . والاعوجاج يقوم بالاعوجاج !
وأشد ما يذهل ويصعق أن أخطاء حكم عبد الناصر تتكرر بعينها دونما تحوير أو تعديل
أو تجديد .

وقد يكون مرد ذلك الى جواسيس عبد الناصر وعملائه وبطانته ورجال مباحثه ، هؤلاء الذين
يمدون بالمعلومات المأجورة الكاذبة المغلوطة .
ولكن لكل شيء حداً ولكل أخطاء نهاية . فالى أين تنتهي هذه الحدود الى ماذا تؤدي
النهاية ؟

* * *

لقد كتب عبد الناصر بيده أروع سطور المجد في سجل تاريخ العرب الحديث . وحرام
على عبد الناصر ان يسمح هذه السطور باليد التي سجلتها !
لقد كان عبد الناصر يمثل آمال الشعوب العربية الطامحة الى المزيد من الرفعة والقوة والكرامة .
كان يحسد امانى جيل كامل .
وحرام الف حرام أن تتبدد الاماني وتضيع الامال .

اشخاص

لم يبق أحد في مصر ولا في لبنان ولا في سوريا ولا في السعودية ولا في الاردن ولا في العراق ،
الا وناشد الرئيس عبد الناصر ان ينقذ نفسه وينقذ الجمهورية العربية من سفير الجمهورية
العربية المتحدة في بيروت .
فسفير السفير الذي يمثل عبد الناصر في هذه العواصم العربية كان منذ ولايته هذا المنصب .
وما يزال موضع شكوى وتذمر البلاد العربية .
فالاردن اشتكى . والسعودية اشتكت . والعراق اشتكى . ولبنان اشتكى . وسوريا اشتكت .
ولو وصلت أيدي السفير الى الهند والسند ، لاشتكت الهند والسند وشاركت الجميع الشكوى
والتذمر .

فما هي الحكمة الخافية التي دقت واستعصت على الافهام ؟
ما هي الحكمة البالغة التي جعلت الجمهورية العربية المتحدة تملك بسفيرها ؟
هل هي الخدمات الجلى التي أداها لرئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر ؟
ولكن ما هي هذه الخدمات بل أين هي ؟
أهي في مصر . وكل من في مصر حتى كبار المسؤولين فيها ولا سيما الضباط الاحرار ،
يستغربون بقاء سيادة السفير ويستذكرون استمراره في منصبه ؟
أم هي في المكاسب التي جناها عبد الناصر في لبنان ؟
أم في الاردن أم في العراق أم في سوريا ؟

ما هو السر العجيب الذي حير الالباب ودوخ العقول ، في هذا التمسك والتشبث ببقاء
السيد الاكسلانس ؟ قالوا منذ عشرة أعوام : انه سفير مصر . وقلنا اهلا بسفير مصر . قالوا
وأصبح سفير الجمهورية العربية المتحدة . وقلنا أنعم وأكرم . وقالوا وهو ممثل الرئيس جمال
عبد الناصر . وقلنا حباً وكرامة على الرأس والعين .

وكل من في مصر يعلم أن سيادة السفير لم يكن له حظ في مشاركة الضباط المصريين
الاحرار في ثورتهم لا من قريب ولا من بعيد بل الكل يعلم ان الاكسلانس كان ضابطاً صغيراً
في البعثة المصرية في واشنطن في عهد سيده ومولاه الملك فاروق . ويشهد الله والمصريون أن سيادته
كان مخلصاً في خدمته متفانياً في كسب عطفه ومرضاته .

وجاءت الثورة المصرية وجمي به مع من جاؤوا تأييداً لقول الله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح
ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسيح بحمد ربك واستغفره انه كان ثواباً »

ولقد كانت الثورة بالفعل ثوابه قبلت وما زالت تقبل ثوبة النائين .

ومرت الاعوام على مصر في صعود وهبوط واقبال وادبار وانتصارات اونكسارات وتغييرات وتبديلات . وتغير كل شيء في مصر : الملكية والاقطاعية وأبناء الدوات وغير الدوات . .

كل شيء تغير في القاهرة حتى أشك النيل ان يتبدل والاهرام ان تتغير ، الا شيئاً واحداً ما استطاعت يد واحدة ان تمتد اليه بالتبديل والتغير . . . ذلك الشيء هو سيادة السفير المحتلما الاكسلانس عبد الحميد بيه غالب ، الضابط الصغير في واشنطن عام كذا واربعين ، والذي أصبح بفضل الثورة المصرية سفيراً منذ قيامها حتى عام كذا وستين . . . ومن يدري ؟ فقد يزول كل من في مصر ويظل سيادة الاكسلانس سفيراً قائماً قاعداً في لبنان يمثل الجمهورية العربية المتحدة الى أبد الأبدان ! قالوا ان بقاءه في لبنان ضرورة مصرية . قلنا آمناً . وقالوا ووطنية . قلنا صدقنا . وقالوا وعربية . وقلنا آمين آمين .

وغضب الاردن فهاجمنا الاردن . وغضب العراق فهاجمنا العراق . وغضبت السعودية ، فهاجمنا السعودية .

وكان الذي كان في لبنان وبقي سيادة الاكسلانس رغم انف لبنان .

وقلنا ان مصر معدورة وان الرئيس عبد الناصر معذور ، فما ينبغي ان ينقل سيادته تحت وطأة التهديد والضغط ، وينبغي أن يزول عهـب شمعون اولاً ثم يتم نقل السفير بعدئذ .

فماذا كانت النتيجة ؟ ذهب شمعون وبقي سيادته . بل ذهب فاروق وبقي هو في منصبه . . استغفر الله بل رقي وأصبح جنرالاً .

وفي كل مرة يتساءل الناس سواء في مصر ام في سائر البلاد العربية : ما هو مبرر بقاء هذا السفير وما هي الحكمة الخافية التي تدعو رجلاً مثل جمال عبد الناصر لان يتمسك بسفير مثل عبد الحميد غالب ؟ وترتفع الهمسات ويوشوش الموشوشون « هس اسكتوا اياكم ان تنتقدوا سيادة السفير . . . »

ونسكت على مضض ونحن نشاهد المصائب والويلات تنهال على رأس مصر والمصريين ، وتنال من سمعة عبد الناصر كل منال . . ولا رغبة ولا بصيص أمل يوحى بتغيير الاحوال !

* * *

بمثل الدهشة التي فغرت أفواه المخلصين والمحبين المعجيين بعبد الناصر ، سألني أمس أحد السفراء اللبنانيين وهو يقلب يديه وعينيه متسائلاً مندهشاً : « صحيح يا أخي شو القصة شو الحكاية شو السر . . ؟ » قلت له : أتسألني أنا ؟ !

اشخاص

عدنا والعود أحمد . . .
أما العودة ، فهي الى رجل الساعة ، وبطل الساحة ، زين المعالي ، والكوكب المتلالي ،
السيد السفير اللواء عبد الحميد غالب !
لقد ذكرنا « زغلول » برئيس زغلول .
ذكرتنا رحلة الملحق العسكري المصري ، بفطنة السفير المختلطان ، الذي طار الزغلول من
بين يديه وأمام سمعه وبصره ، وهو غافل عنه .
واذا كنا لا نستطيع الادعاء بالعلم المسبق بنيات الزغلول ، فان حكمة السفير ويقظته والمعينة
التي ظهرت في حادث فرار الملحق ، لم يكن فيها بالنسبة الينا أي شيء جديد !
لقد حذرنا من في القاهرة منذ أكثر من تسع سنوات ، ان التمثيل المصري في بيروت غير
جدير بأن يخدم البلد الذي يمثله الخدمة الصحيحة السليمة الصادقة .
وكنا نقول ونردد مراراً وتكراراً ، ان السفير البورجوازي للدولة الاشتراكية ، غير قادر على
افادة مصر لا في بيروت ولا في أي عاصمة أخرى من عواصم العالم .
ولكن القاهرة كانت لا تصغي لاي نقد يوجه لسيادة السفير المختلطان .
فكلما كانت كرسي السفارة تهتز من تحت السفير ، كان الموشوشون هنا وفي القاهرة يسرعون
الى وشوشة أصحاب الاذن الصاغية في مصر ، بأن السفير المختلطان هو خير من تسعى به قدم ،
وانه يجب أن يبقى في منصبه الى ابد الأبد ! .
كنا نتحدث عن بورجوازية السفير ، فيدافع عنه الموشوشون بأنه سيد الاشتراكية والاشتراكيين
ونصير العمال والكادحين .
وكنا نقول ان عين القاهرة في لبنان مغمضة لا ترى الا الاصدقاء الشخصيين والسهرات
والساهرين ، فكان الموشوشون يقولون :
« ليس في الامكان ابداع مما كان » !
واستمر الامر على هذا المنوال تسع سنين طوال نقول الحق فلا نلقى الا الاذى والانهام .
ويقول غيرنا الباطل فيظفر بالحمد والثناء والانعام !
حتى جاءت حادثة طيران الزغلول ، فاذا بها تشهد بما لا يقبل المكابرة والشك ، بغفلة السفارة
المصرية وسوء تديرها الذي فاق حد التصور .
فما عسى يا ترى يقول الموشوشون ؟
هل يقولون ان عبد الحميد غالب كان المعيا عندما لم ينه القاهرة الى حقيقة نوايا الزغلول وهو

الذي يعيش معه ، والمفروض ان يسبر غوره ويكتشف سره ؟
 هل يقولون ان السفير غالب كان يقطاً متنبهاً حين ترك الزغول يجمع الاسرار ويطلع على
 الخفايا ليذهب بها جميعاً الى اعداء عبد الناصر في دمشق ؟
 هل يقولون ان عبد الحميد غالب غير مسؤول عن طيران الزغول ، وهو رئيسه والمسؤول
 الاول عنه وعن كل ما يجري في السفارة ؟
 ان تصرفات الزغول كانت من النوع المريب الذي لا يمكن ان يخفى على لبيب . ولكن ما
 عسى ان يقول مثل السفير غالب عن مثل الملحق زغول ؟
 هل يقول عنه انه يسهر ؟
 هل يقول عنه انه لا تبدو عليه مظاهر الجذ في عمله والولاء لوظيفته ؟
 لقد سكت السفير عن الملحق العسكري ، فكان الذي دفع الثمن ، لا عبد الحميد غالب .
 بل من وثق بعبد الحميد غالب !
 ولتصدقنا القاهرة ، انه ما دام تمثيلها الديبلوماسي في بيروت هو على ما هو عليه اليوم .
 فلن يكون طيران زغول آخر المآسي . وليس بمستبعد أن يكون في السفارة زغول او زغاليل آخر
 يعملون ضد مصر في أبواب ممثلي مصر !
 واللبنانيون يعرفون جميعهم ان معظم من اعتمدت وتعتمد عليهم مصر بفضل سيادة السفير
 الالمني وتوصياته وتوجيهاته ، هم زغاليل ينتظرون الفرصة السانحة ليصفقوا باجنحتهم ويطيروا !
 وكل زغول وسيادة السفير بخير !

اشخاص

يبدو ان سيادة السفير ، بيضة الثورة المصرية وحامي حمى القومية العربية ، فقد أعصابه
 وضاق صدره — وهو المعروف المشهور بسعة الصدر — بعد طيران الزغول من بين يديه وقوقع
 اللأئمة عليه .
 لقد احس — ولعلها المرة الاولى التي يحس فيها ، ان الكرسي يهتز من تحته ، وقد كان
 والشهادة لله كجبل المقطم ، لا تهزه رياح ولا تحركه اعاصير ، بالنظر الى خدماته المنظورة
 المستورة المبرورة المشكورة ، التي قدمها سيادته الى بلده خاصة وإلى سائر البلدان العربية عامة
 طيلة عشرة أعوام ، تحدثت وما تزال تتحدث بالآلها الركبان وتظنب في تعداد مآثرها الانام !
 غير أن زغول السفارة في بيروت الذي خطفه الرجعيون الانفصاليون ، ثم تبين انه هو الذي

خطف نفسه الى هناك ، قد ضعضع سيادة السيد السفير وأوقعه في حيص بيص لا يعرف كيف يتصرف ولا كيف يداري الخيبة التي مني بها . ف شعر كما يشعر النائم الذي يستيقظ من الحلم ، ان شمس قد آذنت بالمغيب ، أو على الاصح الادق ان ليله الطويل قد أوشك ان ينصرم الى لا يعود الى لا يرجع !

فلجأ الى ما يلجأ اليه عادة أصحاب المواهب التمثيلية من نجوم السينما والمسارح ، اذ تولت صحفه نشر صورته المتعددة الاشكال المتنوعة البوزات وهي تحمل البسمة الرضية والنظرة السحرية ، وتتجلى فيها الاناقة والعبقرية .

وسكنت عليها الاقلام الوطنية النظيفة العفيفة ، ما لذ وطاب للسفير من آيات المدح والتقريظ والثناء ، على فرط المعية وفرط سهره على مصالح الجمهورية العربية عامة والقومية العربية خاصة ، وغمست الاقلام الشريفة العفيفة النظيفة مدادها بضمائر اصحابها بعد أن استخارت الله والوطنية والوحدة العربية ، وتولت الدفاع عن سيدها وولي نعمتها وباني دورها وبيوتها ومالي جيوبها وبطونها . . . « وكل اناء بما فيه ينضح » !

ولقد نضحت الاقلام ونضح الاناء ، وبان وجه السيد السفير ، سفير السفراء من خلال قلائد المديح والثناء التي غمرنا بها الزملاء انعم بهم وأكرم من زملاء !

ومن حق السفير العزيز علينا أن نصدقه القول بأننا بتنا ازهد الزاهدين في ابتعاده عن لبنان ، بل اننا نناشد سيادة الرئيس عبد الناصر بوجوب تجديد الولاية لسيادة السفير عشرة أعوام أخرى خاصة بعد المنافع التي أصابت الزملاء الاعزاء . . . فمنهم الجائع الذي لا يشبع ، والطامع الذي لا يقنع ، ومنهم اللاجئ المسكين الذي ركبته العائلة وما من معين الا اكف المحسنين . وكلهم والحق يقال يستحق كل الخير والمنفعة ، والسيد السفير كله منافع . . . !

اشخاص

تهمة الخيانة أصبحت على السنة البعض وأفواههم كتحية الصباح او كعلكة الشيكس . وليس أيسر من الصاقها بالناس بلا ترو ولا تدقيق ، تماماً كما يلصق أحدهم ورقة البول ولا تكلفه كثير عناء ولا مشقة .

والطريف ان أكثر المتحمسين المتشجنين لهذه الهواية او على الاصح لهذه المهنة — وقد أصبحت في هذه الايام مهنة — مهنة تقييم الناس وتخوينهم ، هم أكثر الناس التصاقاً بالخيانة والعمالة ، وأحق من غيرهم بالتقويم والاصلاح ، او الاهمال والازدراء والاطراح .

تجد الواحد من هؤلاء وأقصى طموحه ان يصل الى بعض ما وصل اليه سيده او صنوه في

الطبايع والخلق ، عن طريق نهش الاعراض والاكتاف ، وافتعال التشهير والافتراءات ضد الناس بالكذب والتدجيل والخذاع .

تجده في هم مقيم ونصب دائم يتمرغ في وحل الرذيلة ثم لا يتورع عن الصاقها بالناس تطميناً لنفسه وخذاعاً لها بان أهل الفساد والكذب والخيانة كثير ون وانه ليس وحده في هذا الميدان ! شعور باطني يغلي في بطن كل واحد من هذه الفئة كما يغلي الزيت والقطران .

وأشد ما يثير الضحك ويسترعي الفرجة على هؤلاء المخاليق وتلاميذهم ، ان الواحد منهم لا يستقر على حال ولا على رأي - اللهم باستثناء الثبات على الاستسلام والثبات على المبدأ ، مبدأ من يدفع أكثر تقف الى جانبه أكثر ! فالشريف خائن ، والخائن شريف ، والحر عبد ، والعبد حر ، والابى ذليل ، والدليل أبى الى آخر المتناقضات والوجوه الكرتونية التي يلبسوها في كل حالة ، حتى ليختلط عليك الأمر ولا تستطيع ان تفرق بينهم وبين القرود والبيغاوات ! فالمقدم زغلول عبد الرحمن - احد الضباط الاحرار الذين اشتركوا في ثورة ٢٣ يوليو قبل أن يصبح ملحقاً عسكرياً في سفارة أسد الله الغالب عبد الحميد غالب .

هذا المقدم الذي كانت يده ورجله في أفواه « الوطنيين الشرفاء » حماة الوطنية والعروبة والاخلاق ، قد أصبح بين ليلة وضحاها خائناً عميلاً مأجوراً مقامراً سكيراً مدمناً على ثم الميرويين رقيقاً مبتذلاً من رواد الكاباريهات وجليس الاريسنات ، غارقاً في الرذيلة والفساد والديون ، محتالاً نصاباً . . . وأخيراً وليس آخراً « قريب محمود أبو الفتح » !

ومعنى هذا ان المقدم زغلول عبد الرحمن الملحق العسكري في سفارة . . . الى آخره ، كان قبل هربه الى دمشق ، ضابطاً حراً نزيهاً عفيفاً شريفاً مخلصاً صادقاً أميناً وفيّاً نشيطاً مؤتمناً بطلا مناضلاً يصلي الاوقات الخمس ليس سهرجياً ولا كوكتلجياً ، لا يقامر ولا يراهن ولا يشرب الخمر ولا يتعاطى المنكر . . . وأخيراً وليس آخراً ليس قريباً لمحمود أبو الفتح ! وقد يكون الزغلول قبل طيرانه الى دمشق مثلاً للعفة والوطنية والاخلاص ثم انقلب فوراً الى مثل أعلى للخيانة والعائلة والمروق . فنحن لا نعرف بحمد الله الزغلول ولم نر له صورة وجه الا في الصحف التي تولت نشر صوره .

وأصحاب الزغلول وعملاء الزغلول وأصفياء الزغلول الذين كانوا يسهرون معه في خمارات بيروت حتى مطلع الفجر وقيل طيرانه الى دمشق بايام قليلة . . .

نقول ان هؤلاء أدري به منا وهو أدري بهم ، فكلاهما يعرف الآخر معرفة جيدة ! .
ليس لنا اعتراض ان تنهال سيول التهم على رأس الزغلول خاصة بعد فراره الى دمشق .

اعتراضنا الوحيد — وليسمح لنا دعاة الوطنية والاخلاق ان نجرؤ على ابدائه . . .
اعتراضنا الوحيد ، هو هذا الاستلشاق بعقول الناس وذاكرتهم !
وقديماً قالوا :
« اذا كنت كذوباً فكن ذكوراً » !

عقيدة أم عقدة ؟

عندما أعلن الرئيس عبد الناصر في ذكرى ٢٣ يوليو قيام « الحركة العربية الموحدة » حسبنا انها نواة حزب جديد يريد أن يرسي قواعده على اسس جديدة واضحة ليواجه به حزب البعث . ولم نتمالك ونحن نستمع اليه لأول وهلة ، وهو يزف هذه البشرى السارة ، ان نهتف من الاعماق « الحمد لله » وقلنا لقد آن الاوان لمثل هذا العمل العظيم بالرغم من انقضاء احد عشر عاماً كان حكم عبد الناصر خلالها في أمس الحاجة اليه لتركيزه وتوطيده على أسس بعيدة عن الاعتباطية والغوغائية ، وبنجوة عن أيدي سوء والفساد .

ولكن الفرحة لم تدم طويلاً ، فقد تبين ان هذه الحركة التي يدعو اليها الرئيس عبد الناصر ليست حزباً ، وانما هي جبهة موحدة تشمل جميع الشعوب العربية ، أي انها على غرار « جامعة الشعوب العربية » التي ولدت في أعقاب مؤتمر شتورا المعلوم ، والتي لم يكتب لها البقاء الا ساعات معدودات ، اذ تولت الصحف والاذاعات الناصرية تكفينها ودفنها « الى لا يعود الى لا يرجع » ! واذن ، فالدعوة الى قيام « الحركة العربية الموحدة » لا تعني في حقيقة أمرها الا امراً واحداً هو استنفار جميع القوى الناصرية من المحيط الى الخليج وشحنها وتعبئتها « للعمل » في البلاد العربية عند تلقي الإشارة !

أما ماهية هذا « العمل » المرتجى للحركة العربية الموحدة العتيدة ، فهو ما لم يفصح عنه بعد ، ولعله يكون « تكتيكاً » لا يجوز الافصاح عنه ضمناً بسرية وسلامة الحركة العربية التقدمية الصاعدة دائماً والضاربة أبداً في معارج الرقي والتقدم والفلاح ! ولندع جانباً ماهية العمل وطبيعته ، وان كنا قد خبرنا منه الكثير وبلونا منه للعسير ، سواء في لبنان أم في سوريا ما لا تزال آثاره واضحة شاملة ماثلة للعيان .

ولكن كيف يتم فرز الناصريين وتوزيعهم لتولي المهام والاعمال التي ستوكل اليهم ؟ نحن نعلم ان ثمة فئة كبيرة من « الناصريين » الابرياء الذين لم يتاجروا ولم يسمسروا باسم عبد الناصر . فهل ستستنفر هذه الفئة البريئة وتكون على قدم المساواة مع الفئات الاخرى ؟

ان أسوأ ما في « الحركة العربية الموحدة » انها حركة جارقة شاملة تأخذ البريء بذنب المسيء وتجرف الصالح بحجارة الطالح ، وتشمل المؤمن المخلص الصادق ، بالمارق المخال للكاذب .
ولسنا نجد ضيقاً لو ان التنظيم الحديدي يعمد الى الفصل والتفريق بين هؤلاء وهؤلاء ، فيدع الناصريين من حسني النية ويستثنيه من واجب « العمل » العتيد الذي خبرناه في الماضي والذي نرى آثاره اليوم في دمشق ، ولا سيما بعد حركة الانقلاب الفاشلة التي فجرت الدماء وازهقت مئات الارواح ظلماً وغدراً وعدواناً .

أما أصحاب الدكاكين الناصرية ممن خبرتهم سفارات البلاد العربية واحداً واحداً واسماً اسماً ، ومن يعرفهم عبد الناصر جيداً ويعرف مدى حبهم ولائهم له ، بعد أن خبر مدى عداوتهم ، فهؤلاء لا أسف عليهم ولا حسرة ، فبمثل البساطة والسهولة التي بها يوالون ويؤيدون ، هم يعادون ويعارضون .

واذا كان الحديد لا يفل الا الحديد كما يقول المثل ، فان الحكم القائم في سوريا والعراق سينام على حرير ، اذا كان « الحديد » الذي سيواجهونه من النوع الذي خبروه وابتلوا به وأجهزوا عليه . . .

تبقى عقدة الحزب ، الهاجس الكبير الذي يؤرق الجمهورية العربية المتحدة ، ولا نجد حلاً لها الا في « الملمة » الفلول من الامعات والمرتزة والاجراء والملافيث والدلايل والاذيال واللعوقين ، ممن عرفتهم البلاد العربية معروفة جيدة ، وما نحسب عبد الناصر انه غريب عن هذه المعرفة !

عقيدة الحزب ، صاحب العقيدة ، هي بالنسبة لهذا النفر من الناس عقدة ، وهيئات لهم ولا مثاهم ان يحلوها !

حديث الوفر والتوفير !

هل صحيح ان مصر باتت تشكو عجزاً مالياً وانها تواجه أزمة اقتصادية كبرى ؟
وهل صحيح انها اتخذت الالهية للوقوف في وجه الكارثة المقبلة ، فأقفلت الابواب في وجوه المصريين المسافرين ، الا من تجاوز الخامسة والسبعين او الخامسة والستين على ذمة « الاهرام » وأمرت بشد الاكزيمة على البطون ، واتباع الزهد والتقشف وعدم الاسراف والتبذير ؟
منذ بضعة شهور ، تردد مثل هذا الحديث في الصحف القاهرية ، وكان حديثاً مصوراً نشرت فيه الصحيفة ، ولعلها « الاهرام » عدة صوراً لدار احدى السفارات المصرية المعروفة ببذخها واسرافها ، ولعلها السفارة المصرية في بيروت ، وتددت الجريدة الرسمية بالسفارة التي

لم ترع حق الدولة الاشتراكية في عملها واسلوب انفاقها وتبذيرها ، الذي لا يتلاءم وروح الاشتراكية التي تنسمى بها مصر وتدعي تمثيلها ؟

وقد شمل التحقيق الصحفي الى جانب ما شمل ، من اثاث دار السفارة وسيارات السفير ، القرطاسية واوراق البول ، والفرش والحقيبة التي يتولى نقلها . وتكلف الخزينة عشرات الجنيهات ومئات القروش وآلاف الملايين .. الى آخر « جردة » الحساب الدقيق ، التي تولت الصحيفة الامينة الحريصة على أموال الشعب المصري ، التحقيق فيها وسردها بأمانة تامة ودقة متناهية !

وفهم القراء يومئذ ان ثمة سياسة جديدة سوف تتبعها الجمهورية العربية المتحدة غايتها الحرص على اموال الخزينة ووضع حد للتبذير الذي أنهكها وجعلها تحقق وتدقق حتى في حسابات القرطاسية وأجور الفراشين وتنقلاتهم في السيارات والأتوبيسات والتراموايات . . .

ولكن التوفير والتقتير لم يصب السفارة المدللة و « دلاديلها » المدللين ، بل أصاب الشعب المصري في صميم رزقه ومعاشه اليومي .

والاحزمة التي قيل بأنها سوف تشد على البطون ، لم تشد على بطن واحد من تلك التي ورمت من فرط التخمّة والبلع والتبليغ . . ولكنها شددت وما تزال تشد على البطون الضامرة الخاوية ، بطون الشعب المصري ، الصابر فضلاً عن الكبت والتضييق على الحرمان والاملاق !

اليوم يعود الحديث عن الضائقة المالية في مصر ، ولكنه يختلف عن المرة السابقة . ففيه من الجدل والخطورة ما ينبغي أن تفتخر من أجله العيون والبصائر ،

العيون التي غفلت وتغافلت عن ملايين الجنيهات تهدر سفهاً وعن سابق قصد وتصميم ، على الحثالات والأمعات سواء في القاهرة او في غير القاهرة من عواصم البلاد العربية التي نكبّت بهم ، فكانوا عملاء كل بلد واجراء كل سفارة وبرادع كل ظهر يمتطى ، كما هم اليوم عملاء واجراء وبرادع الجمهورية العربية المتحدة !

بمثل هذه الفئة ينبغي التضحية .

وبمثل هذه المبالغ الطائلة التي تهدر على أمثال هؤلاء كل عام بل كل شهر ، يكون الوفير والتوفير ، وتكون التقوى بالله وبمصر وشعب مصر وبالبلاد العربية جميعها !

٢٣ يوليو . . .

أنا لا أستطيع أن أنسى هذا اليوم ، ولا أستطيع أن أنسى ذكره حتى ولو تخلى عن المعاني التي تحملها ذكره على مر الايام والاعوام ! ذلك لان الثالث والعشرين من يوليو لم يكن يعني بالنسبة إلي خلاص مصر من الملكية والاقطاعية وقيام حكم الضباط بدلاً من حكم فاروق

والباشوات وحسب . ولكن الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ ، كان يعني لي أولاً وقبل كل شيء الخلاص من أسلوب معين قاد العرب نحو الهزيمة النكراء في فلسطين ، بعد أن كرس حكم الفساد والميوعة والعبودية في أرض مصر ، فأذل أعناق المصريين وزين لهم طيب العيش ورغده في ظلال ذل الاستسلام والتسليم للمقادير .

ولست أنسى تلك الفرحة العظمى التي هزت كياني وأنا استقبل ولادة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ أنها فرحة من لا تكاد عيناه وأذناه ان تصدقان ما يرى ويسمع بولادة المولود الجديد الذي طال الانتظار اليه . فما كان يدور بخلد أحد ان مصر التي رزحت مئات الاعوام تحت نير العبودية والظلم ، ستستفيق من وهدة الظلم والعبودية وستفتح رثيها لتتنشق عبير الحرية والعزة والكرامة ، وتخلق خلقاً جديداً ينسيها ما كابدهت من ظلام الاعوام الماضية .

ولم يكن الثالث والعشرين من يوليو عيد الحرية والنصر لمصر وحدها كما قلت ، بقدر ما كان عيد النصر والحرية واسترداد الكرامة المضاعة لسائر البلاد العربية التي منيت بالهزيمة النكراء في فلسطين .

فالقاهرة بالنسبة للعرب قلب العروبة النابض وأملهم المرتجى ، ولا عجب اذا ما انتعشت الآمال وهفت القلوب بولادة اليوم المشهود ، يوم الثأر ، يوم النصر ، يوم العزة ، يوم الكرامة ، يوم ٢٣ يوليو !

وصحيح ان الثورة المصرية اثبتت من قلب القاهرة وتفجرت من أرض الكنانة ، ولكن الصحيح أيضاً انها جاءت تعبيراً لما تجيش به صدور العرب في جميع اقطارهم وليس في القطر المصري وحده . ذلك ان الضباط الاحرار الذين كانوا نواة الانقلاب المصري ، كان الدافع الاول والمحرك الاول لثورتهم وانتفاضتهم على حكم فاروق والباشوات ، هو الاسلحة الفاسدة التي ارسلت اليهم في خطوط النار في فلسطين ، يوم كانت تنفجر الاسلحة بين أيديهم لتفتك بهم قبل أن تصل اليهم أيدي الصهيونيين الاعداء .

وأذن ، فالثورة المصرية لم تقم من أجل دفع الظلم الذي حاق بالمصريين من حكم الملكية والاقطاعية والباشوات في مصر وحسب ، ولم تكن للخلاص من فاروق وحاشيته وسماسته واستبدالها بآخرين لا يتقنون هذه الصناعة ، ولكنها كانت تعبيراً عربياً شاملاً جامعاً لما أصاب العرب في جميع بلادهم من ظلم وذل وعار لحق بهم جميعاً أثر هزيمتهم في فلسطين .

ولولا الاسلحة الفاسدة التي هزت ضمائر الضباط الاحرار في مصر ، ما كان لمصر أن تشهد ولادة الثالث والعشرين من يوليو ، ولظل محمد نجيب ضابطاً لا يختلف كثيراً عن غيره من الضباط ، ولبقي جمال عبد الناصر مدرساً في الكلية الحربية ، وأنور السادات شريداً هارباً من السجون

يؤلف العصابات ويقتال الجنود الانكليز في القنال والاسماعيلية . . . وكفى الله المؤمنين الجهاد ! ولكن الثالث والعشرين من يوليو كان بمثابة أمل مرتجي لرد الاعتبار للجيش المصري والشعب المصري ، بل لسائر الجيوش العربية والشعوب العربية التي منيت بالهزيمة على أيدي قادتها ورؤسائها وملوكها ، وما كانت الانقلابات التي توالى بعد الانقلاب المصري في سائر الاقطار العربية الا تعبيراً لهذه الآمال والالام ، والشوق العظيم لمحو العار عن الجباه !

وبدأ الثالث والعشرين من يوليو في سنواته الاولى ، نهضة قومية مصرية جبارة تعمل من أجل بعث مصر بعثاً جديداً ، وتهيئتها للدور الكبير الذي ينتظرها في العالم العربي .

وانصرفت مصر في عملية تطهير داخلي تقضي على آثار الملكية الفاسدة والاقطاعية الباغية ، وصاح عبد الناصر صيحته « ارفع رأسك يا أخي لقد مضى عهد الاستعباد » .

واستبشر المصريون بزوال عهد بغض قام على الرشوة والمحسوبية ، وتفاءلوا بقيام عهد جديد يعيد الى النفوس كرامتها وعزتها وثقتها بالفضائل والقيم التي مسختها العهود الماضية وجعلت عاليها سافلها .

وراح العرب ينظرون الى الثالث والعشرين من يوليو بأعين وامقة وأنفس مبهورة ، لا يكاد ينتهي من نصر حتى يقفز الى نصر آخر ، وكأنه يحمل في يده عصا سحرية لا تلمس قضية أو مشكلة أو صفة حتى يكتب له فيها النصر المبين .

وكانت الخطوط الاساسية للعمل الثوري الذي حتمه قيام الثالث والعشرين من يوليو واضحة جليلة ، اثبتها جمال عبد الناصر في كتابه « فلسفة الثورة » حين أكد على وجوب العمل لاعادة بناء مصر من الداخل ورفع الحيف عن شعب مصر الذي انهكه الجهل والفقر والمرض .

وكان ضباط الثورة يضعون هذه المهمة في المرتبة الاولى ، ويجعلونها حجر الزاوية في بنائهم الجديد . وقد صرح لي أحد كبار ضباط مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٤ في القاهرة لدى سؤال طرحته عليه حول القضية العربية فقال :

« لا يحسن ايماني بالعروبة ما لم يحسن ايماني بمصر فمصر أولاً وقبل كل شيء » ! ولكن للأسف ، لم يكتب لهذه القاعدة في العمل الجدي والتنظيم المنظم ، الحياة طويلاً الا في الكتب والنظريات ، بل انها استبعدت تماماً ، وانصرفت مصر عن مصرها الى شؤون العالم العربي وشجونه تفرق فيه وتغرقه حتى الاذقان !

ولو انصرفت الثورة المصرية الى بناء مصر واسعاد شعبها ، ووفرت له مئات الملايين من الجنيهات التي اهدرت بهاء خارج مصر خلال الاحد عشر عاماً ، لكان الشعب المصري اليوم في طليعة الشعوب الراقية ، ولكانت مصر من القوة والمنعة بحيث تفرض رأيا فيما تراه حقاً لهذا

وللعالم العربي دون أن تلجأ الى المساومة والاغضاء والاطراح !

وأشد ما يحز في النفس ان نجني ذكرى الثالث والعشرين من يوليو بعد انقضاء احد عشر عاماً من قيام الثورة المصرية ، من غير ان تتمكن قيادة الثورة من تشكيل نواة حزب ، يكون بديلاً عن جيوش المرتزقة والاذناب الذين زرعتهم في القاهرة ووزعتهم على سائر البلاد العربية ، ليكونوا حالة على الثورة وسمعتها وأسوأ دعاية لها !

* * *

في هذه الذكرى المجيدة التي هفت اليها قلوب وأرواح الملايين من العرب غداة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ ، تتلفت القلوب والارواح بعد انقضاء احد عشر عاماً لتساءل : هل ضاعت الفرصة وهل فات الاوان ؟

كردستان لروسيا
ويهودستان لأميركا !

في زمن الغرائب والعجائب والمعجزات ، الذي نعيش فيه ، جاء الحديث عن معجزة حققتها الجمهورية العربية المتحدة في سياستها الخارجية ، وكأن ليس قبلها ولا بعدها معجزة !
هذه المعجزة التي ظهرت في أرض الكنانة ، هي المقدرة على الجمع بين بركة روسيا ورضوانها ، وعطف أميركا وخيراتها . . .

فقد استطاعت الجمهورية العربية المتحدة أن تسلك على الصعيد الدولي سياسة حيادية إيجابية عربية تقدمية ، تحظى في آن واحد بتأييد الرفيق خروتشوف ، وحماسة العم كندي . . .
معجزة ؟

اي والله معجزة ، كدت معها — لولا اننا لا نعيش في عصر المعجزات والكرامات — ان أسلم وأؤمن بها !

ولكنني ، وبعد أن سألتني سائل عن سر هذه المعجزة ، اكتشفت ان لها تفسيراً قد لا يبلغ مستوى الكرامات والمعجزات ، ولكنه يلقي عليها بعض الضوء وبعض الوضوح لمن يؤثرون الضوء والوضوح !

ان الجمهورية العربية المتحدة قد عرفت السبيل الى ارض الدولتين الكبيرتين ، وحلت القضية

على أبسط ما يكون الحل . فأعطت بيد الاتحاد السوفيتي موقفها المعروف من تمرد البرازاني شمالي العراق .

وأعطت بيد ثانية الولايات المتحدة الاميركية ، السياسة الهادئة المعتدلة القانعة بالامر الواقع في قضية فلسطين !

يا لها من قسمة عادلة . . .

كردستان لروسيا ويهودستان للولايات المتحدة ، وكفى الله العرب الابطال الاشواش شر القتال والجهاد !

روسيا ؟

وماذا تريد روسيا أكثر من أن تتلاقى معها الجمهورية العربية المتحدة في أعز قضية لها في الشرق ، وهي قضية الاكراد .

أميركا ؟

وهل كانت تحلم اميركا على ممر الزمن بمثل التصريحات التي حظيت بها بشأن قضية فلسطين ، فكانت قرعة عينها بعد أن جاءت تطمئن اسرائيل عن انعدام وجود أية خطة حرية او غير حرية للقضاء عليها واسترجاع الحق السليب في فلسطين !

* * *

لقد كان الحل بسيطاً ، ولم يكن في الامر سر . . .

رضي الاكراد فرضيت روسيا .

ورضي اليهود فرضيت الولايات المتحدة . . .

أما العرب ، فأمرهم سهل أيضاً ، وليس اسهل من ارضائهم . . .

ما علينا الا ان نصمخ آذانهم بالاذاعات والمقالات والمحاضر والخطب والاغاني والانشيد . . .
واذا بهم راضين فرحين مستبشرين مطمئنين الى المعجزات والكرامات لعلها تلد لهم في المستقبل
القريب او البعيد معجزة أخرى تريد لهم اطمئناناً وفرحاً واستبشاراً !

* * *

رحم الله زماناً كان فيه غضب الاجنبي أرفع وسام يتحلى به المجاهدون الابطال !

اهل الصراحة !

أهل الصراحة الغيارى على فلسطين ، ما لالستهم قد أصابها الخرس ؟
 ما لافواههم قد أطققت الفكين ولم تجرؤ على الكلام ، وقد عهدناها كأفواه القرب
 وكالبالوعات المسدودة التي تفتح في أيام الشتاء : لدى الحديث عن فلسطين ولاجئي فلسطين ؟
 ما للغيارى قد لزموا جانب الصمت وآثروا السكوت عندما واجههم الخواجه الياهو رفول
 بواقعهم : واقع فلسطين ولاجئي فلسطين ، وقال لهم بلسان عربي مبين ان لا أمل لكم بالعودة
 الى بلادكم ، ولا أمل للاجئيككم بالخللاص من خيام اللذ الذي بها يعيشون عيشة ولا كالسائمة
 والأنعام ؟

ما للاشداق الشاغرة والاعين البلقاء المفتوحة على وسعها ، قد آثرت الاغضاء والخرس
 على الرد والجواب الذي جابههم به الياهو رفوايل مندوب « لوموند » ولسان اسرائيل الناطق في
 الشرق الاوسط ؟

لم يتجرأ فم واحد أن يفتح فكيه بكلمة واحدة . .

لم يجرؤ لسان واحد أن يتحرك ليقول شيئاً أي شيء . . .

ذلك لان الناطقين باسم فلسطين ليسوا ولا واحداً من أهل فلسطين الذين يعيشون في خيام
 اللذ والصدقات . . . ولكن الناطقين المتنطحين الزاعمين النطق باسم فلسطين ولاجئي فلسطين ،
 لا يهمهم شيئاً مما يصيب شعب فلسطين من ذل وظلم وفقر وحرمان !
 وتلك آية الصمت التي اطبقت الافواه واجلمت اللسن عن الكلام في الموضوع الخطير الذي
 أثاره حديث الياهو رفول في جريدة « لوموند » الفرنسية !

قد يتهماس جردان الوطنية فيما بينهم انها منتهى الوطنية والصراحة ان نعلن بان لا حل لقضية
 فلسطين . . . وانه غاية القصد وبلوغ المراد من رب العباد ان يقف بيننا من يجرؤ على التصريح
 باننا لا نستطيع حل مشكلة فلسطين . . .

ولكن أياً كان الابرع والافوق ان يقال لاهل فلسطين منذ البداية :

أن لا حل لقضيتكم ، وانه مكتوب عليكم ان تظلوا مشردين لاجئين ، بدلاً من السراب
 الذي طالما مناه به زعماء العروبة ورواد القومية العربية لاهل فلسطين ، بأن الفرج آت لا ريب
 فيه ، وان الجولة الثانية لا بد ان تقع وان يتحقق معها خلاص فلسطين ؟
 هذا هو السؤال الذي بقي من غير جواب .

هذه هي الكلمة التي عجزت ان تتحرك لما الافواه المطبقة والالسنه الخرساء ، ولكن مع
 ذلك بقيت الاعين البلقاء مفتوحة على وسعها تنظر ولا حراك . . . وتتحرك كما تتحرك الاعين
 الزاججية ولا حراك !

مطلوب حديث آخر !

الحديث الخطير الذي أدلى به الرئيس عبد الناصر الى مندوب جريدة « لوموند » الفرنسية السيد الياهو رفول ، والذي ينفض فيه يديه من قضية فلسطين ، ويدخل في روع الشرق والغرب انها قضية أصبحت غير ذات موضوع ، وان للعرب باتوا وهم يسلمون بالامر الواقع . . هذا الحديث الشديد الخطورة البالغ الاهمية ، كيف يمكن للرأي العام العربي ان يتقبله ، على أي وجه وعلى أية صورة ؟

هل تراه يغمض العينين ويستسلم للامر المعقول ، ويردد مع أهل الظن الحسن بان الحديث ليس الا حديثاً وكلاماً ، وان المسألة لا تعدو ان تكون « تكتيكاً » وأسلوباً في العمل السياسي يبطن غير ما يعلن ويخفي غير ما يظهر ؟

ولكن أي تكتيك هو هذا التكتيك الذي يثبط الهمم والعزائم ويدعو الى الاستسلام والتسليم بقضية هي بمثابة القضية الام لجميع قضايا البلاد العربية ؟

وأي اسلوب هو هذا الاسلوب - المعول ، الذي يهدم كل ميرر لكل ثورة وكل انقلاب وكل تمرد عرفتها الارض العربية منذ ضياع فلسطين وقيام دولة اسرائيل ؟

ماذا يبقى من الثورات والانقلابات المتتابعة التي شهدتها العالم العربي والتي زلزلت العروش وأطاحت بالرؤوس وقلبت الاوضاع ، اذا هي تجاهلت السبب الحقيقي ، مبرر ثوراتها وانقلاباتها ، ثم دعت الى نسيانه والتسليم بالامر الواقع على انه لا مندوحة عنه ولا مفر عنه ؟

ولندع انقلاب حسني الزعيم في سوريا وسلسلة الانقلابات التي قامت في أعقابها ، والتي ما زالت مسبحتها تكرر حتى ايامنا هذه .

لندع العراق والدماء التي سفكت في العراق . . .

لندع اللاجئين في خيام الدل والصدقات ، وطيوف مجازر دير ياسين ملء عيونهم وأذنانهم... لندع كل هذا جانباً ، ولنسأل مع أهل الظن الحسن : من أجل أي شيء قامت الثورة المصرية ، وما هو الدافع الاول والمحرك الاصيل الذي دفع بضباطها الاحرار للانقلاب والثورة ؟ ألم تكن الاسلحة الفاسدة التي كانت ترسل اليهم وهم في خطوط النار في فلسطين ، هي العامل الاساسي لتفكيرهم بالثورة وتشكيلهم الخلايا التي كانت بمثابة النواة للثورة المصرية ؟ من أجل أي هدف ثار عبد الناصر ومحمد نجيب وأنور السادات ورشاد مهنا والبغدادى وزكريا محي الدين وخالد محيي الدين وصلاح سالم وجمال سالم وغيرهم من ضباط الجيش المصري الاحرار ، ان لم يكن هدفهم الثأر لكرامة الجيش المصري وكرامة العرب التي استبيحت في فلسطين ؟!

أمن أجل قطن طويل التيلة وقطن قصير التيلة ومشاريع الانماء وملايين الدولارات والروبلا
التي تنهال على مصر معونات وصدقات وسلفات ؟
أمن أجل ابعاد كريم ثابت وعدلي اندراوس وانطون بولي ، واستبدالهم بمن نعرف في لبنان
وعرف السوريون في دمشق ويعرف المصريون في القاهرة ؟
من أجل أي أمر عظيم قامت القبضة المختارة من الضباط الاحرار في مصر بانقلابها ان
لم يكن لرفع العار عن الجباه التي لطحها عار الهزيمة والغدر والخيانة في فلسطين !
من أجل ائفال مصر بالديون والمعونات التي تغل عنقها وتكسبها فلا تملك أن تنطق - اذا ما
نطقت بغير الحديث الذي ظفر به الخواجة ايلياهو رفول ؟
واذن ، ما هو مبرر الاطاحة بعرض فاروق في مصر ، وعرض فيصل في العراق ومقتل الملك
عبدالله في الاردن ، واغتيال الزعماء في مصر وسوريا ولبنان وبغداد !
بل لماذا الاسلحة تشتريها وتعرضها الجمهورية العربية المتحدة ؟ لماذا الدبابات والمدافع
والطائرات وقاذفات اللهب والصواريخ والسموم والجرائم ومصانع الذرة ؟
لمن تدخرها وفي أي حرب سوف تخوض غمارها ؟
هل تدخرها للحرب ضد اميركا أم ضد روسيا أم ضد الصين أم ضد من من الدول . . .
أم انها للزينة وللعرض في المتاحف الاثريّة ؟
لسنا ندري ، وقد يميننا على ذلك مسيو « الياهو رفول » في حديث آخر يقتنصه من القاهرة
وينشره في صحيفة « لوموند » بباريس !

تصفية نهائية ؟
وبيع نهائي ؟ !

لم تنف أجهزة الاعلام في القاهرة الحديث الخطير الذي نسب « اريك رولو » للرئيس عبد
الناصر . وهذا يعني ان الحديث صحيح لا سيما وان وكالة الشرق الاوسط هي التي تولت توزيعه
وأفردت له الصحف الناصرية دون استثناء مكان الصدارة في صفحاتها الاولى .
اذن فالحديث يمثل وجهة نظر الجمهورية العربية المتحدة الحقيقية في موضوع فلسطين .
وهو لذلك يستحق ان نعود اليه مرة ثانية بل ثالثة ورابعة وخامسة . .
ان أول ما يستلفت النظر في هذا الحديث ، هو انه قد أعطي للمسيو « اريك رولو » بالذات ،
ودون غيره من سائر الصحفيين .

واريك رولو كما ذكرنا اول أمس محرر في جريدة « الموند » الفرنسية حل مؤخراً مكان مسيو ادوار سابليه في قسم شؤون الشرق الاوسط للصحيفة الفرنسية الكبرى . وهو كسلفه سابليه يهودي ولكنه يتميز عليه بأمرين اولهما انه يهودي مصري عاش في مصر ولم يفارقها الا منذ منذ سنوات الى فرنسا ليصبح اسمه هناك « اريك رولو » بعد ان كان في مصر يدعى « الياهو رفول » .

والامر الثاني ، انه قد بز سلفه « سابليه » في التعصب الصهيوني ، اذ كتب عن اسرائيل مقالات عديدة يقرظها ويدعو العالم الى نصرتها وتأييدها . وهو اليوم يحتضن القضية الكردية ويدعو لها مؤيداً مؤازراً ومؤلياً العالم على الحكومة العراقية . . .

ومع انه ما كان يجوز في رأينا لرئيس عربي ، لا سيما كالرئيس عبد الناصر ، أن يستقبل صحفياً من هذا اللون والاتجاه ، فيثير العتب والملام ، الا أن المهم ليس من أخذ الحديث بقدر ما احتواه الحديث من أمور هي غاية في الخطورة .

ما الذي جاء في حديث عبد الناصر لاليهاو رفول ؟

قال عبد الناصر :

« ليست لدينا مشاريع لحل قضية فلسطين عن طريق الحرب » .

وقال :

« ان القضية الفلسطينية موجودة لان اسرائيل رفضت الحل السلمي »

وقال :

« هات لنا حلاً ونحن سنكون سعداء . . . »

والخطير في هذا ، ان عبد الناصر يسجل على العرب ارتضاءهم بالأمر الواقع ، بل يصرح

بما يوحي ان كل مشروع لحل القضية عن طريق الحرب هو مشروع غير وارد اطلاقاً !

فاذا علمنا ان البوليس الدولي حقيقة قائمة على الحدود ، تفصل اليوم مصر عن اسرائيل ،

أدركنا ان هذا الكلام ليس مجرد « كلام جرائد » بل سياسة فعلية موجودة نافذة راهنة ، وليست

التصريحات الا اعلاناً وتكريساً لها !

ولو انها المرة الاولى لمان الامر ، ولكنها مرة من مرات . . . وكلنا نذكر الخطاب الشهير

الذي القي في وفد غزة ، والذي قيل فيه « انه ليست لدينا خطة لتحرير فلسطين . . . »

* * *

ترى ، هل هناك بيع نهائي وتصفية نهائية لقضية فلسطين ؟

ان أصحاب الظن الحسن والمتفائلين يفسرون هذا الحديث الذي أدلى به الرئيس عبد الناصر

بأنه « تكتيك » ليس الا !

وان القصد منه ومن ظهوره في هذا الظرف بالذات هو ضرب حصار دولي حول سوريا والعراق .

ولما كان الامر الوحيد الذي يرضي روسيا والغرب معاً ويكون محل عطفهما ، هو ابداء التساهل في قضية فلسطين ، فقد صدر هذا الحديث في صحيفة « الموند » ليصرف الشرق والغرب عن مجرد الحيرة والتردد في الاختيار ما بين القاهرة من جهة ودمشق وبغداد من جهة ثانية !

* * *

اذا كان هذا التفسير هو الذي ينهض في مقام التبرير ، فانه تبرير لا يجوز شكلاً وموضوعاً . مبدأ وعقيدة .

فما ينبغي ان يساء الى قضية فلسطين ، لمجرد الاساءة الى بعض الحاكين . ولا يجوز ان تضرب هذه القضية ، تبريراً لضرب بعض من نعرف ويعرف العرب !

اجهزة البية الدوقور !

الصمت الجميل الذي لم يشأ ان يلوذ به دوقور القومية العربية « م. ع. ق. حاتم بك » أثر حركة عصيان البرازاني في شمالي العراق ، وأعلن يومئذ تصريحه التاريخي المشهور من أن اذاعته لم تنشر بزناًجاً كردياً يحرض على الثورة والعصيان ، وجابهه المسؤولون العراقيون في حينه ، قائلين بان لديهم نسخة عن البرنامج الذي أذيع من القاهرة . . . وسكت دوقور القومية العربية ولاذ بالصمت . . .

هذا الصمت الجميل عاد اليوم بعد المحاولة الشيوعية الانتحارية التي قامت في معسكر الرشيد ببغداد .

ولأول مرة في تاريخ الانقلابات والثورات والتمردات تطبق أجهزة الاعلام الأم في القاهرة أفواها وأبواقها وتحرص على فضيلة الصمت حيال المحاولة الفاشلة الاخيرة التي قامت في العراق . عملاً بالقول الذي يبدو انه راق لها في هذا الظرف والقائل « اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب » .

والذهب الذي آثرته أجهزة الاعلام الأم والذي يديرها الدوقور المشهور « م. ع. ق. ح. بيه » حري بأن تحرص عليه الاجهزة المعروفة ، ذلك لاعتقادها بأن كل شر يقع في سوريا او في العراق — ولندع السعودية والاردن والمغرب وتونس وليبيا وو . . . الى آخره — انما يفيد عاجلاً

أو آجلاً الجمهورية العربية المتحدة ويدفع بعجلات التقدم العربي الاشتراكي صعداً الى الامام .
واذن ، واذا عرف السبب بطل العجب . . . لقد وضحت الاسباب التي حدثت بأجهزة
الاعلام الى إغفال ذكر محاولة الانقلاب الشيوعية التي قامت في العراق ، وأطبقت فيها وعينها ،
بعد أن أخذت العبرة من فضيحة تمرد الاكراد ، ولاذت بالصمت لعل وعسى يقوم انقلاب آخر
وينجح حيث فشل الاول ، وحيث ضاعت الفرصة التي بدت في أذيال المتمرّد الهارب الملا
البرازاني !

تكتيك ثوري تحرري اشتراكي تقدمي وحدوي عربي لا يأتيه الباطل من أمامه . . .
ولم لا او ليست المصائب التي تصيب سوريا أحق بالشماتة ؟
أو ليست الكوارث التي تحمل بالعراق ولو على أيدي أذئاب الشيوعية اجدر بالتأييد ان لم يكن
صراحة فمداورة ، وان لم يكن جهراً فسراً ؟
نعم ، لقد خلت الوكالة الرسمية لاجهزة الاعلام من ذكر أي شيء عن محاولة الانقلاب
الشيوعي ، فلم تذكر شيئاً عنها ، بل انها ، للمرة الاولى ، تجاهلت تعليق الصحف المصرية
التي تحرّص دائماً وابدأ على نقلها بأمانة ودقة متناهية !

نعم تجاهلت الحدث الاخير في العراق ، ولكنها لم تشأ ان يشاركها التجاهل والجهل سائر
الابواق والطبول والصنوج التي تفرع على اسمها وتضرب بسيفها . . . فقد تناثرت أخبار محاولة
الانقلاب هنا وهناك بشكل غير منظم ، وارتفعت الاصوات والانغام بموسيقى خليطة لا رأس
لها ولا ذنب ولا أول ولا آخر لا ضابط ولا رقيب . . .
بعضها أكد محاولة الانقلاب وبعضها لم يؤكد .

بعضها قال : يقال أن محاولة جرت في بغداد . . . وبعضها قال انها حركة مزعومة . . .
وهكذا تركت أجهزة الاعلام الأم التي يديرها الدوقاتور المشهور ، تركت أمر الانقلاب
في العراق الى الابطاء البررة يتصرفون ويستخرجون يطبلون ويرقصون يغنون ويهزجون يؤكدون
وينفون حسب أهوائهم وأمزجتهم ومقلداتهم على اكتساب رضى الدوقاتور الذي هو من رضى
السلطان . . .

وهكذا بدت الاوركسترا أمس خليطاً من انغام والحان دون ضابط ايقاع او مايسترو يحمل
العصا ويوجه أهل العزف والدق والنقر والدف والطبل !
ولم العجلة ؟

غداً أو بعد غد ستوالى أجهزة الاعلام بإبداء رأيها ، ونرجو ان يختلف في هذه المرة عن
المرة الماضية الذي عرفناه بعد حركة العصيان في شمالي العراق !

السفير البورجوازي للدولة الاشتراكية !

ضرب عبد الحميد غالب السفير البورجوازي للدولة الاشتراكية ، الرقم القياسي هذه المرة ، في تسخير صفته كسفير للجمهورية العربية المتحدة ، من أجل صداقاته الخاصة ، التي جنت على لبنان ، وعلى الجمهورية العربية المتحدة ، أعظم الجنايات .

فالسفير البورجوازي ، الانيق الرشيق ، قد ساءه أن يتهم كمال جنبلاط صائب سلام ، بما اتهمه به ، فإذا به ينسى « المعزة » التي لكمال جنبلاط في نفس جمال عبد الناصر ، ويتدخل عند كمال جنبلاط ليخفف من حملاته على صائب سلام ، وليضع جانباً القضايا موضوع الخصام !

ما دخل سيادة اللواء السفير الرشيق الرقيق الانيق في هذه القضية ؟ كيف أجاز هذا الرجل لنفسه أن يقحم الجمهورية العربية المتحدة في مسألة لا علاقة للجمهورية العربية بها على الاطلاق ؟

بأي شكل يمكنه ان يبرر عمله هذا تجاه المراجع المسؤولة هنا وهناك ؟ نحن نفهم أن يتدخل عبد الحميد غالب ليصالح بين شخصين اختلفا في سهرة ليلية على كأس من كؤوس السمر والبسط . عندئذ يكون سعيه مشكوراً وفضله مبروراً ، ويكون هو كما يجب ان يكون دائماً وسيط صفو وخير وراحة بال !

ونحن نفهم كذلك ان يتعدى قليلاً حدوده الملزمة له كسفير ، فيصالح بين رجلين اختلفا على قضية سياسية لها علاقة بصداقة لبنان للجمهورية العربية المتحدة .

وعندئذ نحن مستعدون ، ومعنا الرأي العام اللبناني ، لمعذرة السفير على تدخله الاضطراري الذي فرضته المصلحة العامة اللبنانية والمصرية .

أما أن يجشم السفير نفسه ، وهو الرقيق ويحمل شخصه ، وهو المرفه المترف ، مسؤولية المصالحة بين صائب سلام وكمال جنبلاط ، حباً بصائب سلام ليس الا ، ونصرة له من أزمته الحالية ، وعداوة ، محض عداوة ، لرشيد كرامي الذي كان للجمهورية العربية دائماً وأبداً نعم الصديق .

ماذا يضير مصر ، ان يذهب صائب سلام ويأتي رشيد كرامي مثلاً ؟ قطعاً لا شيء .

فمصر لن تنجي من تغيير وزاري يحصل في لبنان ، الا الخير للصدقة اللبنانية المصرية التي لم يعكرها شيء كما عكرها وكدرها اسلوب عبد الحميد غالب السفير . . .
ان اللبنانيين تقليدياً وتاريخياً وثقافياً وفنياً وصحفياً ومزاجياً يحبون مصر ، لا فرق في هذا بين مسلمهم ومسيحيهم .

وليراجع عبد الناصر تاريخ العلاقات اللبنانية المصرية ، يجد ان هذه العلاقات كانت دائماً وابتداءً على مر الزمن ، مثلاً للصفاء والود والمحبة المتبادلة .

ولم تصب هذه العلاقات بأذى الا في عهد واحد ، هو عهد سفارة عبد الحميد غالب ، السفير البورجوازي للدولة الاشتراكية !

فهذا السفير قد دأب منذ دخل هذا البلد يخدم نفسه ، وشركاءه وأصدقاءه وسمراءه وندماءه ، ولا يلتفت على الاطلاق لشيء اسمه مصلحة مصر او مصلحة لبنان !

لقد ذهب سفير الجمهورية العربية الى مصر ثم عاد . وقيل يوم عاد ، انه غير من اساليبه ، وانه جاء يطبق في لبنان سياسة جديدة مبنية على تعليمات خيرة أعطاها له الرجل الكبير جمال عبد الناصر . وفرحنا وصدقنا ، فلما جربنا حزنا وترحمنا على سيرة عبد الحميد غالب الاولى ، ووجدنا انه كان معتدلاً في السابق بالنسبة لما ظهر عليه في اللاحق !

نحن لسنا نلري بأي حجة أو ذريعة أو مبرر ، يتدخل عبد الحميد غالب ليعقد صلحاً بين كمال جنبلاط وصائب سلام ضد رشيد كرامي ؟

هل ارسلته الجمهورية العربية المتحدة مفوضاً سامياً لها في لبنان ، يفعل فيه ما يشاء ، كما لو كان ممثلاً لبريطانيا في كينيا ؟

هل انتخبه اللبنانيون وصياً عليهم ؟

هل عينوه مفتياً للديار اللبنانية ؟

هل هو حاكم صلح ؟

هل هو محامي املاك صائب سلام وأطياناه وفدائينه وغديره ؟

اذا لم يكن كذلك فما هو مبرره في فعلته الاخيرة ؟

ولماذا لا يتحمس ويدافع عن الحاج حسين العويني او عبدالله الباني او كاظم الصلح او رشيد كرامي ؟

ان لبنان بلد حساس في موضوع الديمقراطية ورئيس جمهوريته نفسه ، يعلن ليل نهار وصباح مساء ، انه لا يتدخل في اللعبة السياسية والبرلمانية التي تدور بين السياسيين في لبنان .

* * *

فيا عبد الحميد غالب ، هل تعطي نفسك في لبنان من الحق في التدخل في صميم حزياته الداخلية والشخصية ما لا يعطيه رئيس البلاد لنفسه ؟

اننا نطرح عليك هذا السؤال وسنظل نطرحه ، حتى يأتي هذا السؤال نفسه من القاهرة التي آن لها أن تدرك مبلغ الاذى الذي لحق في الماضي وما يزال يلحق بها في الحاضر ، من جراء تدخلك في ما لا يعنيك ، يا سيادة السفير البورجوازي للدولة الاشتراكية !

المصالحة المطلوبة !

المصالحة المطلوبة التي ترنو اليها العيون وتهفو القلوب ، ليست هي « المصالحة الوطنية » بين البعث الحاكم في دمشق وابطال الفتنة — المذبحة . فتلك قضية داخلية ليس لأحد من الحكام العرب ان يتدخل او يتوسط فيها ، والا كان مشجعاً لكل فتنة ودافعاً لكل مذبحه ومبرراً لكل انتفاض وخروج على طاعة المسؤولين ، سواء أكانوا في دمشق أم في بغداد أم في القاهرة . المصالحة المطلوبة في هذه الايام وفي هذه الظروف بالذات ، ليست اعادة الحوار — المهزلة ، حوار الطرشان ، بين المسؤولين في دمشق والمسؤول في القاهرة .

لا ولا هي العودة مجدداً الى ميثاق ١٧ نيسان والدخول في ملاحاة طويلة ومهارات شخصية وجدل عقيم ، سداه ولحمته قتل الوقت وتبديد الجهود ، واتاحة الفرصة للاعداء المتربصين للمزيد من التشفي والزراية بما صارت اليه أحوال العالم العربي من تفكك وضياح ، بفضل الصراع المجنون القائم بين قادته ومسؤوليه .

المصالحة المطلوبة ، ليست هذه للتسلية الجديدة القديمة التي تفتقت عنها قرائح سادة الصالونات العربية ، القائلة بانتداب وفد عربي يمثل بعض البلدان العربية ليقوم باتصالات تكون تمهيداً لاجراء « صلحة » بين الفريقين المتخاصمين المتباعدين . . .

ولو ان الوقت يسمح بالتسلية والهزل ، والظرف يتسع للفكاهة والمنادمة ، لما كان في أمر الدعوة لمثل هذه المصالحة ما يسيء ويؤلم ، لانه لا يختلف في شيء عن « حديث المجالس والصالونات » وترويض اللسان على الكلام الفارغ ، الذي ليس فيه فائدة الا انه تمرين مفيد للفكين والرثتين !

المصالحة ليست في عناق عبد الناصر لميشال عفلق او صلاح البيطار او أمين الحافظ أو علي صالح السعدي . ولا هي في تقريب وجهات النظر بينه وبينهم ، فما نحسب أن فئة في

البلاد أقرب إلى عبد الناصر وما كان يمثل عبد الناصر من ثورية وتحررية وتقدمية ، من هؤلاء الذين يتناصبهم العداء في هذه الايام !

واذن ، فما هي المصالحة التي ندعو إليها ؟

وبين من ومع من ينبغي أن تقوم ؟

بل لمصالح من وضد من يجب أن تتم ؟

المصالحة المطلوبة ، التي تهفو إليها قلوب العرب من أقصى المحيط الى أقصى الخليج . والتي تشخص إليها أول ما تشخص ، عيون البعثيين أنفسهم ، هي المصالحة بين عبد الناصر وعبد الناصر نفسه !

عبد الناصر الناصر العملاق ، الذي اختصر في سنوات قليلة آماداً طويلة من النوم والتأخر والانحطاط ، فحرر مصر من الملكية والاقطاع والرجعية ، وأمم القناة وبنى المصانع وشرع في بناء سد أسوان ، وقفز قفزات خيالية في مجال العمل والاصلاح لمجد مصر وعزها . . .

عبد الناصر ، الناصر على حاشية فاروق ، والاسلحة الفاسدة ، والميوعة الخلقية ، والنفاق : والتبذل ، والاستهتار بالقيم ، وتسويد السفلة والاوزاد .

بين عبد الناصر هذا ، وبين عبد الناصر الذي أصر أخيراً على حمايته ورعايته وحضانهه هؤلاء ، الذين ثار عليهم بالامس ، وكانوا بعض مبرر ثورته في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

بين هذا وذاك يكمن سر الخلاف ، وتكمن سر المصالحة المرجوة التي ينبغي الدعوة إليها !

مِصْرٌ وَسُورِيَا

الوحدة بين الهزيمة والنصر !

« لم يحدث في حياة الوحدة بين مصر وسوريا شيء ملائم للرئيس جمال عبد الناصر أكثر من انتهاء هذه الوحدة ! »

بهذه العبارة الجريئة التي تصدهم النفس بواقعيته وتجاويزها عن التمجيد والخطاب ، كتبت مجلة « الايكونومست » الانكليزية تعلق على نهاية الوحدة بين مصر وسوريا .

وقد رأت « الايكونومست » ان موهبة عبد الناصر من تحويل الهزيمة الى نصر . قد أثارت الاعجاب المقرون بالحسد في بعض الاحيان كما ان جراته وواقعيته في تقبل الانهزام العسكري والسياسي في سوريا بسرعة اكسبها نصراً شخصياً هلت له عدة أساطير بالموافقة المخلصة القلبية .

وتعترف « الايكونومست » ان عبد الناصر قد سحب بخفة ولباقة الكرسي من تحت اقدام معظم السياسيين وفي جملتهم « الايكونومست » نفسها ، وذلك حين أعلن عبد الناصر في ٥ تشرين الاول ان الوحدة الوطنية في سوريا يجب ان تقدم على كل شيء آخر .

أما الوحدة الوطنية في سوريا . فهي أولى بالاهتمام والتغليب على أي شيء آخر ، كما أكد ذلك عبد الناصر ، وكما هلت له حتى مجلة « الايكونومست » الانكليزية ، خاصة بعد النهاية التي شاهدناها لـ « كل شيء آخر » . . .

وما هذا « الشيء الآخر » سوى الوحدة بين مصر وسوريا .

وأيضاً كان الرأي في هذه النهاية الكثيرة المؤسفة ، التي ما كان أحد من المصريين ولا السوريين يتمنى وقوعها — اقول أيضاً كان الرأي ثمة حقيقة لا شك فيها ، وهي أن الجهل والغرور ، كانا اول الاسباب التي أدت الى وأد هذا الحلم الذي راود أذهان العرب منذ عهد بعيد .

لقد كانت « الوحدة » حلم جيل عربي بكامله . ولكنها ظلت في الخواطر والاذهان حلماً ، ولم تخرج الى حيز الامكان والواقع ، بل ظلت حبيسة الاماني . وما ان خيل لبعض الناس انها أصبحت حقيقة واقعة تجسدت في الوحدة بين سوريا ومصر ، حتى فتحت أعينهم على الحقيقة المفجعة ، ووجدوا انهم انما كانوا يعيشون في أحلام اليقظة !

واذا كان الجهل والغرور — الجهل بأوضاع البلاد العربية المجاورة ، وباقدار الناس فيها والحكم عليهم أم لم — وبالتالي الغرور الذي ركب الرؤوس ، فأفسح للجهل ان يستشري ويستحكم حتى أدى مهمته على النحو الذي رأينا .

نعم اذا كان الجهل والغرور السبيل الذي سارت عليه « الوحدة » في طريقها نحو الهاوية ، فان هاوية أخرى قد طمرت او ينبغي أن تطمر — وأعني بها دكاكين المرتقة التي فتحت على

اسم الوحدة وعلى اسم عبد الناصر ، فشرعت ابوابها وابوابها تنافق وتدجل ، تتاجر وتسمسر ، تصادق وتعادي . . . وهي في جميع حالاتها وأحوالها بالنسبة لعبد الناصر ألد الخصام !
لقد وضع لكل ذي عينين ان أدعاء مناصرة عبد الناصر ، هم أول الذين ينقلبون عليه .
وكما بدأوا عداوتهم للرجل وهو في ابان ثورته ، سيكونوا كذلك في نهاية مطافهم معه . . . والايام
بيننا !

أو ليس من المضحك والمخزي معاً ، ان يفتح المرء عينيه فلا يجد الى جانب عبد الناصر الا
من اتهمهم عبد الناصر وممثلو عبد الناصر بعداوتهم لعبد الناصر !؟

هرب السراج

حكاية « هروب » السلطان عبد الحميد السراج من سجن المزة ووصوله بالسلامة الى القاهرة ،
ما تزال تجر ذيلها في الصحف المصرية وتنسج حولها من فيض الخيال ما يرفعها الى مصاف
الحكايات القديمة والقصص المثيرة ، حتى باتت وهي اشبه ما تكون بحكايات عنتر بن شداد
وسعد الزناتي خليفه . . . وأبو زيد الهلالي والوزير سالم . . . بل ذهب بعضهم الى مقارنتها بحكاية
هرب موسوليني من سجنه أيام الحرب العالمية الثانية ، حين انقض جنود هتلر من طائراتهم
وهاجموا السجن الذي يقيم فيه موسوليني واختطفوه وطاروا به من حيث أتوا . . . كما هو
معروف ومشهور ! . . .

وليس يضيرنا أن يشبهوا عبد الحميد السراج بالمرحوم موسوليني ، فان العظام كفوها
العظماء . . . ولا نحن نستكثر على ملك سوريا السابق غير المتوج ، ان يتخلص من سجنه ولا
سيما اذا كان سجن المزة . . .

ولكن للخلط حدوداً ، وللقصص المثيرة والروايات الشهيرة قواعد حتى في الاساطير الخيالية
نسيجة الاوهام والخيالات . . . غير ان قصة هروب السلطان عبد الحميد قد فاقت كل
حدود الخلط وتجاوزت كل قواعد التمثيل والتهريج المسرحي والسينمائي والتلفزيوني . .
فدمشق تزعم انه هرب من السجن وتزعم انها وضعت مكافأة ٢٠ الف ليرة لمن يرشد
عنه ويرشد عن « رواشه » أيضاً . . .

والقاهرة تزعم ان دمشق تبحث عن السراج . وتزعم أيضاً انها جادة فعلاً للقبض عليه .
بل هي تذهب الى أبعد من هذا . . . تذهب الى تصديق الاشاعة التي أطلقتها دمشق حين
زعمت ان السراج قد فر من السجن . . . وصحف القاهرة وغير القاهرة تسهب في ذكر

تفاصيل قصة الحرب . وتزعم أيضاً ان السلطان الفار قد ركب على ظهر غواصة فحملته هيلاهوب من بر الشام الى بر مصر فوصل بالامان والسلام . . .
وحكاية سفر عبد الحميد السراج الى القاهرة أصبحت معروفة . فدمشق هي التي أطلقت سراح السراج ، وهي التي تركته يحتاز الحدود اللبنانية ، ليصل الى بيروت وليطير منها الى القاهرة .

أما كيف ولماذا أطلقوا سراحه وقالوا له أذهب الى حيث تشاء فعلمه عند دمشق وأسياد دمشق .

وأما أن يتحول إطلاق سراح السراج الى قصة بطولة ، تنسج حولها أفانين الخيالات والاورام . فلننا نرى فيها من بطولة — اذا كان ثمة من بطولة — الا من جانب الذين أطلقوا سراحه وقالوا له أذهب حيث تشاء وأرنا ما عساك صانع . . تماماً مثلما صرفه جمال عبد الناصر من منصبه مع من صرفهم أيام الوحدة وقال لهم أذهبوا وأروني ما عساكم صانعون !
كل شيء معقول وكل شيء جائز . أما أن تتحول قصة السماح للرجل بالسفر بعد إطلاق سراحه الى أسطورة ، وأن تتحول السيارة التي أقلته صوب بيروت الى باخرة ، وتتحول الطائرة التي طار بها الى غواصة . . . فهنا ينحسر رأس البغل في الابريق ، وتخرج أفضل الروايات المزلية ألستها هزءاً وسخرية لهذه المسرحية الكوميديّة الفاشلة !

• • •

ذكرتني حكاية هروب عبد الحميد السراج من سجن المرة وسفره على ظهر غواصة الى القاهرة على النحو الذي نسجوه وحكوه وفصلوه وكتبوه . . . ذكرتني بحكاية أخرى ، لا هي مصرية ولا سورية . . . حكاية بيروتية قديمة يعرفها البيروتيون وخاصة سكان رأس بيروت ، قالوا :

وقف اثنان أمام صخرة الروشة فقال الاول للثاني :

هل ترى هذا الطير الاسود الكبير على ظهر الروشة ؟

ورد الثاني هازئاً :

أبدأ هذا ليس طيراً هذه عنزة سوداء !

واحتدم النقاش بينهما وطال الاخذ والرد . . . وفجأة طار الطائر الاسود ، وهتف صاحبا

الذي كان يصير على ان الطائر عنزة قائلاً :

« عنزة ولو طارت » !

• • •

شيء واحد يبعث على الاسف خلال هذه الحكاية التي تسلى بها القراء هنا وفي القاهرة وفي دمشق . . هو الاسلوب الرث الذي دأب أعداء عبد الناصر على ممارسته بعد أن ظهر زيفه وخداعه . . .

والسؤال الذي يحير الالباب هو الى متى تستمر هذه الاساليب ؟ !

الوحدة

خطر لي وأنا أقرأ بيان حزب البعث العربي الاشتراكي الذي أصدرته قيادة الحزب القومية . حول اعادة الوحدة بين مصر وسوريا ، ان استعرض مع القراء قصة كل مخلص تعاون في فترة ما مع القاهرة ، فكانت النتيجة ان القاهرة قد نفقت يدها منه ، بل فرضت عليه العداوة فرضاً . فهذا الحزب الذي عمل الوحدة مع عبد الناصر ، وأعطى الوحدة اساسها الفكري . ورفع لواء الدعوة لتأييدها في كل قطر من الاقطار العربية ، انتهى به الامر ، الى ان يكون مطروحاً مضطهداً محارباً في كل ميدان وبكل وسيلة .

الجامع الذي يجمع عبد الناصر مع البعثيين ، هو أقوى رباط يمكن ان ينشأ بين فريقين .

فعبد الناصر يدعو الى محاربة الاستعمار ، وحزب البعث يدعو الى ذلك .
وعبد الناصر يدعو الى الحرب على الملوك والامراء ، وحزب البعث يدعو الى الشيء نفسه .
وعبد الناصر يقول بالنظام الاشتراكي ، وحزب البعث يقول بالنظام الاشتراكي .
هو يردد في خطاباته : « وحدة ، حرية ، اشتراكية » وهم يعتبرون هذه الالفاظ شعاراتهم منذ أن وجدوا .

بل أن أجماد عبد الناصر وأجماد حزب البعث تكاد تكون واحدة ، فكلاهما يفتخر بسياسة الحياض الايماني ، وبولادة الجمهورية العربية المتحدة ، وب ١٤ تموز والى آخره . . .

مع ذلك وبالرغم من ذلك وغضباً عن أنف كل منطق وكل رأي ، نجد البعثيين مضطرين في كل بيان يصدرونه الى انتقاد عبد الناصر ومهاجمة نظامه حتى في الوقت الذي يدعون فيه الى اعادة الوحدة بين مصر وسوريا ، باعتبارها وحدتهم كما هي وحدة عبد الناصر سواء بسواء !

فاذا كانت القاهرة مهاجمة ومنتقدة حتى من الذين ينادون بالتعاون معها ، وحتى بين الذين يحملون لواء الوحدة ، فمن هم أولئك الذين ينتظر منهم ، أن يكونوا حلفاء لعبد الناصر وسنداً للقاهرة ؟

إذا كان بيان حزب البعث الذي يطالب الحكومة السورية بفتح مفاوضات فورية مع القاهرة لإعادة الوحدة ، هو نفسه البيان الذي يتحدث عن أخطاء عبد الناصر وانحرافات سياسته ففي أي بيان تريد القاهرة اذن أن تسمع كلمة الخير فيها ؟

هل ان كل صديق للقاهرة ، وكل مخلص للشعارات التي ترفعها — مخلص كانت أم غير مخلص — مضطر لان يهاجمها وينتقدها حتى يصغي اليه الناس ، وحتى لا يصفوه بين أصدقائها المعروفين الذين لم يعد للقاهرة غيرهم على ما يظهر !

حقاً أنها لنهاية ما كنا نريدها لعبد الناصر ولثروة عبد الناصر التي هلتنا لها وكبرنا ، ورفعنا لها وبها رؤوسنا ، وعلقنا عليها أكبر الآمال .

حقاً أنها لنهاية مؤلمة ، أن نجد القاهرة في موقف المتهم لا من قبل خصومها واعدائها ، بل من قبل شركائها في بناء الوحدة ، وحلفائها في السياسة التحررية الاشتراكية .

ان عبد الناصر يستطيع ان يقول ان الاردن تهاجمه بسبب تحريره . وان السعودية تحاربه لانه ثوروي ، وان السياسيين التقليديين يحملون عليه لانه حرب عليهم ، ولكن ماذا يمكن عبد الناصر ان يقول عن حلفائه في بناء الوحدة وعن الذين يعترف هو نفسه انهم فلاسفة الوحدة ومفكروا القومية العربية العقائديون ؟

ما عساه يقول في موقف البعثيين الذين يدعون الى عودة الوحدة ويؤمنون بالنظام الاشتراكي ويشكلون اليوم القوة الضاغطة على الحكومة السورية لمفاوضة حكومة مصر . . .

هل يقول عنهم انهم غير وحدويين ؟ هل يقول عنهم انهم أذئاب الاستعمار ؟

هل يقول عنهم انهم رجعيون اقطاعيون ؟

ما عساه يقول ؟

نحن لا نحرض عبد الناصر على أحد فيكفيه ما عنده من محرضين !

ولكننا ندعوه مخلصين لان يفكر في الحال التي أوصله اليها أعوانه وكتابه وحاشيته وموشوشوه !

أغلب الظن أنه لو فكر ملياً ، لسعى من جديد لان يعيد الجسور المهدمة بينه وبين من يحمل نفس شعاراته على أقل تقدير . . .

ترى هل فات الاوان ؟

عام بعد انفراط الوحدة

في الذكرى الاولى لزوال الوحدة بين سوريا ومصر ، لم تستقبل الذكرى بالحرمة والجلال والجلد الذي تستحق .

بل ان الطريقة التي جرى فيها الاحتفال بالذكرى لا تقل ايلاًماً من حدث الانفصال نفسه . فاذا كان الانفصال دل ويدل على ان الوحدة كانت أكبر من أن تنهض بها أكتاف القادة العرب ، فان حفلات الذكرى قد دلت وتدل هي الاخرى على اننا ما نزال من حيث تفهمنا للمواقف حيث كنا و « كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا » !

كان يكفي لاحدنا ان يعيش ساعات الذكرى مع الاذاعات العربية حتى يدرك بوضوح ان الوحدة ، تلك الفكرة التي من أجلها جاهد من جاهد وضحي من ضحي وقضى من قضى ، قد تحولت في يوم ذكرها مهرجاناً للشتم يعرف فيه الشائمون من بحر وينحتون من صخر ويتكرون من فنون الاقوال وهجر الكلام ما لم يكن يدور في الحسبان !

فراديو القاهرة يشتم . وراديو دمشق يشتم . وراديو مكة يشتم . وراديو عمان يشتم . . الى آخره !

والشتم ليس موجهاً ضد اسرائيل ولا موجهاً ضد اجنبي ، وانما هو شتم العربي للعربي ، لا رحمة فيه ولا هوادة ، ولا مراعاة لحرمة من الحرمات .

« وكل يدعي وصلاً بليلي وليلى لا تفر لهم بذاكا »

باسم الوحدة شتم زيد بكراً . وباسم الوحدة شتم بكر عمروا . وباسم الوحدة شتم البعض بعضهم بعضاً . . حتى كأن الوحدة هي رخصة في الشتم يأخذها كل من أحب هذا الفن الرفيع .

قل « وحدة » واشتم ولا حرج عليك !

ليس هنا مقام الشهادة بالتفوق في هذا الميدان لهذا او ذاك . وليس هنا مجال الاعتراف لسابق بالسبق ، فقد صفق غيرنا وهتف ، وطبل وزمر ، وشهد لمن يستحق الشهادة . . .

ولكننا نريد في يوم الوحدة هذا الذي تحول الى مهرجان للشتم ، ان نستل من أعماق ضمائر المخلصين المؤمنين الشرفاء في كل بلد عربي ، زفرة مرة ودمعة حرى على هذا المصير الزري بلغته أسمى فكرة وأجل ذكرى !

لقد كدت أسمع وسط ضجيج الشتائم المنهمرة من الاذاعات العربية السباب من كل صوب ، همسات المؤمنين الحقيقيين بالوحدة ، أحياء وأمواتا . . . فاذا بها همسات لوم وتقريع وتوبيخ لكل من نسي حرمة الوحدة في ذكرى الوحدة !
أيها الشاتمون في القاهرة ودمشق ، في مكة وعمان .
هل تظنون ان في الشتم تحقيق الاماني وعودة الوحدات ؟

خطة مصرية بعد الوحدة

بعد نكبة فلسطين ، استمر العرب على نفس الخطة التي درجوا عليها قبل النكبة وأثناء النكبة ، فكانت النتيجة ان اسرائيل ما تزال حتى هذه الساعة تسجل في كل يوم نصراً جديداً وتقدماً جديداً .

بعد انهيار الوحدة بين سوريا ومصر ، حصل الشيء ذاته . فبينما كان العرب في كل مكان يتطلعون بأمل الى سياسة جديدة تفيد من كارثة انهيار الوحدة ، اذ بالسياسة عينها تستمر وكان حدثاً عظيماً كأنهيار دولة قائمة ، أحقر من أن يغير أشخاصاً أو يبدل اتجاهها او يفتح عيوناً او ينبه نياماً !

القاهرة ما تزال قلب العروبة ، وأفضل الحديث ما كان من القلب الى القلب كما يقال . منذ مدة بعيدة من الزمن والقاهرة تخطط والشعب العربي في كل مكان يسير . واليوم ، نحن كما كنا بالأمس ، على استعداد للسير مع القاهرة شرط ان نعرف ما هو تخطيط القاهرة الجديد ؟

كل منا قرأ مقالات م. ح. هيكال في جريدة الاهرام ، وعرف منها ان القاهرة تكره الملك سعود ، وتكره الملك حسين ، ولكن مع ذلك يبقى تخطيط القاهرة غامضاً .

فماذا تريد القاهرة ؟

هل تريد قلب سعود وقلب حسين ؟

أغلب الظن أن القاهرة نفسها ، تعرف ان هذا اذا كان في يوم من الايام ممكناً ، فان مثل هذه الامكانية قد زالت في هذه الايام !

اذن ماذا تريد ؟

هل تريد مجرد أخبار العرب حقائق الاوضاع في السعودية او في الاردن ؟

ان أي سوري أو لبناني أو عراقي ، يعتبر نفسه استاذاً جديراً بأن يعلم الناس كل هذه الحقائق !
واذن فماذا تريد القاهرة ؟

أثناء زيارتي الاخيرة الى مصر ، تبين لي أمر مهم . وهذا الامر هو ان القاهرة معنية في هذه الايام بشيء واحد ، هو سوريا . وما الهجوم على سعود او الهجوم على الحسين الا من قبيل قول الشاعر :

« ادر طرف عينيك اذا جثت حيناً

لكي يحسبوا ان الهوى حيث تنظر » !

ان القاهرة لا تفكر في الوقت الحاضر الا في دمشق وفي الطريق الى دمشق . . .
ان اصرار القاهرة على عدم الاعتراف بحكومة دمشق رغم ان الرئيس عبد الناصر قد صرح بأنه سيعيد هذه العلاقات بمجرد انتهاء الانتخابات النيابية .
ان اصرارها هذا يدل على ان القاهرة تبنت خطة ما في سوريا .
فما هي هذه الخطة ؟

وكيف السبيل الى تحقيقها ؟

وما هي الوسائل الكفيلة بانجاحها ؟

كل هذا ما يزال غامضاً بالنسبة للرأي العام العربي .

ثم هل هي ، بعد ذلك كله ، خطة معقولة مقبولة ؟

وهل هي حكيمة مأمونة ؟

وهل هي في مصلحة العرب ومصلحة سوريا ومصلحة مصر ومصلحة القومية العربية ، التي قال عليها سيادة الوزير الدكتور عبد القادر حاتم شهادة الدكتوراه العملية لا الفخرية ؟ !
ان الدراسة النقدية التحليلية للخطة المصرية في سوريا ، ضرورة وطنية قومية لا غنى لأي قلم مخلص من تناولها . وأعد القارئ بأنني سأقوم بنصبي من هذا الواجب ، ولكنني أؤثر أن أؤجل هذا التحليل ، حتى تتكلم القاهرة وتنطق بحقيقة الخطة التي تعتمدها في سوريا ، فيكون عندئذ تحليلنا قائماً على ما نريده له من وثائق وإسناد !

اننا لا نصدق القاهرة عندما تحدثنا بأنها تطمح في السعودية مثلاً بتغيير ما .

ولكننا على استعداد ان نصدقها اذا كان لها رأي في تغيير ما يجري في سوريا !
فهل تلجأ القاهرة الى اللغة المضمومة في موضوع سوريا بالذات ؟

حوار الوحدة !

الحديث عن الوحدة ، ولا سيما في هذه الايام بالذات ، لا يختلف كثيراً عن حديث الطرشان .

والعودة الى هذا الحوار ، فضلاً عن كونه « حوار طرشان » يذكرنا بقصة أبريق الزيت تارة ، وبمسمار جحا تارة أخرى .

فالوحدة ، باتت للأسف الشديد ، كذلك المسمار الذي اشترط جحا ، على من جاء يستأجر منزله ، أن يكون ملكاً له ، ووافق المستأجر دون أن يقيم وزناً كبيراً لمسمار جحا . . . وتنتهي القصة بأن يهرب الرجل من المنزل بعد أيام قليلة وبعد أن دفع الايجار مقدماً . فقد استطاع « المسمار » أن يطفشه . . . ذلك أن جحا كان « يستنظف » يوماً بعد يوم جيفة ميتة ويعلقها في مسماره الخاص داخل المنزل ولا لوم ولا عتاب ، فالشرط نور كما يقولون ، وقد اشترط جحا على المستأجر أن يترك له حرية التصرف بمسماره وقبل . . .

والحق ، أن قصة الوحدة ، على الرغم من وضوحها في أذهان الناس ووضوح تفاصيلها وملايساتها ، تبدو وكأنها إحدى الألغاز أو المعميات المثيرة المغلفة .

فما من عربي من أقصى الخليج الى أقصى المحيط ، الا ووضع كلنا يديه على الداء ، وعرف معرفة اليقين الاسباب التي تقف حجرة عثرة في سبيل الوحدة بل أن الفريقين المتخاصمين المختلفين على تحقيق الوحدة قالوا كل ما عندهما وأكثر ، وأوضحا رأيهما صراحة فوق المنابر وعلى صفحات الجرائد وموجات الاثير والتلفزيون ، ولم يتركاً زيادة لمستزيد في الابانة عن موقفهما حيال الوحدة .

ومع ذلك وبالرغم من ذلك ، يقفز السؤال مجدداً من بعض الافواه :

« متى يعود حوار الوحدة ؟ »

كأن حوار طرشان الوحدة قد انقطع وانقطعت آثاره من الاذاعات والصحف والمنابر . وكأن حديث الوحدة يختلف كثيراً عن حديث قميص عثمان الذي طال الاتجار به وتوارثه الخلف عن السلف منذ الخلفاء الراشدين !

وإذن ، فما هو مبرر العودة مجدداً الى التساؤل وقد وضحت الامور تمام الوضوح ؟

قالت مصر وقالت سوريا وقال العراق . . .

قال البعثيون وقال الوجدويون وقال المستقلون . . .

فهل من زيادة لمستزيد ؟ وهل ثمة من خافية خفيت على أصحاب العيون المبصرة والآذان التي ليس بها صمم ؟

نعم ، ثمة حكاية ثانية . يأبى أصحاب النوايا الطيبة والظنون الحسنة الا أن يتجاهلوها ويغلقوا آذانهم عن سماعها ، مع أنها قُلت مراراً وتكراراً حتى صمخت آذان الطرشان أنفسهم . . .
أنها حكاية بعض « الناصرين » الذين أصرت الجمهورية العربية المتحدة على أن تضعهم في كفة ميزان وتضع الوحدة العربية الثلاثية في كفة ثانية . . .

فلا وحدة الا بهم : ولا ميثاق بدونهم . ولا أفراح ولا أعراس من غيرهم .

ولتلبط الوحدة البحر وليلط الوجدويون الاوقيانوس اذا لم يعجبهم الامر !

نعم ليشرب السوريون والعراقيون مياه البحر وليشاركهم جميع أبناء العروبة من أقصى المحيط الى أقصى الخليج . . .

فسواد عيني عبد الحميد السراج أحلى من سواد عيون الوحدة العربية . وكرامة جاسم علوان فوق كرامة الامة العربية .

ونخاطر الجراح أو المعري أو غيرهما من « الابطال المناضلين المجاهدين » أعز وأكرم وأعلى من كرامة السبعين مليوناً . . .

« أما الوحدة بهؤلاء ومع هؤلاء وأما لا وحدة على الإطلاق ! »

أليس هذا هو مختصر الحديث عن الوحدة في هذه الايام ؟

فعلام أذن حديث الطرشان وحوار الطرشان ؟

لو أنه حديث فيه شيء من الفكاهة والتسلية ، لما مللناه وسئمناه ، ولقلنا انه لا يخلو من ظرف وفكاهة الطرشان في حوارهم المعروف :

— أنت تريد الوحدة ؟

— لا ، أنا أريد الوحدة !

— كنت أظنك تريد الوحدة !

أجل ليته كان كذلك وحسب ، ولكن حديث الوحدة بأصواته المعهودة ونغماته الرتيبة ، قد أخذتنا منه جشأة التيء ولعيان النفس ، لانه يذكرنا دوماً بمسما جحا وقميص عثمان !

ذكرى الوحدة

الوحدة التي احتفل السوريون بذكرائها في الثاني والعشرين من شهر شباط من العام الماضي ، فأقاموا لها المهرجانات ونصبوا الزينات ، وأطلقوا الزغاريد وأنشدوا الاناشيد ، وتبادلوا التهاني والخطب والتبريك ، بذكرى العيد المبارك السعيد ، عيد الوحدة مع مصر واليمن السعيدة . . . الوحدة هذه ، قرة عيونهم ومحط آمالهم وأحلام يقظتهم ، احتفلوا بذكرائها أمس احتفالاً باكياً كثيلاً يحمل كل معاني الاسى والمرارة .

وكما يحتفل أهل النفيد بـ « فك الوحدة » في اليوم الثاني على وفاة العزيز الغالي ، احتفلت الحكومة السورية أمس باحياء ذكرى الوحدة مع مصر « في موكب من الاسى والمرارة والغصة » . وقد وجه وزير الارشاد القومي الاستاذ فؤاد العادل بياناً الى الشعب السوري يدعوه فيه الى « حشد الجهود وتعبئة القوى في سبيل اعادة بناء الوحدة العربية على أسس سليمة قوية الدائم » . كما تولى راديو دمشق اذاعة تعليق كان أشبه ما يكون بأقوال النداءات اللواتي يلطمن الحدود ويمزقن الجيوب و « يعددن » مآثر الفقيد الغالي المسجى على فراش الموت . . . وليس يهمننا في هذه الذكرى ، ذكرى « فك الوحدة » ما تقوله النداءات . فلقد كفانا نداءً ولطمًا وبكاءً وعويلًا .

أجل ليس يهمننا في قليل او كثير ، تعليق راديو دمشق . بل وحتى بيان الحكومة السورية ذاته ، لا يستأهل اهتماماً كبيراً ، لولا انه تضمن غموضاً وتناقضاً في معرض التبرير وغسل اليدين من آثار « فك الوحدة » والقاء التهم وتحميل المسؤوليات .

وليس يعني السوريين من المسؤولية الكبرى أمام الرأي العام العربي ، تعليق يذاع او بيان يلقي او اتهامات تكال بحساب وبلا حساب . فاذا أخطأت مصر مرة واحدة بقبولها الوحدة ، فان سوريا قد أخطأت الف مرة !

ان مصر بالنسبة للقضية العربية والعمل العربي ، تعتبر وليداً يحبو . فلم يسبق ان تمرست قبل هذه السنوات القليلة الاخيرة ، تمرس دمشق الطويل .

فرصيد الاخطاء لهذه الجهة ، ليس من مصلحة دمشق أن يثار ولا ان ينكشف عنه الغطاء ! مرة ثانية ،

كل هذا ليس يهمننا ، انما يهمننا اصرار الحكومة السورية على الدعوة الى « الوحدة العربية » . فلقد جاء في مطلع بيانها أمس العبارة التالية :

« حرصاً من المسؤولين على تطبيق المبدأ الدستوري المتضمن في نص المادة السادسة والاربعين من الدستور السوري لعام ١٩٥٠ والقاضي بالعمل للوحدة العربية ، هذا المبدأ الذي أقسم

عليه نواب الشعب ، واستجابة للرسالة التقليدية التي انتهجتها سوريا العربية في الدعوة الجدية المخلصة للوحدة العربية الصحيحة الكاملة والتي تضمنها نص المادة الاولى من الدستور الموقت للجمهورية العربية السورية .

لقد خبرنا الاسس الفاسدة والدعائم غير القويمة التي قامت عليها الوحدة . فما هي « الاسس السليمة والدعائم القويمة » التي تبشرنا بها حكومة دمشق ، والتي تدعو الى « حشد الجهود وتعبئة القوى في سبيل اعادة بناء الوحدة العربية » ؟
ما هو « المبدأ التقليدي الذي أخذت سوريا نفسها به وجعلته مبدأ لنشاطها وأساساً لسياستها » ؟

ما هو « مفهوم الوحدة » وكيف يكون العمل في سبيل تركيز هذا المفهوم ؟
عبارات والفاظ عاتمة سائبة لا تستأهل حتى ان نصفها بالغموض والابهام ونحن في مجال الحديث عن وحدة تجمع بلاداً وشعوباً وقادة .
لقد نعمنا على القاهرة جهلها بأفانين السياسة العربية في البلاد العربية ، واستبطنها الاذئاب و « الدلايل » . فما عسانا نقول لدمشق وسادة دمشق وهم الاساتذة الجهابذة ، المعتقون المخضرمون في القضايا العربية والعمل العربي العام ؟
لئن قال العرب بالاسس « أغفر للمصريين يا أبتاه فانهم لا يعلمون ما يصنعون »
فأغلب الظن انهم قائلون اليوم :
« لا تغفر لهم في دمشق يا أبتاه فانهم يعلمون ما يصنعون » ! !

طلب الوحدة

الضباط الاحرار ، العمال ، الفلاحون ، الشباب الواعي ، ارباب المهن الحرة ، الكادحون ، المخلصون ، الاتقياء الانقياء ، الوطنيون . . .
جميع هؤلاء يطالبون بالوحدة العاجلة الفورية مع مصر .
والعملاء الجبناء ، الخونة المارقون ، الانتهازيون ، اذئاب الاستعمار عبيد الدينار والدولار ، الرجعيون الاقطاعيون ، الفاسدون المفسدون الضالون المضللون . . .
هؤلاء لا يريدون العودة الى تجربة الوحدة مع مصر .
هذا هو التصنيف الرسمي « الواعي » للشباب الحر المثقف الواعي ، حيال قضية الوحدة التي برزت مجدداً من ثنايا الحوادث الاخيرة في سوريا .

ولو ان هذا التصنيف اكتفى بالظهور قبيل تجربة الوحدة ، لوجدنا بعض العذر لانتهاكات المتهمين وصب جام غضبهم على أذنان الاستعمار ، عبيد الدولار ، الخونة المارقين . . . الى آخره !

ولكن التصنيف عاد وبشكل مسعور ، يؤكد الخيانة والعمالة لكل من لا يبارك العود مجدداً للوقوع في التجربة مرة ثانية !

ولو ان التجربة قد عنى عليها الزمن ونسيها الناس ، فأبحث من خواطرهم ، لقلنا سامح الله النسيان . ولكن جراح التجربة ما زالت طرية في العقول والارواح ، ماثلة في الخواطر والاذهان .

فالقصة التي اعترضت حلق عبد الناصر أثناء خطابه التاريخي عقب انفصال سوريا عن مصر ، هذه القصة قد اعترضت كل حلق ما عدا حلق القردة من المتأفة الراقصين اليوم في مأتم الوحدة ، كما كانوا بالامس الهازجين الآكلين الشاربين في عرسها . . .

والدموع التي ترفرت في عيني عبد الناصر ، هطلت من كل عين ، ما عدا الاعين الزجاجية التي تشي أصلب المسامير فيها دون أن يرف لها جفن .

والخزن الدفين الذي اعتصر قلب عبد الناصر ، اعتصر قلب كل عربي ، باستثناء القلوب المصفحة التي تنادي اليوم بوجوب العودة مجدداً الى تجربة الوحدة . . . ويا لها من وحدة ويا لها من تجربة !

يقول بعض الناس ان واجب الثأر والانتقام ، يفرض على عبد الناصر العودة الى سوريا . وان الفشل الكبير الذي أصابه في تجربة الوحدة لا يغسله سوى النصر الكبير . وان هذا النصر لا يكون الا بالعودة الى دمشق .

ولست أجد مكيدة ولا مؤامرة على عبد الناصر شخصياً وعلى فكرة القومية العربية ، أدهى وأخطر من هذه المكيدة وهذه المؤامرة . فمواكب الخيبة ، ومهرجان الذل الذي شيعت به دمشق أبناء الشعب المصري على الحدود ما تزال ظلها السوداء عالقة في كل ذهن ماثلة في كل خاطر .

والهزيمة المنكرة التي أصابت عبد الناصر أصابت الشعب المصري مباشرة في صميمه ، فلقد دفع الثمن وكان الثمن غالباً ، وأول من ينبغي أن يسأل عن رأيه في العودة الى تجربة الوحدة مع سوريا ، هو الشعب المصري الذي كان وما يزال آخر من يعلم . . . وآخر من يريد الوحدة !

* * *

ترى أما من ملهاة جديدة غير ملهاة الوحدة ؟
 أما من « باب رزق » جديد للهتافة القردة الراقصين في كل عرس الناديين النائمين في
 كل مأتم غير هذا الباب من الرزق ؟
 أم ان لعبد الناصر بعض الرصيد وان الواجب يقضي بالقضاء على ما تبقى لهذا الرجل من
 رصيد ؟ !
 لست أدري . ولكن الذي أدريه أن ثمة مؤامرة كبيرة تحاك للايقاع بعبد الناصر . ولعلها
 أخطر . . . وآخر مؤامرة !

في ذكرى الوحدة

جميل أن نتحدث عن المبادئ والاهداف . ولكن الأجل أن نعمل على تطبيقها ونسعى
 الى تحقيقها . فلا تلتوي بنا السبيل لبلوغها ونعمد الى الاساليب البالية وننكر للقيم الاخلاقية .
 وجميل أن نتغنى بالتضامن ووحدة الصفوف ، ولكن الأجل أن نقرن القول بالعمل فلا
 نزيد الحرق اتساعاً والهوة عمقاً والصفوف تفسخاً .

جميل أن نقف في ذكرى الوحدة ، التي تحولت الى عاشوراء جديدة — نشحن الهمم
 ونستلهم الموعظة الحسنة ، ونستفيد من الدروس القاسية التي فرضتها الهزيمة المنكرة .

ولكن الاجمل والابرع من هذا أن نقلب النظر ملياً في الأخطاء المميتة التي أحاقت بالعمل
 العربي العام ، والتي أوصلتنا الى النكبة ، فنتجنبها ونعمل على ملاقاتها ، أو على الأقل نستبدل
 الأخطاء بأخطاء أخرى ، لعلها تكون أخف وطأة وأقل ضرراً . لا أن نكرر الأخطاء عينها
 والاساليب ذاتها التي أطعمتنا مرارة الهزيمة .

إن خطأ واحداً يقع فيه موظف واحد قد تدفع ثمنه دائرة بأكملها . وغلطة يرتكبها مسؤول
 في الدولة قد تطيح بحكومة ، بل قد تطيح بالدولة نفسها وتقضي عليها . فما عسانا نقول أمام
 انهيار صرح الوحدة بين ثلاث دول عربية ، انهياراً ترك أعماق الأثر وأسوأه ليس في نفوس
 الشعوب العربية الثلاثة وحسب بل في نفوس جميع الشعوب العربية على الاطلاق .

أي أثر تركته الكارثة ، باستثناء الخطب والبيانات ومهرجان الشتم القائم في كل مذبحة
 عربي ؟

أي درس أفدناه ؟

أي اعوجاج قومناه ؟

أية أساليب غيرناها أو أبدلناها ؟

بل أية أخطاء قديمة وأدوات رثة متآكلة لم نعد اليها ونعيد تجربتها مراراً وتكراراً ؟

شيء من التعديل ، شيء من التبديل .

هذا كل ما نبيغيه !

لسنا نطمح بسياسة حكيمة رشيدة .

لسنا نريد العودة الى الوحدة .

لسنا نبتغي إنقاذ فلسطين وإعادة اللاجئين . . .

لسنا نطمح الى هدف واحد من هذه الاهداف التي فقدناها والامال التي أضعناها .

ولكننا نريد استبدال الاخطاء القديمة بأخطاء حديثة .

لا شيء غير هذا !

ان الدول الراقية في بلاد الناس ، تستغني عن أبطالها غداة النصر .

فهل ترانا نشط في الطلب اذا قلنا بوجود الاستغناء عن الاخطاء الماضية والأساليب

الماضية والأدوات الماضية ؟ !

لو انها قادتنا صوب المجد وكتبت لنا النصر لأن الاوان كيما نستريح من أمجادها ،

فكيف بنا وما بلونا منها الا الخسران والضلال ؟ !

* * *

لست أشبه الأخطاء التي أرتكبت على اسم الوحدة العربية إلا بأخطاء ذاك الطالب الذي

وقف أمام مدرس التاريخ يقول له « الحسن والحسين بنات معاوية » وطلب من استاذة أن يصحح

له الخطأ . . . فقال له :

ماذا تريد مني أن أصحح ؟

أولاً الحسن والحسين لا الحسن والحسين . ثانياً أولاد موش بنات . ثالثاً علي وليس معاوية !

بعد الوحدة

مع اطلالة العام الجديد . وعلى أنغام فريد الأطرش ورقصة البطن و « التويست » المسموحة — الممنوعة ، وعلى أصدااء أرجوزة امام اليمن ، وتفتق عبقرية الكاتب الباحثة مؤرخ العروبة والقضية العربية والامتداد الجغرافي للشعوب العربية . . . يفتح الباب الكبير الذي كان الى الامس القريب ، وقبل توالي النكسات شبه مغلق ، وأعني به باب الحوانيت والبسطات التي شرعت على اسم المتاجرة بالعرب والعروبة والقضايا العربية . والتي كانت وما تزال فلسطين احدى هذه البسطات التي يتاجر ويسمر باسمها تجار وسماسرة السياسات العربية .

مع اطلالة العام الجديد ، يتطلع المواطنون في كل وطن عربي الى هذا الباب الجهنمي الذي فتح على مصراعيه ، كما سبق له أن فتح قبل وبعد معركة فلسطين . يتطلعون اليه بأسف ولوعة وحرق ومرارة . فلقد بلوا وخبروا الرياح التي هبت وهب عادة من هذا الباب ، باب الكلام عن العروبة والوحدة العربية وجمع الشمل ، وفتح الفناجين ، وضرب المنادل ، وقراءة الكف ، واستخارة النجوم ومناجاة الارواح فيما إذا كان ينبغي أو لا ينبغي الدخول في الوحدة العربية . وكان آخرها حسابات عراف اليمن ثم تخطتها وتصحيحها بأرجوزة الامام أحمد حميد الدين أمير المؤمنين !

ماذا جنى العالم العربي من الدعوات المبتسرة المرتجلة التي ينادي بها بعض أهل السياسة العربية ؟

أي خير جنى هذا العالم العربي من الصيحات والمناذاة التي جرت على ألسنة بعض القادة والمتزعمين منذ أكثر من ربع قرن ، والتي تشبه أكثر ما تشبه ، نداءات الباعة المتجولين في الشوارع والميادين ؟ ! ماذا جنت مصر وسوريا واليمن والعراق والسعودية ولبنان وغيرها من البلدان العربية التي راجت فيها نداءات وصيحات وشعارات العروبة ؟ !

أي بلد من هذه البلدان ، وأي شعب من هذه الشعوب ظفر بمكسب واحد من جراء هذه التجارة التي قامت على رياضة تمرين الفكين وتسليك الحنجرة ، وافتعال أكبر ضجة ممكنة للالهاء والتنمية ، وصرف الانظار عن حقيقة الحسائر والكوارث التي تقع ؟ !

حديث الوحدة العربية ، الباب الكبير الذي أعيد فتحه مع اطلالة العام الجديد وتصرم العام الذي انقضى ، ماذا أفاد في الماضي وما عساه يفيد في المستقبل ؟

لقد قامت « الوحدة » بين مصر وسوريا واليمن ، فماذا أفادت مصر وماذا أفادت سوريا ، ودعونا من اليمن السعيدة ، أنها سعيدة فلم تربح شيئاً ولم تخسر شيئاً !

لقد عادت سوريا الى ماضي عهدها بعد تجربة الوحدة وكأن شيئاً لم يكن . . . بلى حدث شيء هام ما عرفه قبل الوحدة لا السوريون ولا المصريون ، تلك البفوة القاسية والعداوة الالهة التي أضرمت نيرانها « ثمار » الوحدة بين البلدين الشقيقين والشعبين العزيزين !
أما مصر وما ذاقت من طعوم الوحدة وخيرات الاتحاد فأمره متروك الى المؤرخ الطبري الحديث الذي ظهر في آخر الزمان على صفحات جريدة « الاهرام » لعله يعدد الثمرات والخيرات بسلسلة من المقالات على غرار مقالاته الأخيرة في الوحدة والاتحاد واللغة والتاريخ والامتداد الجغرافي للشعوب . . . وحكاية أرجوزة الامام وعرف اليمن !

مصر ماذا أفادت بعد تجربة الوحدة غير الضياع ، ضياع الأعوام الطويلة المريعة ، والجهد العظيم ، والأموال الطائلة التي تبذرت جميعها في الهواء ، وتبدد معها ما هو أعز وأثمن من الاموال والجهد والأعوام !

أي انسان شريف غنم من ثمار الوحدة غير العضات والتأوهات والحسرات ؟ ومن هم الذين استفادوا وما زالو يستفيدون من هذا الخانوت الكبير الذي شرعت أبوابه على مصراعها يدعون اليه وكأنهم ما شعبوا ولا ارتبوا من مأدبة « العرب والعروبة » !

هؤلاء الذين يتسابقون اليوم في جعيرهم وفتح أشداقهم ، نعرفهم جيداً واحداً واحداً هنا في لبنان وفي سوريا وهناك في القاهرة ، حيث انفتح الباب الكبير باب التجارة الكبرى باسم العرب والعروبة !

دلوني على مواطن شريف واحد ، — ولا أقول بلد واحد — ناله الخير من تجربة الضم والانضمام والوحدة والاتحاد .

أربعة أعوام طويلة طويلة ، شاهدنا فيها بأم العين كيف تكون التجارة بالشعارات ، وكيف يكون النصب والاحتيال على أحدث وأرفع القواعد !

أربعة أعوام طويلة طويلة والباب الكبير المشرع ، يلفح الوجوه والأرواح بسياط النعمة والدل والعذاب .

أي خير جنيته ، وأي ريح طيبة حملتها لنا رياح هذا الباب المفتوح الذي يأبون أن يغلقوه ؟ !

* * *

مع إطلالة العام الجديد تتلفت العيون الدامعة والقلوب الواجفة في كل وطن عربي ، تسأل بضراعة المؤمن الصادق الشريف الخلاص من رياح الباب الكبير الذي فتح ، والذي فتحت وتفتح على أسمه حوانيت وبسطات سمسرة الوطنية في كل بلد عربي !

الوحدة المقترحة من البعث

في كل صباح وكل مساء تأتينا من دمشق شهادة جديدة على النتائج السيئة التي ألحقها بفكرة الوحدة العربية وبعبد الناصر شخصياً ، نظام الحكم الذي اعتمده عبد الناصر أبان الوحدة .

آخر شهادة وردت من دمشق هي بيان القيادة القومية لحزب البعث الغربي ، حول مشروع الوحدة الاتحادية التي يقترحونها هناك أساساً جديداً لعلاقة جديدة بين سوريا ومصر .

ان هذا البيان الذي يمثل رأي جماعة عرفت عبد الناصر أكثر مما عرفه أي حزب أو أي فرد آخر . . . بل يمثل رأي جماعة شاركته الحكم والأخطاء الى حد بعيد ، جدير أن يدرس بعناية من قبل الفئات التي تتعاضد عن كل خطأ وكل هفوة وكل زلل يقع فيه نظام عبد الناصر . من الخطورة أن لا يتعظ عبد الناصر ، ولكن ما هو أشد خطورة أن لا يتعظ أنصار عبد الناصر وحواريوه هم الآخرون بالنقد أيضاً .

ان وجود حاكم يقع في الأخطاء ليس عجيبياً ، ولكن العجيب أن لا يرى أتباعه ومريدوه هذه الأخطاء فيردوه عنها ويحنبوه إياها .

لقد اعتمد عبد الناصر على شعارات محبة الى نفوس الجماهير العربية ، وظن ان السحر الكامن في الالفاظ والنداءات ، كاف لان يغطي أخطاء نظام الحكم الناصري .

كان يعتقد انه بمجرد أن يقول « وحدة » او « اشتراكية » يتناسى الناس كل شيء ، ليتذكروا هذه الكلمات وحدها دون سواها ولا يلتفتوا إلى أي شيء آخر !

ولكن الأيام أثبتت أن هذا الاعتقاد في غير محله . فانهيار الوحدة بين سوريا ومصر قد فتح عيون الناس وقلوبهم ، ولم يعد بين ذوي العقول من يجرؤ على القول أن نظام عبد الناصر ، هو حكم الملائكة وحكم العمالقة ، بل حكم السماء ، الذي لا يعرف الزلل والخطأ !

واذا كان هنا بين السوريين من لا يزال يؤمن بالوحدة بين سوريا ومصر ، فان القلة من هؤلاء يريدون عودة الوحدة كما كانت في السابق . . .

ذلك ان الأغلبية من طلاب الوحدة بين سوريا ومصر تعرف جيداً مساوئ الحكم الماضي ونقاط ضعفه وارتجالية اساليبه ، وهي تصر على أن لا يكون في المستقبل ما يذكر بالماضي ، ذلك الماضي الذي أقرن في أذهان الناس بالحكم البوليسي وبالموشوشين وكتاب التقارير . وليس بالوحدة ولا بالاشتراكية وحدهما ، كما يريدنا أتباع عبد الناصر ، أن نصديق !

ان سوريا قد تريد الوحدة مع مصر ، وقد تسعى اليها ، ولكنها قطعاً لا تريد نظام حكم عبد الناصر ، لا لان هذا النظام حافل بالأخطاء التي لا تطاق وحسب ، بل لأن هذا النظام من شأنه أن يضر ضرراً بالغاً بفكرة الوحدة ذاتها وينفر منها حتى المؤمنين بها ، ويدخل اليأس - وقد دخل فعلاً - إلى قلوب الكثيرين منهم !

ولعل هذا هو السر وراء المشاريع الاتحادية التي ظهرت مؤخراً في سوريا : فهي تنطلق من نقطتين لا من نقطة واحدة : الاولى الوحدة أو الاتحاد مع مصر . والثانية هي نقطة الانتقاد لنظام عبد الناصر وأسلوبه في الحكم . والأخيرة هي الجديدة على التفكير العام في سوريا ، لأن السوريين لم يكونوا يفكرون عام ١٩٥٨ إلا بالوحدة والاتحاد وحدهما .

أما نظام الحكم فهذا ما لم يكونوا في الماضي يعطونه ما يستحق من الاهتمام !

» . . .

حكاية الفراشة التي تتعشق الضوء فتلح عليه حتى تحترق بنوره سعيدة في عماها عمياء في سعادتها ، لن تتكرر - وينبغي أن لا تتكرر بعد اليوم في سوريا !

الوحدة وكراس الحوراني

الذين يكابرون في أخطاء حكم عبد الناصر ، ويرونه حسنات فوقها حسنات . ونعماً فوقها نعم ، وهدى دونه هدى . . .

الذين لا يجدون في أعمال الجمهورية العربية المتحدة الا المعجزات ، ولا في أقوالها الا الآيات البينات المتزلزلات . . . مدعون اليوم لقراءة كراس صغير صدر عن دمشق بعنوان « رأي أكرم الحوراني بالوحدة العربية » .

أكرم الحوراني الذي آمن بعبد الناصر كما لم يؤمن به شخص - أو هكذا كان يبدو - والذي جره إيمانه هذا الى الايمان بالوحدة . . .

أكرم الحوراني ، الذي وقف أكثر من مرة على الشرفات والمنابر يتوجه الى عبد الناصر في كل خطاب او كلام بـ « يا سيدي ويا زعمي » ثقة منه بالرجل ، واعترافاً بزعامته . . .

أكرم الحوراني هذا ، ما زال به عبد الناصر ، وحكم عبد الناصر ، وأنصار عبد الناصر ، حتى كفروه . . . ومن لا يكفر ؟

أخيراً وبعد الرحلة الطويلة البعيدة في عوالم الوحدة العربية ، والاشتراكية التقدمية والموجة

التحررية ، على نعمات الخليج الهادر والمحيط الثائر . . . عاد السياسي السوري المخدر زمناً مديداً بعقب الوحدة ، وشذى الاشتراكية ، ونسمات التحررية والتقدمية ، عاد الى دفاثره القديمة ينفض عنها الغبار ، ويستهدي منها الأنوار ، ويستلهم العبرة والاستعمار . . .

فهذا أكرم الحوراني يطلق بالثلاث الوحدة مع مصر ، قفزاً من فوق اسرائيل ، ووثباً عبر الفضاء ، ليتحدث عن بلاد الشام وخصائص بلاد الشام وظروف بلاد الشام كأن الأيام تمر ، والليالي لم تحبل بكل عجيب . . . و

(كأن لم يكن بين المحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر)

سقى الله الأيام القديمة والمبادئ القويمة . . .

سقى الله أيام الشباب . فأكرم الحوراني الشاب في حماه . . . لم يكن يخطر على باله في وقت من الاوقات ، انه من الواقعية في شيء ، أو العملية في شيء ، أن تقوم بين سوريا ومصر وحدة حقيقية غير اعتباطية ، وطبيعية غير اصطناعية ، وقومية غير احلامية . . .

بل كان يريد لنفسه ولبلده تدرجاً غير هذا التدرج : من الضيق الى الواسع ، ومن الواسع الى الأوسع . . .

من الواقع الاقليمي ، الى الواقع القومي ، مروراً بمعطيات الممكن ومقتضيات المعقول . . . كان أكرم الحوراني قريباً الى دروس الجغرافيا ، فلما تقدمت به السن بدا عليه وكأنه نسيها . غير أن العلم في الصغر كالنقش في الحجر ولا يمكن للذكي كأكرم أن ينسى درساً حفظه وأمثولة تلقاها .

أما الأمثلة الكبرى فقد كانت تجربة الوحدة التي عاشها أكرم فأخرجته عن إيمانه بها وكفرت به بعد ثلاثة أعوام حافلة بما يضيء الكرام ويعز اللثام ، ويجعل الأسود أبيض والأبيض أسود ، والعالم جاهلاً ، والجاهل عالماً ، والسافل عالياً ، والعالي سافلاً . . .

والذي يريد أن يأخذ صورة صحيحة لما كانت عليه الوحدة بين مصر وسوريا ، فما عليه الا أن يعود الى كراس أكرم الحوراني ، ففيه الحنظل والعلقم والصبر والمر والصاب . . .

وما أحسبه كان متجنباً ولا مبالغاً لا في تصويره ولا في مرارته ولا في رده !

فالمسؤول عن الردة ليس المرتد بقدر من جعل الناس يكفرون بعد إيمان وينفرون بعد إقبال ، ويدبرون بعد ألفة . . .

كراس أكرم الحوراني قصتان في قصة واحدة : قصة الوحدة بين سوريا ومصر . وقصة الاحراج فالاحراج الذي بلاه كل من مديده الى القاهرة في وقت من الاوقات !

الوحدة . . . وحدات !

لكل بلد عربي حائط مبكى ، سواء أكان هذا الحائط من صنع الاجنبي أم من صنع أبنائه ، يلطمون عليه الحدود ويشقون الجيوب ويندبون ويعددون كما تندب وتعدد الندابات في المآثم .

وجاءت كارثة فلسطين فوحدت العرب وجمعتهم في حائط مبكى جديد ، لم يلبث طويلاً حتى تحول الى دكاكين ومنابر مختلفة متناثرة في طول البلاد العربية وعرضها ، أفاد منه من أفاد وراحت على من راح عليه من العباد . . .

وبالرغم من ذلك فقد ظل حائط مبكى فلسطين قائماً رغم فلسطين وأبناء فلسطين يهرع اليه قادة العرب وزعمائهم في كل مرة يأمنون فيها الربح والفائدة من الزيادة في لطم الحدود وشق الجيوب على حائط فلسطين .

واستفاق السادة النجب ، سادة العرفان والادب والحسب والنسب ، استفاقوا في السنوات الأخيرة على مورد عذب وحائط مبكى جديد ، لم يحسن قبلهم من الزعماء والقادة الافادة منه ، عنينا به حائط مبكى الوحدة العربية كان الله في عونها . . .

فلقد كانت الوحدة في الماضي — وقبل هذا الزمن الرديء — تعتبر ترفاً يلجأ للمطالبة بها غلاة الوطنيين وفرسانهم ممن لم يكن يرضي زهوهم وكبرياءهم مجرد المطالبة باستقلال بلدهم ، بل كانوا يمنحون لما هو أعظم وأرفع وأشمل ، هو مطلب الوحدة العربية الشاملة الكاملة من هنا الى هناك ومن هناك الى هنا . . .

وهكذا وجد السادة القادة ، وعلى أهون سبيل ، حائطاً جديداً قديماً ، يعيدون اليه اعتباره ، ويردون في الوقت ذاته اعتبارهم الى أنفسهم في ميدان اللطم والتدب والمضاربة والزيادة ، الى جانب حائط مبكى فلسطين. لا سيما وان مغامرات الحائطين القائمين تعود في النهاية اليهم مهما تعددت الوجوه والاساليب والمصادر والدعايات . . . خارجية كانت أم داخلية ، ظاهرة أم مستترة سيان . . . انها (أعني المغامرات) كسحابة هارون الرشيد الذي قال لها : «أذهبي وامطري حيث شئت فسيأتي خراجك الي » !

ويبدو ان خراج الحائطين — حائط فلسطين وحائط الوحدة العربية — أصبح يغل كثيراً في هذا الزمن الرديء على أهل السياسة والكياسة ، السادة القادة ، سادة العرفان والادب والعلم والحسب . . .

غير ان الوحدة ، وكنا نحسبها بيضة الديك ، وقد باضت أكثر من بيضة فتعددت وأصبحت كل واحدة منها تحمل اسماً وشكلاً وهوية .

فهناك الوحدة العربية المصرية الناصرية عز نصرها ضربت في « الأهرام » لا في مطبعة بولاق . . .

ويحمل لواءها « م.ح. هـ » و « د.م. ع. ق. ح » وغيرهما ممن نعرف ولا نعرف . . . وهي وحدة الاهداف لا وحدة الصفوف تارة وهي غير ذلك تارة أخرى . وهي متوجة ومطعمة بالاشتراكية طوراً ومنفصلة متحررة من الاشتراكية طوراً آخر !

والوحدة الاتحادية الفيدرالية (وحدة حزب البعث) التي يدعو اليها للجمع بين رأسين بالجلال يظلهما نظامين مختلفين متناقضين متشاكسين متباعدين !

والوحدة الكبرى (وحدة الدواليبي والكزبري) التي بلغت من الكبر الى درجة لم يسمح فيها بين سائر البلاد العربية الا للأردن بالدخول فيها !

والوحدة العظمية (اتحاد فيدرالي مع مصر) وهي وحدة العظم بلا لحم !

والوحدة الوطنية (وحدة الطوائف والاحزاب والفئات والعناصر المختلفة ابتداء من الاخوان المسلمين الى البعثيين الى الحورانيين الى العظميين لمقاومة الزحف الناصري) وهي وحدة التلاقي الاسلامي البورجوازي الشيوعي النيو رجعي !

والوحدة الجزئية مع مصر دون غيرها من البلاد العربية (وهي وحدة غلاة المتحررين الناصريين . . .)

والوحدة الكلية (وحدة المحيط النائر الى الخليج الهادر وبالعكس) وهي أيضاً لها روادها وغلاتها وأنصارها ودعاتها . . .

والوحدة الفورية (وحدة اذاعة حلب وجاسم علوان) وقد ظهرت نتائجها الفورية بعد سكوت راديو حلب الذي أعلن بلسان حلبي ميين « هنا طنطا » !

والوحدة السامية (وحدة أكرم الحوراني) بلاد الشام وخصائص بلاد الشام وطبيعة بلاد الشام . . . وأمرها مشهور معروف ومدون في بطون الكتب !

* * *

وهناك الى جانب ما فصلنا وبيننا من أسماء وأشكال وألوان بيض الوحدة التي فقتت بيضاً (ويقال ببوضاً) كثيرة . . .

هناك الوحدة المشروطة وغير المشروطة . والوحدة الشعبية وغير الشعبية . والوحدة العاطفية وغير العاطفية . والعلمانية وغير العلمانية
 وأسماء كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان . . .
 فتبارك الخلاق فيما خلق وأبدع . . . وتباركت عبقریات السادة القادة فيما تفننت وفتننت
 فأخرجت من بيضة الوحدة الواحدة بيضاً كثيراً وأسماء كثيرة وأساليب كثيرة تهدف الى هدف
 واحد هيئات ثم هيئات لأي شعب عربي أن يقرهم عليه . . .
 « وكل بدعي وصلابيل ولي لا تقر لهم بذاكا ! »

كر بلاء الجديدة !

الحديث عن الوحدة كالحديث عن كربلاء وذكرى عاشوراء سواء بسواء !
 ومن عجيب المصادفات ان تحمل هذه الذكرى الاليمة في الوقت الذي يبلغ فيه الكلام
 عن الوحدة ذروته فبالرغم من النكسة الكبرى التي أصابت عبد الناصر شخصياً ، والولايات
 التي أملت بالشعب المصري . وبالرغم من الآثار الويلة التي جررت وما تزال تجرر أذيالها
 مآسي الوحدة والانفصال في دمشق ، حتى أصبحت وهي أشبه ما تكون بالسوسة التي تنخر
 عظام سوريا . . .
 أقول بالرغم من كل هذا ، فان الحديث عن الوحدة وأشكال الوحدة و « رشتات » الوحدة ،
 ما يزال قائماً على قدم وساق و . . . لسان خصوصاً .
 ولو ان الحديث والنسلي بهذا الموضوع ، يقتصر على ما نقرأ ونسمع من الصحف والاذاعات
 وما تلوكه اللسان وتتبارى فيه الأقلام ، من كر وفر وسباب وشنائم وتوزيع اتهامات .
 لو كان الامر كذلك لكان المصائب ولما يمكن القول انها فرصة مناسبة للسمسة والتجارة
 وتبييض الوجه ، تبدو لاصحاب السوابق ممن برعوا وتفننوا في هذا الميدان ، يتزاحمون ويتسابقون ،
 يتصايحون ويزايدون في المؤاجرة في كل عراضة او مظاهرة !
 ولكن الامر أدهى وأمر وألحظ أجل وأعظم . فالبلاد العربية تسير من سيء الى أسوأ
 بفضل هذه الكربلاء الجديدة التي فتحت في صدر العالم العربي على اسم الوحدة العربية :
 والتي زرعت الاحقاد والضغائن وعمقت الهوة وأشاعت اليأس ، وأكثر من اليأس في نفوس
 أشد المؤمنين بفكرة الوحدة !
 قد يقول قائل ان ثلاثة او أربعة أعوام في تجربة الوحدة ليست شيئاً كبيراً في حياة الشعوب

الطامحة الى المنعة والقوة والمجد .

وهو كلام صحيح لو ان تجربة الوحدة التي قامت بين مصر وسوريا كانت مجرد تجربة يخرج منها الصادقون المخلصون ، بالدرس المفيد والعبرة النيرة التي تجنبهم اخطاء الماضي وعثراته . غير ان الامر على النقيض تماماً ، فما من خطأ ارتكب في تجربة الامس ، الا وعاد المخلصون الصادقون المتزهدون لارتكابه مرة ثانية . وما من مركب خشن او وسيلة ضالة مضللة عرفتھا تجربة الوحدة ، الا وعادت تطل برأسها في هذه الايام أكثر عناداً واشد تشبثاً ، حتى لكأن الوحدة ، على نبيل غاياتها ورفيع أهدافها وسابق مجدها ، ما وجدت الا لتكون ميداناً للطعن والضرب وتقطيع الاوصال ، ومختبراً كبيراً للاخطاء المكررة المعادة مع سبق الاصرار !

* * *

ترى هل الوحدة كميالة مستحقة الاداء في يوم محدد وساعة معينة ؟
هل هي طوق او سلسلة تعلق في الاعناق لمنع الطامعين اليها من الهروب منها ؟
هل هي الدواء السريع الناجع لشفاء البلدان العربية من اوصابها وأمراضها ؟
او ليست هناك امراض كثيرة تعشش في جسد كل بلد عربي تستحق التطبيب والدواء ؟
الفقر والجهل والمرض . . .

هل استطاع المخلصون الصادقون المتزهدون ان يبرثوا مواطنيهم من آفاتهم ؟
البلهرسيا والتراخوما والانكلستوما هل شفيت منها العيون لتبصر ما تراه وتحكم على ما تراه وتلمس الطريق الحق القويم ؟

الملايين التي أهدرت على اسم الوحدة وتجربة الوحدة وسماسة الوحدة . . . أما كان أجدى لو أنها صرفت من أجل اقالة عثار الشعب الطيب الصابر هناك ؟
الجهود الكبيرة التي بددت في الهواء . الاعوام المريبة التي ذاق مرارتها شعب مصر وشعب سوريا ابان التجربة — المحنة ، تجربة الوحدة . . . اما كان افضل واليق وأشرف ، لو صرفت تلك الجهود وتلك الاعوام من اجل البناء الداخلي لكل بلد عربي ، والتمهيد الحقيقي الصادق للوحدة المنشودة ؟

* * *

يا ويحهم ، يا ويلهم ، يا ضبيعة للايام والاحلام التي تمليناها زمناً طويلاً ورعيناهنا بحشاشة القلب وبؤى العين فاذا هي سراب في سراب يحسبه الظمان ماء وما هو بماء . . . واذا بالاحلام اليقظة اضغاث احلام !

كلام في كلام . . . !

ماذا قالت سوريا لعبد الناصر ؟ وماذا قال عبد الناصر لسوريا ؟

مقارنة بسيطة بين ما قاله الدكتور بشير العظمة ، وما قاله « م. ح. هـ » الازهرام ، عن لسان عبد الناصر ، كافية لان نضع أمامنا النقاط على حقيقة حروف المشكلة القائمة بين الطرفين .

قال بشير العظمة بوضوح وصراحة آخذه عليها في سوريا :

« ان الانفصال كان عملاً رجعيّاً استعمارياً » و « ان الانفصاليين جماعة خارجة على العرب والعروبة والقومية العربية والتقدمية والتحررية . . . الى آخره »

و « ان المطالبين بالوحدة مع مصر هم الاكثريّة ، وهم وحدهم الذين يمثلون وجه سوريا » !

هذا ما قاله الدكتور بشير العظمة . فماذا كان رد « م. ح. هـ » الازهرام ؟

كان الرد في جملة ما كان ، الاصرار على اجراء تحقيق يتناول الاتهامات الباطلة التي وجهتها الفئات السورية الانفصالية الرجعية لحكم عبد الناصر .

ترفقت سوريا — او هكذا بدت على الاقل — فقالت عفا الله عما مضى وكل ما نريده ان يكون المستقبل جديداً بالفعل . واذا القاهرة تشدد وتقسو وتعنف وتقول : كل ما اتهمنا به من قبل سوريا ظلم في ظلم وباطل في باطل !

جهة ترضى « بتسكير » الحسابات القديمة وطبي الدفاتر القديمة ، وجهة تشبثت ، — وهي الملوثة — بفتح الحسابات ونشر الدفاتر !

فسبحان الله العظيم ثم سبحان الله العظيم ثم سبحان الله العظيم !
في بيان الدكتور العظمة انه في سبيل الوحدة مستعد لتناسي ما ارتكبه حكم عبد الناصر من أخطاء .

وفي بيان « الازهرام » ان لا شيء في الدنيا لا الوحدة ولا غير الوحدة يستحق من أجله ان تناسى القاهرة تهمة او تهمتين او ثلاثاً خرجت من راديو دمشق جواباً على صوت العرب . . .
وما ادراك ما صوت العرب !

في بيان الدكتور العظمة :

تعالوا نصنع لامتنا اتحاداً يكون فيه خير الجميع ويكون فيه لكم شخصياً رد الاعتبار والخروج من حكم التاريخ القاسي . . .

وفي بيان « م ح ه » الاهرام :

لا مفاوضة قبل الجلاء . فأنتم لا تمثلون الشعب السوري ولا يمكنكم ان تتكلموا باسمه !
رحابة يقابلها ضيق . اقبال يواجهه تحفظ . حماسة تصدها عنجهية .

والغريب العجيب — ولم يعد ثمة من عجيب ولا غريب — ان يقولوا تعليقاً على بيان « الاهرام » ان عبد الناصر قد قبل ما عرضه بشير العظمة ، كأنما هذه الشروط جميعها هي حيثيات قبول لا حيثيات رفض . بل كأنما الناس قد باتت وهي تعتقد ان مجرد عدم الشتم من قبل القاهرة هو هشاشة وبشاشة ، وترحيب ورضى وتشجيع وتزكية . وانه غاية القصد وبلوغ المراد من رب العباد !

فسبحان الله العظيم ثم سبحان الله العظيم ثم سبحان الله العظيم . . .

أولسنا نسمع منذ ان لم يهاجم عبد الناصر بشير العظمة التهليل والتكبير والتسبيح والتهافتات والزغاريد تنطلق لتحية رئيس الحكومة السورية :

طوبى لبشير العظمة لان عبد الناصر لم يهاجمه !

طوبى لبشير العظمة لان صوت العرب لم يتناوله بالقذف والتجريح ، وان تناوله بالتعريض والتلميح دون التصريح !

طوبى لبشير العظمة لان أبواق القاهرة لم تلحقه بالسابقين مع من الحقتهم بالاستعمار وأذئاب الاستعمار !

لقد أصبح الناس يعتقدون ان عبد الناصر لن يتمكن ان يعيد الوحدة ولا حتى الاتحاد مع سوريا الا اذا رضيت القاهرة ان تتكلم مع الناس بغير اللغة التي تتكلم بها ، لغة التعنت والتشبيث والاستعلاء ، والاستمرار في اعتماد المخططات والاساليب القديمة التي اوصلت عبد الناصر الى نكسة الانفصال .

حقاً من يسمع يصدق . . . يصدق كلام القاهرة وكلام دمشق . . . وكله كلام في كلام . . . والكلام ليس عليه جمر لا هنا ولا في الشام على الأقل !

الوحدة !

المعروف عن الدكتور بشير العظمة في دمشق وسوريا ، انه صاحب البقى والطف استقالة قدمت الى الرئيس عبد الناصر ابان الوحدة .

ذات يوم دخل الدكتور بشير العظمة وكان وزيراً مركزياً للصحة في حكومة الجمهورية العربية المتحدة الى مكتب الرئيس عبد الناصر وقدم له كتاباً ضمنه استقالته من الوزارة .

ولما كان الكتاب خالياً من أي شرح ، سأل عبد الناصر الدكتور العظمة :

« هل لك اعتراض على سياسة الجمهورية أو خطتها العامة ؟ »

فأجاب الرجل : بالعكس يا سيادة الرئيس فانا موافق على كل شيء في سياسة الدولة الخارجية وخطتها العامة في التنمية والاقتصاد .

وقال الرئيس عبد الناصر :

اذن هل انت تشكو اي اضطهاد او أذى يلحق بك او يحزبك او جماعتك او عشيرتك ؟

أجاب العظمة : كلا يا سيادة الرئيس ، فليس لي حزبية او جماعة فأنا رجل مستقل واعتمادى على شهادة المواطن العادي بيمهدي ونشاطي .

قال الرئيس : مم تشكو اذن ؟

ورد العظمة : كل ما في الامر يا سيدي هو انني كنت فيما مضى طبيباً في دمشق امارس واجبي في عيادة متواضعة في حي من أحياء بلدي وأصبحت بعد ذلك وزيراً . ويشهد الله يا سيادة الرئيس انني كنت أشعر وأنا أقوم بواجبي في للقيادة انني أقدم لوطني من الخدمات ما لا أشعر انني أؤديه وأنا هنا في كرسي الحكم !

اليوم وبشير العظمة مترجع في كرسي رئاسة الحكومة ، شهد الناس كلهم والقاهرة في طليعة الشاهدين انه إذا كان للوحدة بين سوريا ومصر حظ او نصيب ، فانما على يد هذا الرجل الكريم الذي يفهم الواجب حق الفهم ويغار على الكرامة كل الغيرة .

لو شهدت القاهرة لبشير العظمة وأمثاله بالفضائل التي بدأت تشهد لهم بها اليوم ، لما انهارت الوحدة بين سوريا ومصر ولظل علم الجمهورية العربية المتحدة يخفق في سماء دمشق كما يخفق في سماء القاهرة .

ولكن الفرصة قد ضاعت في زمن الوحدة فهل تفوت أيضاً في زمن الانفصال ؟

ان الدلائل لا تدل أبداً على ذلك . فالتاجرون بعبد الناصر — وأتكلم عنهم في لبنان كما أتكلّم عنهم في سوريا وفي مصر — هؤلاء ما زالوا هم هم أبعد ما يكونون عن الترفع والزهدي واحترام النفس التي قدمنا عليها دليلاً استقالة بشير العظمة من منصبه زمن الوحدة .

أجل انهم ما زالوا حيث كانوا يفهمون العلاقة بعبد الناصر لا على انها ايمان بالوحدة أو ولاء للاشتراكية أو حرص على الكفاح ضد الاجنبي . بل يفهمون هذه العلاقة على أنها مجرد ضمانة لمصالحهم الذاتية ونزعاتهم الخاصة ، وأبنيتهم التي ما قامت وما كان لها ان تقوم لولا استغلال اسم عبد الناصر وشعارات عبد الناصر !

فمن كان معهم في رخصهم وتبذلهم ودجلهم ونفاقهم ، فهو مع عبد الناصر . .
ومن كان ضدهم في أساليبهم وصغارهم ، فهو ضد عبد الناصر .
وهكذا هم يسيئون الى الرجل مرتين مرة في عدم الايمان به ومرة في تنفير الناس عنه !

* * *

ان عبد الناصر يستطيع أن يربح المعارك التي يواجهها اليوم بشرط واحد لا ثاني له :
أن يفتش في الناس عن هم أمثال بشير العظيمة في الخلق والكرامة والحس بالواجب والايان الوطني ، فيضع يده في يدهم لمصلحة المبادئ التي يعمل من أجلها ، وأن يبعد عنه من أساءوا اليه وما زالوا يسيئون ، من المتاجرين المطبلين المزمرين الشائمين الشامتين الذين يماشون عبد الناصر اليوم ليغدروا به في الغد ، وهم في كلا الحالين لا يعرفون لها الا شهواتهم ، ومصالحهم المادية ونزعاتهم الشخصية .

بدون الاعتماد على الاشراف وحدهم لم يستطيع عبد الناصر أن يحمي الوحدة من أعداء الوحدة .

وبدون الاعتماد على الاشراف ، لن يستطيع عبد الناصر أن يزيل الانفصال ويعيد الاتحاد بين سوريا ومصر !

« امامك فانظر أي نهجيك تنهج

طريقان شتى مستقيم وأعوج » !

الوحدة !

في شمالي مدينة حلب ينبع نهر يسمونه نهر قويق ، وهو يمر بحلب الشهباء . ومعروف ان النهر يفيض مرة واحدة كل عام فيغرق كل ما حوله ، ثم يبدأ فجأة ولا يلبث أن تجف مياهه وتنحدر الى مستنقع آسن تنفق فيه الضفادع ، ومن أجل هذا اطلقوا عليه اسم نهر قويق . . .
وكما ينطلق نهر قويق مرة كل عام ، تنطلق ألسنة دعاة الوحدة ، في هذه الايام . في وقت واحد وأهداف واحدة . سداها ولحمتها السمسرة والمتاجرة والمزايدة بالدعوة للوحدة . . .

والشاطر ابن الشاطرة هو الذي يقتني صوتاً تنكياً وصدغاً نحاسياً وعيناً بلقاء مفتوحة على وسعها تنثني فيها المخارز والمسامير دون ان ترتعش او يرف لها جفن ! وهات صرخات وهات مزادات على اسم الوحدة والدعوة الى الوحدة ، والوحدة براء مما يأفكون ويناققون ويدجلون ، براءة يوسف ابن يعقوب .

ومن عجب - ولم نعد نعجب من شيء - أن تتحول الدعوة الى الوحدة العربية من جوهرها الأصل ومركزها الاساسي الذي قامت عليه ، بالتضحية والصدق والجهد ، فتصبح بفضل العمارة التي خيمت على أعين الكثيرين - دكاكين منتشرة في طول البلاد العربية وعرضها ، من المحيط الثائر الى الخليج الهادر ، يسمسر فيها من يسمسر ويتاجر من يتاجر ويقبض من يقبض ، ويحظى قبل هذا وبعد هذا بالتمجيد والتدليل والتعظيم ، على انه الوطني الوجدوي الشريف الذي لا يأتيه العيب من بين يديه ولا من ظهره . . .

وكما نكبت الوحدة العربية والقومية العربية بدعائها من أهل الحل لا الربط ، كذلك نكبت مصر العزيزة بالنكبة ذاتها . فقد كان المسلمون في سائر البلاد العربية ولا سيما في لبنان منذ عهد ابراهيم باشا وحتى عهد فؤاد الاول وفاروق الاول ، كان المسلمون في لبنان يدفون من أموالهم ليقيموا الدليل على حبهم لمصر واعجابهم بمصر ومودتهم لاهل مصر . . .

كان هذا في الايام الخوالي ، أيام الملكية والرجعية والعبودية والاقطاعية والى آخر الاغنية . وعشنا ورأينا كيف تنفق الاموال وتبذل ملايين الجنيهات من أجل من ولماذا وكيف . . . عشنا ورأينا كيف تتدفق الملايين ليشتري بها العداوة والبغضاء وزرع الاحقاد .

عشنا ورأينا كيف اكتسبت مصر العداوة على أهون سبيل وبأبسط الأثمان ، ولم تغنم في نهاية المطاف صوتاً واحداً من الأصوات التي كانت تجاهر وتباهي بحبها ومودتها واكبارها . . .

* * *

حدثني أمس زميل صديق قال : ألم تلاحظ في الايام الأخيرة أن الفتور قد دب في بعض الافلام الناصرية حاملة المباخر ؟ وان الأصوات التي كانت تزجر وتشتد في المديح واللعن قد أدركها شيء من الملل والخفوت ؟

ورحت أقص على صديقي حكاية نهر قويق . . .

النهر الذي يطوف مرة واحدة فيغرق كل ما حوله . ثم لا يلبث أن يهدأ ويغور ويحف مياهه فيتحول الى مستنقع آسن تنقنق فيه الضفادع

مصر الثورة
الى أين ...؟

حروب طسم وجديث وداحس والغبراء ، الدائرة رحاها بين الدول العربية الاشقاء ،
كيف ومتى تنتهي ؟

الى متى تستمر هذه المعارك الغبية الحمقاء ، التي لا يستفيد منها أحد إلا اسرائيل والاستعمار
وأعوان الاستعمار ؟

القاهرة تعلن عن تأسيس « جبهة وطنية سعودية » لمناوئة السعودية العربية .

والسعودية تسترد قطعة أرض كانت قد أهدتها للجمهورية العربية المتحدة لاقامة مبنى
لعرض متوجاتها في جدة .

وسوريا تعلن عن قيام « لجنة مصر الحرة » في دمشق وتدعو لمؤازرتها للخلاص من حكم
عبد الناصر .

والقاهرة ما تزال تصر على تسمية سوريا بالاقليم الشمالي للجمهورية العربية المتحدة .
وتستمر في حربها للعهد القائم في دمشق .

ودمشق بدورها « تدوبل » على القاهرة ، وتمضي بعناد شديد في حملة شعواء لا نظير
لها من الاتهامات والشتائم تكيلها بحساب وبلا حساب ، وكأنها قد فرغت من جميع القضايا
ولم يبق أمامها الا قضية واحدة هي قضية المهجوم على عبد الناصر وحكم عبد الناصر .

واليمن ، اليمن السعيدة ، طوباها هي وحدها التي وقفت بعيداً عن الميدان بعد أن نفضت
يديها من الوحدة مع مصر ، بقصيدة يتيمة نظمها الامام الراحل عليه الرحمة والرضوان وسكتت
بعدها ، لا هجوم ولا اتهام لا رضى ولا عدوان ، قبل أن يسكت الى الابد وتنعيه مجلة
« الايكونومست » تحت عنوان « وفاة شاعر » !

أجل : اليمن وحدها بقيت خارج الميدان دون سائر البلدان . . . من الشام لبغداد الى
مصر فطوان ، مروراً بالسعودية والاردن وسوريا ولبنان ا

والآن ، ما هي الاهداف العربية السامية التي تستوجب قيام مثل هذه الحروب الحامية ؟
هل ان تأسيس « جبهة وطنية سعودية » في القاهرة من شأنه أن يطيح بحكم المملكة العربية
السعودية ؟

وهل قيام « لجنة مصر الحرة » في دمشق ، قادر أن يززع حكم عبد الناصر في القاهرة ؟

وهل ان اصرار كاتب التاريخ والطبري الحديث في جريدة « الاهرام » على تسمية سوريا بالاقليم الشمالي ، يجعل منها حقاً اقليماً شمالياً تابعاً للجمهورية العربية المتحدة ؟

وهل ان الذين انتفضوا على حكم الوحدة من السوريين هم جميعهم كزبريين عصاصيين حورانيين نحلاويين انفصاليين رجعيين خونة مارقين ؟

أي خير أصاب مصر وسوريا والعرب جميعاً من تجربة الوحدة الفاشلة ، كيما نعود الى التفكير بها مرة ثانية والعمل لها بالاساليب ذاتها والاشخاص أنفسهم والعقلية اياها ؟

ثم أما آن الاوان لفلاسفة القومية العربية وعباقره الوحدة العربية في القاهرة ، أن يستريحوا من عناء العمل بعد أن أدوا قسطهم للعلی وللإيجاد العربية ؟

أما آن لعبد الناصر أن يفتح عينيه جيداً على حاشية سوء وبطانة المنافقين من الجبهة اللعوقين ، الذين كانوا وما زالوا وزره الاكبر وخطيئته العظمى في كل ما لاقى من خطوب ومكاره ؟

و « مصر الثورة » التي تفتحت براعمها منذ عشر سنوات لتنتشر فوق كل سماء وعلى كل أرض شذى الحرية والعزة والكرامة .

مصر الثورة ، التي كانت قبلة الأحرار وكعبة الثوار . تتحول اليوم لتصبح هدفاً لكل طاعن وكل متهم !

مصر الثورة ، التي تمثلت في أحلام الاجداد وآمال الاحفاد . تتملاها القلوب والعيون وهي لا تصدق ، لانها فرصة العمر وفرحة العمر . . .

مصر الثورة ، من أجل من ولماذا قامت ؟

أمن أجل هذه المدرسة الحقة الصغيرة من السفلة والاوغاد ، التي زرعت نفسها في مصر وفي كل بلد عربي على اسم عبد الناصر تتاجر وتسمسر بأجناد عبد الناصر ؟

أم ان مصر الثورة قامت لتؤكد صيحة عبد الناصر التي أطلقها يوم قال « أرفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد » ؟

وأي استعباد وأي ذل أشد وأدهى من هذا المصير الذي صارت اليه ثورة عبد الناصر ؟

الخوف على عبد الناصر !

بيان المجلس الوطني لقيادة الثورة في دمشق ، الذي أذاعه الدكتور سامي الجندي وزير الاعلام ، رداً على خطاب الرئيس عبد الناصر ، أثار الدهشة والفضول والغربة في آن واحد . وقد كان بالامكان ان لا يثير شيئاً من هذا لو ان صاحب البيان هو الدكتور سامي الجندي شخصياً لا المجلس الوطني لقيادة الثورة في سوريا . ذلك ان العاطفة الشخصية والرأي الشخصي كانا ممثليين أصدق تمثيل في لهجة البيان الكتابية والخطابية ، اذ جاء وكأنه متمم للتصريح السابق الذي أدلى به الدكتور الجندي أول أمس ، والذي يشرح فيه عواطفه الناصرية قبل خطاب عبد الناصر وكيف اعتورها الوجوم والفتور و « التفكير مجدداً في الموضوع . . » ومن حق الدكتور سامي الجندي أن يعبر عن عاطفته بصديق وحرارة وبلا كلفة أو تعمل ، فليس وحده الذي حمل لعبد الناصر عواطف الاعجاب والاكبار . وليس وحده الذي أحس بالألم والمرارة .

وليس وحده . ولا حتى حزب البعث الحاكم في دمشق وبغداد الذي اشتكى من « اجهزة الاعلام الناصرية » التي اساءت الى عبد الناصر أبلغ الاساءة . ففي هذا الميدان ، ميدان الشكوى والعتب والتذمر ، متسع لجميع البلدان العربية من أقصى المحيط الى أقصى الخليج . وما من دولة عربية وما من مسؤول أو غير مسؤول ، الا ويبح صوته لفرط المنادة والتحذير ، من أجهزة السوء وبطانة السوء التي علقت بثياب عبد الناصر وأساءت اليه اساءات متكررة متشابهة متلاحقة ، هيهات لاشد الناس عداوة لعبد الناصر أن يقاربوها او يلغوا بعضاً منها . حكاية قديمة طالما رددناها منذ أكثر من ثمانية أعوام ، حتى أصبحت عاداتها مملكة ساذجة لا تختلف في شيء عن من يطحن الهواء أو يدق الماء .

ومع ذلك فان الدكتور سامي الجندي لم يشأ الا أن يعود مجدداً الى التحذير والتنبيه ، وإلى طحن الهواء ودق الماء . . . وصحيح أن صوته اللذيع كان أصدق شاهد على حرارة عاطفته وحرارة ألمه ، ومدى خوفه على عبد الناصر — الرمز — أن يضيق وتضيق معه فرصة العمر بتحقيق حلم الوحدة . وليس في العالم العربي اليوم من هو مؤهل لهذا العمل العظيم غير الشباب المثقف النير الذي استطاع ان يوطد دعائم حكمه على أرض صلبة ، في عاصمتين عربيتين عرفنا منذ القدم بأنهما أكثر العواصم العربية جموحاً وتعلماً وغلانياً .

كل هذا صحيح ، ولكن الصحيح أيضاً أن بيان المجلس الوطني لقيادة الثورة في دمشق ، قد أدخل في أذهان الجماهير العربية التي أخذت تراقب سير المعركة بحماس ورغبة ملحة لانتظار النتيجة النهائية التي تضع حداً فاصلاً لميوعة المعارك الخطابية والاعلامية .

أجل ، لقد جاء البيان ليزيد الناس غموضاً وإبهاماً ، وليمد في أجل الملاحاة والمداورات والمناورات والقتل والقيل والأخذ والرد ، هذه العدة الكسيحة التي كانت وما تزال أكثر العوامل في الهدم والتفسيخ والالهاء ، وبالتالي دفع الجماهير العربية الى متاهات أيسرها يضل ويبعد عن الهدف .

لقد أدخل البيان في روع المستمعين ، بأن حزب البعث بحاجة الى خطاب آخر من عبد الناصر يؤكد لهم فيه رأيه بهم « ويدوبل » مجدداً على جميع ما ذكرته أجهزة الاعلام بحقهم اذاعة وخطابة ، نشرأ وصحافة . . .

نعم أجهزة الاعلام ، التي يشكو منها البعث ويحاول جاهداً الفصل بينها وبين عبد الناصر ، وعبد الناصر يأبى كل الالباء أن يفصل نفسه عنها !

واذن ما العمل ؟ ما العمل والخوف على عبد الناصر ، يدفع بحزب قوي حاكم في أعرق بلدين عربيين ، الى تكرار الدعوة للالتقاء بعبد الناصر - الرمز - ولو على حساب سمعته كحزب قوي حاكم ؟

الخوف على عبد الناصر ، هي الثغرة الوحيدة التي يخشى على البعث منها ، لأنها نقطة الضعف لا في أذهان البعثيين بل في نفوس الناصريين أنفسهم ، الناصريين الشرفاء ، لا الحقراء العملاء ، الناصريين الذين يخافون على عبد الناصر ، لأنهم ما تاجروا يوماً باسمه ، والذين يمت أصواتهم ، وكان الصوت الذبيح ، صوت الدكتور سامي الجندى المعبر الصادق عن خوفهم وحسرتهم ومرارتهم !

كافر آخر !

هل صحيح ان حزب البعث حزب « فاشستي انفصالي رجعي طائفي عنصري اقليمي لا أخلاقي » ؟

وان البعثيين « غادرين ماكرين لا أخلاقيين مجرمين وحوش » ؟

وهل صحيح ان سوريا أصبحت في عهدهم تعيش في سجن كبير ، وان سجن المزة لم يشهد ما شهدته في عهد البعث من قتل وجلد وتعذيب ؟

وهل صحيح ان حزب البعث مفتر معتد أثيم ، وانه كان البادئ بالشر في حركة الانقلاب الاخيرة ، فتجنى على المواطنين السوريين المناضلين المجاهدين الوجدويين الآمنين الوادعين المسالمين ، وساقهم الى السجون والمحاكم ونفذ بحقهم أحكام الاعدام ظلماً وزوراً

وبهتاناً ، لا للذنب اقترفوه أو جريمة أقدموا عليها ، بل لأنهم أبطال مجاهدين مناضلين وحدويين شرفاء لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم ؟
لنسلم جدلاً ان حزب البعث فاشستي لا يؤمن بالقيادة الجماعية ، وانه انفصالي غير وحدوي ، وأنه رجعي لا تقدمي . وطائفي لا علماني ، وانحلالي لا أخلاقي .

وان قيادته الحزبية يجمع العاهات والعيوب والنقائص .
واذن ، فلماذا كانت المفاوضات والمحادثات معهم في سبيل اقامة الوحدة ؟ ؟
وكيف لم يفتن الشريك المفاوض الفطن الى حقيقة هذا الحزب الفاشستي الانفصالي الا لأخلاقي الذي وقع معه ميثاق ١٧ نيسان ؟
واذا تعذر قيام الوحدة مع حزب البعث ، فمع أي حزب أو هيئة أو تشكيلة في سوريا يتيسر أمر الوحدة ؟

هل تتم الوحدة مع أكرم الحوراني مثلاً أم مع عصام العطار أم مع رشدي الكيخيا أم مع خالد بكداش . . .

مع أي حزب من الأحزاب أو أي ذات من الذوات ؟
مع الاخوان المسلمين أم الشيوعيين أم الكتليويين أم الشعبيين . . . مع من ؟
من بقي غير هؤلاء في سوريا ؟

عفواً ، ثمة فئة وحدوية أخلاقية وطنية نسيناها . . . انها الفئة المسالمة الآمنة الوادعة التي حملت السلاح جهاراً ونهاراً وهاجمت دور الحكومة وتسببت بمقتل المئات من السوريين الابرياء...
انها وحدها الفئة المؤهلة لبناء الوحدة العتيدة ، وترسيخ دعائمها على أسس وحدوية وطنية أخلاقية ، وليس لغيرها من الهيئات والاحزاب السورية ان تتصدى للعمل الوحدوي !
ويا لقلوب البعثيين القساة العتاة . . .

يا لافتدائهم الغليظة وأكبادهم القاسية ، كيف طاعوهم قلوبهم أن يتصدوا لهم ، فيقمعوا فتنتهم ويقضوا عليها بمثل هذه السرعة غير اللائقة .

ثم يا للوحشية ويا للأسلوب الفاشستي النازي الفظيع . . . لقد ساقوهم الى سجن المزة نعم المزة التي كانت في عهد عبد الحميد السراج خميلة ولا كالحماثل واستراحة ولا كالاستراحات.
كانت المزة جنة عدن تحري من تحتها الأنهار فيها الحور العين والولدان المخلدون . . .
ثم انقلبت الجنة في عهد البعث الى سجن كبير ، الى جحيم لا يطاق . . . الى محكمة عادلة تخلي ساحة البريء وتأخذ بتلابيب المذنب المسيء !
فيا للهول ثم يا للهول ثم يا للهول . . .

يا لثارات « المزة » وقد كانت في طهارة المحارب أيام عبد الحميد السراج ، التي لم تشهد فيها تذويب فرج الله الحلو حياً في إحدى حمامات الدم ، والتي لم تترك فناً أو وسيلة أو اختراعاً الا وبرعت فيه وحذقته وأدخلت عليه المزيد من التجديد في فنون التعذيب والقتل والتمزيق !

• • •

ولكن ما لنا ولهذا الكلام . . .

« وليس يصح في الافهام شيء »

إذا احتاج النهار الى دليل »

أمامنا اليوم دليل آخر أشد سطوعاً من نور النهار . . . يكفي أن نقدمه لكل ذي عين وكل ذي قلب . انه التصريح الذي أدلى به الدكتور سامي الجندي ، الرجل الذي كان بعثياً حتى قيام الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨ ، ثم أصبح ناصرياً ، والذي سجن خمسة أشهر خلال عهد الانفصال بتهمة مساعدة العقيد السابق جاسم علوان على الهرب !

لنقرأه ولنعيد قراءته ملياً ولننوقف أمام عبارته الأخيرة التي يقول فيها :

« كنت أعتقد انني سأبقى ناصرياً لأنني أؤمن بأن عبد الناصر قائد عربي وحدي .

ولكنني الآن بدأت أفكر وأعيد النظر في الموضوع » !

صندوق العجب !

رحم الله زماناً كنا نقبل فيه ونحن صبية صغار على صندوق الفرجة أو « صندوق العجب » كما كان يسميه صاحبه ، فنتدافع ليظفر كل منا بمكان على المقعد الخشبي ، ولشاهد من خلال العين الزجاجية المكبرة الى عنتر عبس وسعد الزناتي خليفة والاسد الرهيص وعمرو بن ود العامري وجساس وسلاطين بني عثمان . . .

ويتولى صاحب الصندوق ادارة الفيلم المصور ، ويدور لسانه بشرح منغم ملحن لكل صورة نراها . . .

كدنا ننسى صندوق العجب وننسى معه البوق الذي ينفخ به صاحبه ليجمع الصبية حوله ، قبل أن يستوي واقفاً خلف آلهة السينما ويردد بصوته المعهود : « شوف تفرج آه يا سلام شوف أحوالك عالتمام . . شوف قدامك عجائب ، شوف قدامك غرائب ، يا حبيبي لو بتشوف ، شوف أحوالك عالمكشوف » !

حقه كدنا ننسى صندوق زمان لولا أن قبض الله لنا صندوقاً آخر ، هو صندوق آخر زمان ،
وأعني به هذه السلسلة العجيبة الفريدة من محاضر محادثات الوحدة وإنعم بها من محاضر وأكرم
بها من محادثات !

ولو ان هذه المحاضر حوت شيئاً يسيراً من التسلية والفكاهة بعد ان نخلت من الجدية
والرصانة ، لكان المصاب بها وبسلسلتها المخزية التي تحمل في ثناياها كل ما يؤلم ويعيب ويجلب
الحسرة في القلب والدمع في العين .

ولكنها مع ذلك ، مع فرط تفاهتها وانصراف الناس عنها ، وهي التي ما رفع الستار عنها
الا لتصرف أذهان الناس وعقولهم عما يدور حولهم ويحاك لهم في الخفاء من محن ومصائب
أيسرها يدمي وأدناه يدمع . . .

أجل مع كل ذلك فأنها ما تزال تنشر ويستمر عرضها على صفحات الصحف وفي
الاذاعات ، كأنها أشهر التمثيليات والنجح الافلام التي تتباهى دور السينما والمسارح باعادة
عرضها اسابيع وأشهر . . .

. . .

ترى أما من رجل رشيد في هذه الدنيا العربية يضع حداً لهذه المهازل والمآسي التي تحاول
أكل العقول وإماتة الضمائر ؟

أما من مسؤول في هذا العالم العربي يقنع أصحاب « صندوق فرجة » آخر زمان بأن الناس
قد أدركهم الملل والسأم من هذه السلسلة المؤذية والمخزية التي تتولى نشر التفاهات على العالم ؟
صندوق فرجة ؟

وأية فرجة هي هذه الفرجة التي نعرض أنفسنا وبلادنا ومستقبلنا على الناس لتكون مسخرة
وأضحوكة !

صندوق عجب ؟

وأي صندوق أعجب من هذا الصندوق الحديث ، صندوق محاضر الوحدة ومحادثات
الوحدة وأبطال الوحدة وزعماء الوحدة . . .

« اللهم اننا لا نسألك رد القضاء ولكننا نسألك اللطف به » !

الوحدة !

ما عرفت حزباً تسلح ببرودة الاعصاب وأوتي القدرة على ضبط النفس كحزب البعث .
برودة فاقت كل وصف ، وهزأت بأفخم وأشهر ثلاثيات العالم ، حتى لتبدو في بعض
المواقف والحالات ، وكأنها ضرب من الغباء العفوي أو السذاجة الفطرية المرسلة عن غير
قصد ولا تعمد .

ولعل هذا البرود الذي أطمع الناس بالبعث ، هو المبرر لسلسلة الفصول المتعاقبة التي
شهدناها وما نزال نشهدها لقصة الوحدة ، ابتداء من الوحدة الثنائية بين مصر وسوريا ، وانتهاء
بالثلاثية مع العراق .

فعملية السحل السياسي الذي عايناها البعث زمن الوحدة الثنائية ، أكسبته المزيد من
الصبر والمعاناة ، والمزيد من برود الاعصاب ، حتى اذا جاءت التجربة الثانية بمراحل الوحدة
الثلاثية التي ما تزال فصولها تمثل في الصحف والاذاعات ، أكسبته بروداً على برود وصقياً
على صقيع .

وعندما رفع الستار عن مسرحية المحاضر السرية ، حسب الناس ان البعث سوف ينبري
لرد عليها وتكذيبها أو على الأقل تصحيحها .

وتدافعت المحاضر تلحق بعضها يوماً بعد يوم وأسبوعاً بعد أسبوع وصحيفة بعد صحيفة
ولساناً بعد لسان وإذاعة بعد إذاعة ، والبعث صامت لا يتكلم الا بمقدار ، هذا إذا تكلم !

ولس الرأي العام العربي بما لا يدع مجالاً للشك والابهام ، أن المحاضر التي تنتشر هي أما
مجتزأة أو ناقصة أو مختصرة أو مشوهة ، تبعاً للأنامل الرشيق التي تناولتها بالشطب والتحريف
والزيادة والتحوير . بل انها باقت في الآونة الأخيرة مثارا لتفككه الناس وتندروهم لما حفلت به
من طرائف العبث وأفانين المسخ والاختلاط . . فالاستاذ ميشيل عفلق تبيين من المحاضر انه
كان يتكلم باللهجة المصرية وعلي صالح السعدي يتحدث باللهجة السورية وفهد الشاعر يتكلم
بلهجة أهالي بغداد .

بل ان المحاضر كانت تجري على لسان المفاوض السوري بجميع اللهجات الثلاثية
المصرية والسورية والعراقية في آن واحد . . . مع العلم بأننا لم نعر في كل المحاضر السرية
التي نشرت ، على مقطع واحد أو جملة واحدة سليمة واضحة مفهومة كاملة المبني والمعنى ،

نطق بها مفاوض واحد من المفاوضين السوريين والعراقيين . . .

وعبثاً يحاول من يفتش في خضم المحاضر وسبورها على جملة مفيدة غير مفككة نطق بها ميشيل عقلق أو صالح السعدي أو سواهما من المفاوضين . . .

ونحن نعلم كما يعلم الرأي العام العربي أن رأسمال البعث والبعثيين هو هذا الذي حرمنه منهم المحاضر السرية ، ونعني به فن الكلام وتوضيح الأفكار ، خاصة وأنهم ما زالوا يعيرون على ميشيل بأنه فيلسوف - ويا لها من سبة - ويتهمون البعثيين بأنهم تلامذة أمام أساتذتهم . . .

واذن ، فماذا يبقى من الفيلسوف اذا هو لم يتقن فن الكلام ؟

وماذا يبقى من الأساتذة - ولا نقول التلاميذ - اذا هم عجزوا كما أثبتت المحاضر عن الكلام الواضح المفيد ؟

وتكلم الناس ، جميع الناس ، وتندروا بهذه المفارقة التي حفلت بها سلسلة مفارقات ومتناقضات المحاضر ، وسكت البعث سكوتاً خيل لنا معه ان ما ورد في المحاضر وما دار على ألسنتهم حقيقة واقعة لا زيف بها ولا تزوير أو تحوير . . .

وأخيراً ، وبعد طول استخارة واستشارة قرر البعث المسؤول أن يفتح فمه ويتكلم . . .

فقد صرح أمس ناطق رسمي باسم المجلس الوطني لقيادة الثورة في سوريا بأن ما نشر من وقائع جلسات محادثات الوحدة الثلاثية في الأهرام ، وأذاعته عنها محطات الاذاعة في القاهرة هو تسجيل ناقص نزعته منه بعض المقاطع بشكل لا يبرز وجهة نظر الوفد السوري في بعض الاحيان ولا سيما بعض الوقائع التي حدثت أبان فترة الانفصال وجرى الحديث حولها وحول بعض الأشخاص .

وهنا ، يشعر البعث المسؤول إنه أفرط في الكلام ، وإنه خرج على البرود التقليدي فيسارع للاعتذار قائلاً :

« لقد كنا نريد أن لا نتناول الموضوع من قريب أو بعيد ولكن الواجب علينا أمام الرأي العام أن نشير إلى أن المباحثات التي جرت في القاهرة أثير فيها أكثر من موضوع لم تسجله المحاضر المنشورة والمذاعة ، مع العلم أن هذه المواضيع ليست عسكرية لتطوى من الاذاعة والنشر » ا

الوحدة !

في كل يوم يقترب فيه موعد الاستفتاء على الوحدة والدستور وانتخاب الرئيس ، ترتفع حمى المظاهرات والشتائم ، وتوالي الصحف نشر المحاضر السرية وكأنها سلسلة من روايات الجيب ، أو من الأفلام المتسلسلة التي كانت دور السينما فيما مضى تتولى عرضها على الجماهير أساييع وشهوراً مع فارق واحد هو أن الروايات والأفلام مسلية إن لم تكن مفيدة ، والمحاضر التي تنشر هذه الأيام ليس فيها ما يفيد أو يسلي ، على العكس ، فيها كل ما يؤلم ويعيب ، وينكس الرأس حياءً ونحجلاً !

لم تعد قصة المحاضر كقصة عنتر أو سعد الزناني خليفة . أو قصة جساس قاتل كليب ، بل باتت ضرباً من طق الحنك ومضغ الكلام الفارغ الذي لا طائل تحته ولا جدوى وراءه ، وليس فيه ما يسلي ويفيد أو على الأقل ما يدفع السأم والملل عن النفوس . . .

والمحزن المؤسف أن يفتح العرب عيونهم على أمر الوحدة ، ليجدوها ملهية ومضبعة للجهد ، وأداة لقتل الوقت ، وليجدوا أبطالها ورسلاها ، وقد كانوا في مخيلة الناشئة العربية أنبياء وأنصاف آلهة ، فاذا بهم دون ما كانوا يحلمون به ، واذا بالوحدة العربية — هذا الحلم الكبير — يتحول بين أيدي الأنبياء وأنصاف الآلهة الى سلعة وهمية مزعومة تعرض في أسواق المزايدات والمناقصات كما تعرض السلع التي تخضع للبيع والشراء والمزايدة والمناقصة . . .

ولست أدري ، وما أحسب أن أحداً يدري ، كيف يمكن أن يأتي يوم ١٧ أيلول القادم ، وهو موعد الاستفتاء على شخص رئيس الدولة الاتحادية الثلاثية ، ولا كيف يمكن قيام الاستفتاء مع قيام هذه الحرب الضروس المستعرة بين دول الوحدة الثلاث : القاهرة ودمشق وبغداد ؟ قد يقول قائل «رب ضارة نافعة» فكشف الستائر عن مباحثات الوحدة ونشر محاضرها ، قد أتاح للرأي العام العربي أن يقف على مبلغ الركافة والمزل وتدني مستوى المحادثات التي جرت في جو مشحون بالسخف ، مشحون بالخوف ، مشحون بالمهاترة ، مشحون بالحنر والريية .

واذاعة المحاضر ونشرها في الصحف ، كان عملاً أفاد الشعوب العربية وبصرها بالحقائق عارية ، عربي المحاضر وبعدها عن الجدية والرصانة والوضوح .

والحق أن الرأي العام العربي بات يتساءل أهى محادثات وحدوية تقوم بين دول ثلاث ، أم هي مهاترات ومشاحنات يقوم بها أفراد من الجيران المتخاصمين في أحد الاحياء الوطنية ؟ أهذا هو المستوى الرفيع العماد الذي ستنبنى على سننه صرح الوحدة العربية وتشاد على

أسسه دعائم وحدة ثلاثية عربية اشتراكية ؟

ان أنفه محضر في أبوخ جلسة من جلسات الجامعة العربية التي كانت تعقد قبل عشر سنوات ، يعتبر آية في السمو والرفي إذا ما قيس بهذا الكلام البارد الغث الذي ينشر هذه الأيام والذي يسمى محاضر الجلسات التمهيدية لقيام الوحدة العربية !

أين اجتماعات الجامعة العربية ؟

أين مؤتمر الملوك والرؤساء ؟

أين اجتماع الاسكندرية وبروتوكول الجامعة العربية ؟

بل أين محاضر الطلاب العرب عام ١٩١٤ في باريس عندما قاموا يطالبون بالوحدة العربية منذ قرابة نصف قرن ؟

أين وأين ثم وأين من هذه المحاضر التي تنشر علينا ، على أنها نواة الوحدة العربية المرجوة وصخرة الاساس لبنائها العظيم ؟

حقاً لقد هزلت حتى بان من هزالها كلاها !

سُورِيَا

من كان منكم بلا خطيئة !

لعل من أغرب القضايا التي تعرض على محكمة من المحاكم ، هي القضية التي تنظر فيها المحكمة العسكرية في دمشق بشأن الانقلابيين العسكريين الذين فصموا الوحدة السورية المصرية .

وليس أغرب من محاكمة هؤلاء الضباط الا سوق الرئيس ناظم القدسي ليحاكم بالتهمة نفسها ، وجميع السوريين يعلمون جيداً ان آخر من ينبغي أن توجه اليه التهم هو الدكتور ناظم القدسي ، الذي أعلن اعتزاله العمل السياسي مراراً وتكراراً وغادر دمشق الى حلب ليتعبد نهائياً وليكون بنجوة من أعاصير السياسة وتقلباتها . ولكن رجال الجيش أبوا على الرجل عزله وذهبوا اليه يتوسلون أن يقبل منصب الرئاسة نزولاً عند مصلحة البلاد .

وتشهد سوريا ، بل تشهد مصر نفسها التي عفت عن طعن وتجريح الرئيس القدسي ، بأن هذا الرجل لم يكن له أي حظ في عمليات التخريب التي قامت على اسم الوحدة في سوريا لا قبلها ولا بعدها . فالقرف والاشمئزاز اللذان سيطرا على الدكتور القدسي ، جعلاه يبتعد تماماً عن المشاركة في أي عمل من الاعمال التي قادت سوريا نحو البلبلة والفوضى ، سواء في عهد الوحدة أم في عهد الانفصال . وما كان بقاء الرجل في كرسي الرئاسة الا استجابة لرغبة رجالات سوريا العسكريين والمدنيين على السواء ، الذين ألحوا عليه قبول المنصب فقبل على مضض كارهاً زاهداً .

وأدعى للغربة من هذا ، التهمة الموجهة الى ناظم القدسي ، وهي التي توجهها القاهرة الى حكومة البعث ، وأعني بها تهمة الانفصال ورفض الوحدة الثنائية الفاشلة مع مصر — سبب الازمة الحالية القائمة بين الفريقين .

إذا كان ثمة من أسباب وتهم أخرى يمكن أن توجه الى العسكريين ، ولا نقول الى الدكتور ناظم القدسي وحده — فعلى المحكمة أن تحددها وتجعلها قاعدة للاتهام والمحاكمة .

أما أن تكون تهمة الانفصال هي وحدها العدة والسلاح في تجريم المتهمين ، فذلك ما يأباه المنطق ولا تقره أبسط البديهيات . بل ان التهمة تبدو أقرب الى رجال الحكم الحاليين في سوريا وعلى رأسهم الضباط الذين يجلسون اليوم في كراسي القضاء . فالكل سواء في رفض الوحدة الثنائية ، والكل سواء في طلب الانفصال الذي أراده العسكريون والمدنيون ، وليس ناظم القدسي أو خالد العظم أو أكرم الحوراني أو حيدر الكزبري أو موفق عصاصه ، هم وحدهم الذين نادوا بالانفصال وعملوا على تحقيقه .

فما هي الحكمة الخافية اذن من وراء هذه التهمة وهذه المحاكمة ؟

إذا كان الأمر تأكيداً لطلب الوحدة وشجياً لعملية الانفصال ، فليس حزب البعث بحاجة إلى مزيد من التأكيد بإيمانه بالوحدة وبعده عن الانفصال .

وإذا كان الأمر عقدة خوف ما تزال تهوم فوق الرؤوس وتفرض سحرها وسلطانها على النفوس ، فلقد تجاوز البعث هذه العقدة - المرحلة وقطعها أشواطاً بعيدة بعد أن قطع الأذنان والأذيال ووضع يده على الجذور والرؤوس ليستأصلها وينتهي من شرورها مرة واحدة وإلى الأبد .

ولقد استتب الحكم للبعث وقويت شكيمته وهو في طريقه إلى إرساء الحكم على قواعد ثابتة راسخة ، فأين هي عقدة الخوف ، بل مم الخوف إذن ؟

إذا كان طلب الانفصال الذي تم بانفصام الوحدة السورية المصرية يعتبر جريمة تعرض صاحبها للسجن وللشوق أمام المحاكم ، فما أحسب أن سوريا بل عربياً مخلصاً لبلده وعروبته إلا مدعو اليوم للوقوف أمام محكمة دمشق جنباً إلى جانب ناظم القدسي وحيدر الكزبري وغيرهما من المدنيين والعسكريين الذين عملوا على إنهاء حكم الوحدة الفاشلة المخربة .
وأما إذا كان في الأمر خافية لا نعلمها فلتعلنها محكمة دمشق قبل أن تشرع في محاكمة المتهمين ، وإلا صح فيها القول :

« من كان منك بلا خطيئة فليرجمها بحجر أولاً » .

سرد من التاريخ !

بين الكتب القديمة التي تحمل في طياتها أبلغ العبر ، كتاب « حوادث دمشق اليومية » لصاحبه الشيخ أحمد البديري الحلاق .

ولقد نشرت في عدد مضى نموذجاً عن محتويات « حوادث دمشق » للمؤلف .
وأشر اليوم جانباً مما جاء في مقدمة الكتاب بقلم منقحه وصاحب مقدمته الشيخ محمد سعيد القاسمي .

ولست أدري إذا كان ولاية دمشق وحكامها سواء السوريين أم غير السوريين ، ممن تقلبوا على كرسي الحكم فيها ، قد أطلعوا على هذا الكتاب ، ليأخذ الخلف منهم العبرة والدروس ممن سبقهم من السلف . . .

أكبر الظن أن الحاكم ، أي حاكم ، تدرس بحكم دمشق ، كان يعد المليون لا العشرة قبل أن يفكر بتولي مقادير الأمور في دمشق . . .

وتعالوا نقرأ فصلاً من فصول « الحاكين والمحكومين » في عاصمة الأمويين !
يقول الشيخ محمد سعيد القاسمي في مقدمة كتاب « حوادث دمشق اليومية » عام ١٧٦٢ .
« وقد قام المجتمع في دمشق وفي غير دمشق من الولايات العربية ، على وجود هيأتين
كبيرتين منفصلتين إحداهما عن الأخرى : هيئة الحاكين وهيئة المحكومين .

وقد حاولت الدولة منذ أصطنعت - أو أقرت - هذا النظام ، أن تجعل الحظ بين هاتين
الهيأتين حاداً . فالهيئة الأولى من العسكر ، يحملون لواء الجهاد والدفاع ، قامت الدولة على
إعدادهم للاضطلاع بالمهمة الكبرى التي تنتظرهم ، فجعلت منهم أداة حرب ، ثم كانوا
في الوقت نفسه أداة حكم معاً . والفصل بين الاديانت كان غير معروف وغير مفهوم . واستمر
ذلك حتى القرن التاسع عشر حين بدأت الدولة تصطع للحكم والادارة في المركز والولايات
ادوات أعدت خصيصاً لهذه الغاية . عندئذ نشأ الانفصال بين أداة الحرب وأداة الحكم .
وقد ترتب على ذلك أن أضيفت على هذه الهيئة - هيئة العسكر - امتيازات جعلت من
أفرادها طبقة ممتازة في المجتمع الذي يعيشون فيه

ولكن الخط الفاصل بين الهيأتين أو الطبقتين لم يعد - بعد اختلال أمر العسكر وبيع
المناصب - حاداً . حقيقة ظل انفصال المجتمع الى هيأتين : حاكين ومحكومين ممتازين
وغير ممتازين - قائماً ، ولكن لم يعد من الممكن الفصل الحاد بين الهيأتين . . .
وما ان ينتقل أفراد من طبقة المحكومين الى طبقة الحاكين ، حتى يصطنعوا عقليتها
وأساليبها ويذهبوا في التشبث بامتيازات الطبقة الى أبعد مدى . ومن هنا استمرت الفكرة السائدة
عند الطبقة الحاكمة ، فكرة الاستعلاء والسيطرة وعدم التخرج عن استغلال الرعية . بل كان
استعلاؤهم وسيطرتهم أشد وأعنف . وكان لا بد أن يمضي زمن طويل نجد فيه عوامل أخرى
على المجتمع حتى يمكن أن تقوم على هاتين الهيأتين هيئة واحدة ، فيتحول الرعايا جميعاً
حاكين ومحكومين الى مواطنين .

ولكن هذا الاستعلاء وهذه السيطرة لم يقابلها كفاءة في الحكم ، ومرد ذلك الى ما قلناه
من أن هذه الهيئة - هيئة العسكر - أعدت للحرب والجهاد ، ولم تنظم لتحمل مسؤوليات
الحكم وأعبائه ، وظلت الصفة الحربية ملازمة لها ، أي ظلت أداة حرب أكثر منها أداة حكم ..
إن قوة الدولة كما تبدو في القرن الثامن عشر كانت قوة مصطنعة أكثر منها حقيقية استمدتها
من أساليب الغدر والكيد والتأليب والاثارة ، لهذا لا عجب اذا شعر الجميع في مثل هذا المجتمع
بفقدان ضمانات العمل والسعي للكسب ، بل ضمان الحياة نفسها ، وأكبر مثل صارخ
لما نقول المصير الذي لقيه أكثر باشوات الشام ، فقد انتهت حياتهم بالنفي والقتل والمصادرة ،

رغم الخدمات التي أدوها للدولة وللولايات التي حكموا فيها ورغم ما جمعوا لانفسهم من أسباب الثروة والقوة ، والدولة ترخي لهم حبال الأمل وتدعهم يجمعون ما يجمعون ، وهي واثقة ان هذا سيؤول اليها .

قال باشا صيدا لاسعد باشا العظم عندما رآه يشن على الدروز حرب تخريب وإبادة . فنصحه بالكف عن ذلك قائلاً له : « هذا أمر يعود علينا وعليك بالخراب والتلف ولا ترضى الدولة به ، لأنهم يريدون العمار للبلاد ويكرهون الجور والفساد . قادرون على إرسال عشرة وزراء بيوم واحد ولا يقدرين أن يعمرن في عشر سنين قرية إذا خربت » . ولكن أسعد باشا عائد واستمر في الحرب ضد الدروز ، وانتصر عليهم . وجمع الثروة الطائلة وبني العمائر الشاهقة واستكثر من أسباب القوة وحج بالناس أربع عشرة حجة في أمن وسلام .

ولكن هذا كله لم يشفع له . فاذا بالنجم يهوي فينقل الباشا من دمشق فجأة ثم يقتل وتصادر أمواله وأملاكه . ولم تغن عنه شيئاً . ولم يكن حظ الذين سبقوه أو خلفوه في ولاية دمشق وغيرها من الولايات خيراً منه » .

سرد حكاية قاضٍ !

« حوادث دمشق اليومية » كتاب صدر عام ١٧٦٢ أي منذ مائتي سنة . وصاحبه رجل نصف أمي اسمه الشيخ أحمد البديري الحلاق ، من أهالي دمشق وقد سمي بالحلاق نسبة الى مهنة الخلاقة التي كان يتعاطاها المؤلف .

والكتاب عبارة عن يوميات أو مذكرات سجلها الحلاق عن الحياة اليومية في دمشق ، ومشاعل أهلها وهمومهم .

وقد ضم الكتاب مجموعة من الطرف والحكايات يتخيل لمن يطالعها أن شيئاً ما لم يتغير في دمشق وطباع أهل دمشق ، حتى ليحسب السوري انه يعيش في هذا الزمن ، كما كان يعيش أجداده وأجداد أجداده من قبله منذ مائتي عام !

فأسلوب الولاة في الحكم وتصرف الرعية مع الولاة والحاكين يكاد يكون صورة طبق الأصل عن تصرفهم ونظرتهم في هذه الأيام .

وكتاب « حوادث دمشق اليومية » يعتبر طرفة من الطرف بالرغم من ركافة أسلوب مؤلفه وسذاجته ، وأمانته في ذكر التفاصيل وتسمية الأشياء بأسمائها .

ولقد أحببت أن أنقل شيئاً من هذا الكتاب ، لا لأنه يعكس صورة صادقة عن « حوادث دمشق اليومية » منذ مائتي عام ومطابقتها لما يجري في هذه الأيام وحسب . بل لأخفف من غلواء الأعراء الأحباء أهالي حمص . الذين أغضبتهم كتاباتي الأخيرة واعتبروها ماسة بهم وبما اشتهر عنهم من ذكاء والمعية . . .

ويبدو أن أكثر ما أفاظ لإخواننا أهالي حمص أنني نقلت حكايتهم يوم خرجوا لاستقبال المتصرف العثماني بالصرماية الحمراء والقبقاب الخشبي على نحو ما ذكرت الحكاية ، ونأقل الكفر ليس بكافر !

ولقد ذكرت هذه الواقعة على أثر مقررات مؤتمر حمص التي أقاموا الدنيا من أجلها ثم قعدوا بعدها ، دون أن ندري أين هي مقررات حمص وماذا فعل الله بها . . . بل ما هي المقررات نفسها ؟

وتهدئة لخواطر الأعراء أهالي حمص وتطميناً لهم . أسوق اليهم حكاية قاضي الشام الذي ذهب في ساعة غضب إلى المحكمة « بيده طبنجة وفي رجله الواحدة بابوكة والثانية حافية ... » ولأهالي حمص العزاء ولهم أسوة حسنة بالقاضي محمد أفندي بشمقجي زاده . . .

وإذا كانت مقررات حمص قد أغضبت أهالي حمص . وهي المقررات التي لا يعرف حقيقتها حتى أهالي حمص أنفسهم . فأجدر بأهالي دمشق أن يغضبوا من أنفسهم على « عاداتهم القديمة » التي اعتادوها ، وهي الانقلاب على الحكام وعدم تمكنهم من حكم أنفسهم وانفقتهم من أن يحكمهم أحد .

وقديماً قالوا « عادة في البدن لا يغيرها إلا الكفن » والله أعلم !

. . .

« وكانت هلة رمضان هذه السنة ، وقبل رمضان بيومين خرج قاضي الشام السيد محمد أفندي بشمقجي زاده . خرج إلى الصالحية مع حريمه ، ثم رجع في وقت العصر من الصالحية وحريمه معه ، وهو شاهر السلاح بيده طبنجة ، وفي رجله الواحدة بابوكة والثانية حافية بلا بابوكة ، وقد جرح من جماعته شخص ، ولم يزل على هذه الحالة حتى وصل إلى المحكمة ثم تبين أنه سكران . . .

قال المؤرخ : قد فحصت عن سبب نزول القاضي بهذه الكيفية فبين الأمر بخلاف ما ذكرنا من كونه سكراناً ، وإنما هو من حدة مزاج وقع منه ، والسبب في ذلك أنه كانت له سرية (أي جارية) وكان مغرباً بها حتى طلق زوجته لأجلها ، فأرادت زوجته أن تنكد عيشه ، فيوماً من الأيام جاء بعض ضيوف بلحارته التي يحبها . فأرادت أن تضع أمام الضيوف طعاماً

ودجاجاً وغيره من الذي هبأه القاضي للغداء في الصالحية ، فمنعتها زوجة القاضي ، وكانت غير سخية ، فلما جاء القاضي عرفته جاريته بذلك ، وانها لم تضع أمام ضيوفي طعاماً ولا غيره ، ثم صارت تبكي وكان القاضي يحبها فوق العادة ، فقام على زوجته فطلقها . لما قيل أن ذلك سبب طلاقها ، وقام على خدامه فجرد عليهم السلاح وأمر الحريم بالنزول ، وطلب هو المركوب فأبطأوا ، ثم وجد فرقة فنزل بها الى الجسر ، ثم ركب ونزل للمحكمة على تلك الحالة ، فأظهرت لأعدائه انه سكر والأمر بخلافه . ثم ما كفى زوجته التي طلقها هذا الفعل ، حتى اشتكت عليه إلى الدولة العلية ، فجاء الأمر بفرمان عزله وبنفيه الى جزيرة قبرص وبضبط ماله جميعه لزوجه فباعوا جميع متروكاته وأخذوا جميع ما عنده من مال فبلغ ثمانية أكياس . فأعطوهم الى زوجته المطلقة وكان ذلك بأمر من الدولة ، ثم تأسفت عليه غالب الناس غير الذين لهم أغراض لما كان عليه القاضي المذكور من الاستقامة والقناعة والتواضع والسخاء الكثير حتى انه في شهر رمضان كان يأكل قنطار من السمن ، ومن الأرز مثل ذلك ومن اللحم كذلك ، حتى انه على الأقل يوجد عنده في رمضان نحو ثلاثين ما عدا الفقراء والمساكين .

ولما كان لا يأخذ الرشوة ولا يميل في دعوى ، مالت أهل الشام عليه مع زوجته حتى سعوا بعزله كما هي عادتهم قديماً .

من كتاب حوادث دمشق اليومية عام ١٧٦٢ صفحة ١٣١ .

روزنامة ساعرة !

بعد عمر طويل ، وبعد الانتهاء من سلسلة الانقلابات — هذا إذا قدر للانقلابات في دمشق أن تنتهي — سيباهي السوريون العالم بأنهم ضربوا الرقم القياسي بالانقلابات . وستكون مفخرة سوريا في عصرها الحديث ، روزنامة تحمل السجل الذهبي لتاريخ الانقلابات التي وقعت في أقل من ربع قرن . . .

روزنامة لا تختلف كثيراً عن الروزنامات التي نشاهدها في المكاتب وعلى الجدران تحمل صور الزعماء والقادة والرؤساء والوزراء والنواب ، بل والوجهاء وأصحاب نقابات الأفران والحرف المختلفة ، على نحو ما نشاهد من مختلف الروزنامات العصرية الزاهية الألوان المتعددة الرسوم والأشكال .

والروزنامة السورية التي أفترض صدورها بعد عمر طويل لن تحتاج الى تصريح أو إجازة ، باعتبار أن أحداً لا يعرف متى يقوم انقلاب جديد ، وتقوم معه الضرورة بتبديل وتعديل الروزنامة . . .

والروزنامة السورية العتيدة ستكون طرفة من الطرف وبدعة من البدع ، لأنها سوف تحمل
بالإضافة الى تاريخ كل انقلاب رسم صاحبه بيزته وشاراته وأوسمته وعبسته أيضاً . . .

ولسوف يذكر تحت صورة « البطل المنقلد » عبارة مناسبة كالعبارات التي كانت تنقش
في الماضي على العملة القديمة . . . كأن يكتب مثلاً « عز نصره ضرب في دمشق » أو « ضرب
في حلب » أو « ضرب في حمص » أو « ضرب في حماه » أو « ضرب في المزة » . . . أو
« ضرب في ساحة المرجة » . . . مثلاً !

وسوف يلصق في قفا صورة كل بطل انقلاب صورة أخرى لمن كان وراءه — أعني
وراء الانقلاب — وليس ضرورياً أن تكون الصورة الخلفية المستترة صورة شخص معين بل
قد تكون رمزاً لدولة معينة . . . أو عملة معينة !

وتسهيلاً لمهمة من سيقوم على أمر هذه الروزنامة السورية العتيدة أحببت أن أقوم بتاريخ
الانقلابات التي تمت في سوريا خلال الثلاثة عشر عاماً فقط . . . والانقلابات التي ستحدث
بعد هذا التاريخ يمكن إضافتها بيسر وسهولة مع إضافة صورة شمسية أو غير شمسية لصاحب
الانقلاب !

انقلاب حسني الزعيم :

في ٣٠ آذار عام ١٩٤٩

انقلاب سامي الحناوي على حسني الزعيم :

١٤ آب عام ١٩٤٩

انقلاب أديب الشيشكلي على الحناوي :

١٦ كانون الأول ١٩٤٩

إنقلاب آخر للشيشكلي على حزب الشعب والإطاحة بهاشم الأتاسي والدكتور القدسي

في ١٢-٣-١٩٥١

انقلاب مصطفى حمدون على الشيشكلي وإنشقاقه في حلب

في أوائل شباط عام ١٩٥٤

مقتل عدنان المالكي عام ١٩٥٥

تنحية شوكت شقير عن رئاسة الأركان .

مؤامرة عام ١٩٥٦

المؤامرة الشيشكلية الحسينية عام ١٩٥٧ وتسلم عفيف البزري رئاسة الأركان .

حكاية الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨

إبعاد عفيف البزري في بداية عهد الوحدة عام ١٩٥٨
 تنحية الوزراء البعثيين في أواخر عام ١٩٥٩
 تنحية النفوري وأحمد عبد الكريم عام ١٩٦٠
 تنحية عبد الحميد السراج عام ١٩٦١
 انقلاب ٢٨ أيلول ضد عبد الناصر
 انقلاب ٢٨ آذار
 عصيان حمص وحلب
 مؤتمر حمص وسفر أهل انقلاب ٢٨ آذار الى جنيف
 عصيان حلب على مقررات حمص
 سيطرة موفق عصاصه ورفاقه على الأركان لمدة يومين
 سيطرة أتباع مؤتمر حمص وإخراج موفق عصاصه .
 . . . والبقية تأتي !

شيشكلي جديد !

الحلقة المفرغة التي وجد أهل الانقلاب في سوريا أنفسهم يدورون فيها غداة الانقلاب :
 ما تزال هي هي ، وما زالوا هم أنفسهم يدورون وسطها ولا قرار ولا استقرار .
 فالسياسيون المدنيون الذين « خانوا الأمانة » كما اتهمتهم وما تزال اتهمهم القيادة العسكرية ،
 والذين سيقدّمون للمحاكمة على نحو ما صرح اللواء زهر الدين رئيس الأركان في مؤتمره الصحفي
 أمس .
 هؤلاء السياسيون المدنيون سيكونون بمثابة « الفزيرة » التي توضع على شجرة التين لاختافة
 العصافير وطردها . . .

ذلك أن مصير « الطقم » الجديد من السياسيين الذين سيتولون الأحكام ، لن يكون خيراً
 من مصير أسلافهم . ولن يعدوا بياناً تصدره القيادة العسكرية في ٢٨ أي شهر قادم تعلن فيه
 تنحيته عن كراسي الحكم واحتجازهم في سجن و مستشفى المزة لأنهم « خانوا الأمانة » .
 التهمة التي باتت « كليشية » في كل انقلاب عسكري !
 ثم يقف أهل الانقلاب من الضباط يؤكدون ويعلنون على رؤوس الأشهاد بأنهم « زاهدون
 في الحكم » « عائدون الى الثكنات » وأنهم ما أقدموا على ما أقدموا عليه إلا حرصاً على الوطن

ومصلحته ودفعاً لأذى رجال السياسة الذين « خانوا الأمانة » . . .

وتعود حليلة إلى عاداتها القديمة ، وتعود معها الحكاية التقليدية للانقلاب . بنصولها وحوادثها وديكورها وإخراجها مع اختلاف المخرجين والممثلين الذين يتبادلون الأدوار كل حسب قدرته على التمثيل وقوته على الصمود ومواجهة الجماهير !

ولكن إلى متى تدوم هذه التمثيلية ؟ كل الدلائل تشير إلى أن الشعب في واد والذين يتناوبون على المسرح السياسي في واد آخر . فلقد ملت آذان السوريين العبارات التقليدية والشعارات الزائفة التي تبطن غير ما تعلن . وتعلن غير ما تبطن .

وليس يفيد الشعب السوري ولا الحكم في سوريا غير الصراحة والوضوح ، وتكذب اللف والدوران الذي لف سوريا وما يزال بالظلام والغموض والاباء !

ماذا يريد أهل الانقلاب ؟

ما من أحد يستطيع أن يضع أصبعه على حقيقة واحدة بالرغم من انقضاء هذه الفترة على الانقلاب الأخير ؟ لسنا نعلم ونحن في لبنان على مرمى نداء من دمشق . ماذا يجري بدمشق ؟ بل إن دمشق نفسها ، وحتى أهل الانقلاب فيها لا يعرفون ماذا يريدون ولا أي مركب يركبون .

يريدون الوحدة . ولا يريدون الوحدة .

يجبون عبد الناصر ، ولا يجبون عبد الناصر .

يريدون البقاء في الحكم ويريدون العودة إلى الشكنات . . .

يجبون الحرية ويكرهون الحرية .

يريدون عودة رجال السياسة « الذين خانوا الأمانة » ولا يريدون عودة السياسيين الذين

خانوا الأمانة !

يجبون أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ولكنهم لا يستطيعون أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم .

يريدون أن لا يحكمهم الغريب ويطالبون بأن يحكمهم الغريب !

يكرهون اليمين وأهل اليمين ولا يجبون اليسار وأهل اليسار .

مع أنفسهم وضد أنفسهم

مع الغريب وضد الغريب

وهلم جرا وسحباً إلى آخر المفارقات والمتناقضات التي برعت فيها دمشق واختص بها

الدمشقيون حتى أوشكوا أن يكونوا أساتذة العالم في جميع الأقطار في هذا « الكار » !

. . .

واذن ماذا يتفقد سوريا من هذه « اللخبطة » العجيبة ولو لفترة من الزمن ؟
ان ما تفتقر اليه سوريا في هذه اللحظات الحاسمة رأساً يبرز ليقود ، سيداً يأمر ليطاع .
ما تفتقر اليه سوريا شيشكلي جديد ولا أقول حسني زعيم جديد !

هذا الظلام !

« رب يوم بكيت منه فلما
صرت في غيره بكيت عليه »

• • •

عودة الدكتور ناظم القدسي الى الحكم ، تبدو النتيجة الحتمية للصراع الخفي المستتر القائم في سوريا بل هي الخروج من المأزق الكبير الذي وضعه أصحاب الانقلاب بأنفسهم ، ثم راحوا يبحثون في خضم خلافاتهم عن حل دون أن يهتدوا إلى ذلك سبيلاً .
والظلام الذي يلف سوريا بالغموض والتكهنات والشائعات ، من شأنه أن يزيد في حدة الأزمة المستعصية الحل . فليست المشكلة التي تواجهها سوريا في هذه الأيام كالمشكلات التي واجهتها طوال الأعوام الثلاث عشرة الماضية التي تمرست بالانقلابات وتمرست الانقلابات فيها حتى تمرست ، وأصبحت وكأنها صفة لازمة للحكم في سوريا .
وليس سوريا جمعية سرية يصح أن تتستر على أعمالها ، أو هي جمعية خيرية يجوز لها أن تعمل بالحديث الشريف « واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » .
ذلك أن كل يوم يمضي وكل ستار يسدل على ما يجري وراء الحدود السورية ، من شأنه أن يهدد الحدود ذاتها ويهدد الوطن في صميم كيانه .
فالتيارات المتضاربة ، والأهواء المختلفة ، والمصالح المتشابكة ، وفوضى النزعات والميول ، وحدة الخصومة ومراره الأحقاد . كل ذلك من شأنه أن يزيد في المضاعفات التي يواجهها السوريون والتي يقفون ازاءها حيارى لا يعلمون ماذا يصنعون .
صحيح أن سوريا قد أثبتت ومنذ عهد بعيد انها لا تستطيع أن تحكم نفسها ، وانها لا تطيق أن يحكمها غير أهلها . ولكن هذه الحيرة التي تواجهها اليوم تختلف عن أية حيرة واجهتها قبل اليوم . والقلق الذي استحوذ على أهلها فقسماً شيعاً وأحزاباً وطوائف ودولاً وشعوباً ورايات متعددة مختلفة ، يختلف عن أي قلق عرفته في الماضي .
وعودة الدكتور ناظم القدسي ، الذي جيء به رغم أنفه ، وأقصى عن الرئاسة ، رغم

أنفه أيضاً ، تبدو عودته وكأنها أسلم الحلول المبتغاة ولو مؤقتاً ، للخروج من الظلام الدامس الذي يخيم على سوريا والذي ينذر بشر مستطير هيهات لأي انقلاب من أي نوع كان ومن أي مصدر أتى ، أن يعوض على سوريا وعلى سائر البلدان العربية الخسارة الجسيمة ، بل الكارثة الرهيبة التي تقبع في الظلام !

• • •

انقلابات ؟

لتكن الانقلابات بل لنستمر وليطلع عليها العالم في وضوح النهار .
أما هذا الظلام الذي يسود في هذه الأيام ، فإنه أخطر وأدهى من جميع الانقلابات التي عرفتها سوريا ، ذلك لأنه سيسلب منها كل شيء حتى القدرة على القيام بانقلابات . . . خبزها اليومي ، وتسليتها في الحكم ، ووسيلتها للبقاء !

مقررات حمص !

« مقررات مؤتمر حمص » هي الراية البيضاء التي رفعت على ربوع الشام لوضع حد للقوضى الناشبة والتي تهددت سوريا بأونخم العواقب . و « مقررات مؤتمر حمص » هي بمثابة الترياق الذي قيل عنه في الأمثال بأنه يأتي من العراق . . .
ولست أدري إذا كان من حسن حظ سوريا أو سوئها أن يجيء الترياق في هذه المرة من حمص ولم يأت من العراق أو من مصر . ومع أن الدلائل كانت تشير في بادئ الاضطرابات ، ان مدينة خالد بن الوليد تنشد الترياق من مصر وليس من العراق أو الأردن أو أية جهة أخرى ، بدليل المتنافات والمظاهرات والشعارات التي رفعت على أسم الوحدة وعلى اسم الجمهورية العربية المتحدة .

ولكن ما هي مقررات مؤتمر حمص ؟

ان مقررات مؤتمر حمص تطالب فيما تطالب بعودة الضباط المسرحين ، وباجراء استفتاء جديد على الوحدة .

ومن هم الضباط المسرحون ؟

إنهم الضباط الذين سرحتهم الجمهورية العربية المتحدة في « عز » أيام الوحدة !
الوحدة التي ثار ضدها رجال سوريا حكومة وجيشاً وشعباً ، والتي انتهت على الصورة المخزية التي عرفها القاصي والداني ، والتي لا تشرف أحداً لا من المسؤولين المصريين ولا من

الضباط المسرحين ولا من طلاب الوحدة مجتمعين ومتفرقين !
 واذن فما معنى مقررات مؤتمر حمص ؟
 وما هي الفائدة المرجوة التي عساها تجنيها سوريا من مقررات هذا المؤتمر ؟
 بل ما عسى مصر وطلاب الوحدة أن يحنونه من هذه المقررات « الخبر على الورق » ؟
 شقشة لسان ، وكلام بكلام لا يسمن ولا يغني من جوع !
 أو هو على الأصح الأغلب ، محاولة يائسة لستر السموات بالقبوات كما يقول العامة عندنا...
 وما السموات غير اسطوانة « الوحدة » وما القبوات غير مقررات مؤتمر حمص أعزك الله !

• • •

وتذكرني مقررات مؤتمر حمص بهذه المناسبة والشيء بالشيء يذكر بغضبة أهالي حمص من أهالي حماه في الماضي كما يرويهما الثقافة المخضرمون المطلعون .
 فقد اختلف أهالي حمص مع أهالي حماه ، كما تقول الحكاية ، بسبب مياه نهر العاصي .
 وقرر الحماصنة أن يضعوا حداً لخلافهم مع الحمويين فاقتطعوا نهر العاصي بجبل يفصل مياه النهر . . . !

وكان أهالي حمص يستغلون جيرانهم في حماه فيركب بعضهم الزوارق ليفرغوا مياه نهر العاصي التي يفصلها الجبل - الحد الفاصل بين المدينتين - في حدود مدينتهم حمص !
 ومقررات مؤتمر حمص لا تشبه الجبل الذي فصل به الحمصيون نهر العاصي عن مدينة حماه ، ولكن هذه المقررات تشبه أيضاً وإلى حد بعيد شجرة التوت التي حشاها أهل حمص بالديناميت وقطع الحديد ووجهوها نحو مدينة حماه انتقاماً وتشقياً من أهالي حمص . . .
 قالوا وتجمع شباب حمص وأهل الرأي فيها وأشعلوا الفتيل داخل شجرة التوت التي جعلوا منها لغماً كبيراً مصوباً نحو مدينة حماه . . . وانفجرت شجرة التوت بينهم فقتلت من قتلت وجرحت من جرحت ، وانسطلت أسارير أهل حمص وراحوا يتيهون من نشوة الغبطة والانتصار وهم يللمون قتلاهم وجرحاهم قائلين مغتربين متصرين : إذا كانت أوقعت بيننا نحن كل هذا العدد من القتلى والجرحى في حمص ، فما عسى يكون عدد القتلى والجرحى في حماه ؟ !

• • •

إذا كان لمقررات مؤتمر حمص حسنة ، ففرجو أن لا تكون حسنتها كشجرة التوت التي وجهها أهالي حمص نحو أهالي حماه . .

ومن حسن حظ حماه في هذه المرة إنها وقفت على الحياد فلم تبد ولم تعد ولم تعلن موقفاً
عدائياً لا من حمص ولا من دمشق ولا من حلب نفسها . . . !

• • •

وقى الله سوريا من مقررات مؤتمر حمص ، ومن شجرة التوت في حمص ، ومن جبل
الحدود الفاصل نهر العاصي بين حماه وحمص . . .

إنه نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة الا بالله وأنا لله وأنا اليه راجعون !

مقررات حمص !

مرة ثانية وثالثة أعود إلى مقررات مؤتمر حمص ، وأسأله بمثل براءة وسذاجة وطيبة أهالي
حمص : لماذا كانت حمص هي صاحبة المؤتمر وصاحبة المقررات ؟

لماذا حمص بالذات وليست دمشق أو حماه أو حتى حلب التي انتفضت وشاركت حمص
في غضبتها وتمردتها ، حتى طلبت من صوت العرب أن يمدّها بالطائرات على نحو ما ذكرت
الأخبار والاذاعات والشائعات ؟ والحق أقول ، لأنني لم أجد جواباً شافياً على تساؤلي ، بالرغم
من فلسفة المتفلسفين واجتهاد المجتهدين ، غير الطيبة والبراءة والسذاجة التي دعت حمص
وأهالي حمص لوقوفهم الموقف الأخير الذي شهدنا ، والذي ظهرت آثاره ونتائجه في المقررات
« الخطيرة » مقررات مؤتمر حمص . . .

من حق حمص علي أن أصدقها القول ، وأن أعترف لها بمزيد حيي وإكباري وإعجابي
بطيبتها وطيبة أهلها التي بلغت حد السذاجة والبراءة التي تعود الناس أن يجعلوا منها مجالا للتندر
والفكاهة .

من حق حمص وأهالي حمص أن أحيي فيها براءة الصديق وسذاجة الايمان التي دفعت
بها وبأهلها لركوب هذا المركب الذي جعلها هدفاً للهزؤ والتنكيت . . فليست حمص ولا أهالي
حمص هم وحدهم الذين آمنوا بمثل ما آمنوا به ، واندفعوا وراء ما اندفعوا اليه بحماسة المؤمن
وسذاجة الصادق المخلص فلقد آمن جيل كامل من الشباب العربي بمثل ما آمن به أهالي حمص
وتعبدوا في محرابه السنين الطوال وشهدوا الآمال العريضة والأحلام السعيدة تذوب كما يذوب
الثلج تحت حرارة الشمس ، وحرارة الواقع المرير الذي تتقلب فيه دنيا العرب نتيجة الكذب
والتدليس والفتاق الذي أطعمهم إياه السادة الزعماء ممن وثق بهم الجيل العربي وثقت بهم حمص
وأهالي حمص .

ولست أجد شبيهاً لحمص وأهالي حمص غير دمياط وأهالي دمياط .

فلقد ركبهم المصريون بالنكت والتندر والقفش والتركيبات حتى أصبحت كلمة « دمياطي » تعني في بعض الوجوه ما تعنيه كلمة حمصي ، وإن كنت لا أستطيع أن أنكر أن ثمة فارقاً كبيراً يبعد بين أهالي حمص وأهالي دمياط . . وإن الصيت لدمياط في مصر والفعل لحمص وأهالي حمص في سوريا . فأهالي دمياط أذكى وأحرص وأشطر أبناء مصر على الإطلاق ، بل أنهم في الواقع هم الذين يستغلون ويضحكون على غيرهم في الوقت الذي يحسب غيرهم بأنهم مجالاً للتنكيت وعرضة للتندر والضحك !

ولكن سامح الله حمص وأهالي حمص ، فلقد وقعت ووقع أهلها بما لم يقع فيه أهالي دمياط ، وأصبحوا في هذه الأيام عرضة للهزوء والتندر والسخرية . ذلك أن مقررات مؤتمرات كشفت الستار عن معدن السذاجة الاصيلية التي عرف بها أهالي حمص في الوقت الذي وقفت فيه حماه العدة التقليدية لحمص موقفها الذكي المتربص ووقفت دمشق موقفها التاريخي التقليدي المعروف . . .

* * *

حكاية جديدة فاتي أن أذكرها لقرائي أمس في معرض الحديث عن حمص ومقررات مؤتمر حمص . . .

فلقد تحدثت عن « ذلك التوتة بالديناميت » وتحدثت عن الحبل الذي قطع به أهالي حمص نهر العاصي وجعلوه مناصفة بينهم وبين مدينة حماه . ولكنني نسيت أن أذكر حكاية أهل حمص عندما زارهم المتصرف العثماني وتنادوا فيما بينهم للخروج لاستقباله . . . قالوا كانت الشمس طالعة وتساءل الحماصنة فيما بينهم :

هل يلبسون الأحذية أم يلبسون القباقيب الخشبية . وقال بعضهم ان الجو صحو وانه من المستحسن أن ينتعلوا الأحذية (الصرماية الحمراء) وقال البعض الآخر :

واذا أمطرت الشتاء فماذا نعمل ؟

وقر الرأي أخيراً على أن ينتعلوا فردة حذاء وفردة قبقاب . . . وهكذا كان وذهب وجهاء حمص لاستقبال المتصرف العثماني بالقبقاب في الرجل اليمنى والصرماية الحمراء في الرجل اليسرى ! !

* * *

لست أشبه مقررات مؤتمر حمص الا بالاستقبال الذي استقبل به الحماسنة المنصرف
العثماني في الماضي . . .

وزيادة في الشرح والايضاح ، ليراجع القارئ بنود المقررات ، وليلقي نظرة عامة على
ما جرى ويجري حوله في خضم الأحداث التي دارت وتدور في سوريا وفي فلك لا يمت من
قريب أو بعيد بفلك حمص وأهالي حمص ومقررات مؤتمر حمص . . . !

حلّ واحد لا حلّان !

وجه المأساة السورية ، والخطورة البالغة كل حد وكل مدى وكل وصف ، لا تكمن
في الانقلاب الأخير ، ولا في التمرد الذي قام في أعقاب الانقلاب ، بقيام مدن حلب وحمص
واللاذقية وانتفاضها على انقلابي دمشق ، حتى أوشكت المدن الثلاث أن تصبح دولاً ثلاثاً . . .
فلقد سبق « الفضل » لسوريا وعرفت المزيد من الانقلابات طيلة ثلاثة عشر عاماً ، حتى
باتت الانقلابات بالنسبة لها ولشعبها شيئاً مألوفاً كالسيران الذي يقوم به أهالي دمشق . . .
ولقد كان عمر الانقلاب يطول ويقصر نتيجة لطول أو لقصر باع صاحب الانقلاب
نفسه . وكلما كان صاحبه قوياً كلما طال عمر الانقلاب والعكس بالعكس .
بل ان تجربة الوحدة التي طالت حوالي أربعة أعوام ، لم تكن في الواقع إلا انقلاباً ولكن
من نوع جديد ، أضيف إلى سلسلة الانقلابات التي عرفتها سوريا منذ أن دشّن حسني الزعيم
عهد الانقلابات فيها .

ولكن هذه المرة غير كل مرة تماماً . . .

صحيح أن الهدف الأساسي المستر لزوماً أو جوازاً من وراء كل انقلاب ، هو السيطرة
والحكم ، أياً كانت الدرائع والوسائل والحجج ، غير أن الرياح الهوجاء التي عصفت أخيراً
في سوريا تختلف عن سائر الرياح التي عرفتها دمشق في تاريخها الحديث . ذلك أن كل
انقلاب كان يقع ، كانت أهدافه وغاياته ووسائله معروفة واضحة لا يلبث الشعب السوري
طويلاً حتى يتخذ منها ومن صاحبها موقفاً معيناً .

كانت الشعارات – جميع الشعارات سياسية أو شخصية أو محلية ، ترفع في أعقاب كل
انقلاب .

وكانت الرؤوس التي تقود الانقلابات لا تلبث وراء الكواليس طويلاً ، بل تبرز على
المسرح لتواجه الشعب وتحمل المسؤولية كاملة في قيادة الانقلاب وتوجيهه .

ولكن الأمر ، في هذه الأيام يختلف عن غيره كل الاختلاف .
فالانقلاب السوري الأخير ، لا رأس له ، ولا وجه ولا لسان ، وليس له بالتالي أي شعار
يرفعه ليتمكن من الحكم بواسطته أو من خلاله .

فالرؤوس — إن كان ثمة من رؤوس — مختبئة لا تقوى على مواجهة الجماهير .
والوجوه — إن كان ثمة من وجوه — مختلفة متباينة . والالسنه — إن صح ان هناك ألسنة —
كثيرة متعددة اللهجات والاتجاهات . . .

وهنا ، هنا وجه المأساة . هنا الخطورة البالغة كل حد وكل مدى وكل وصف .
هنا ممكن الداء الذي استشرى في قلب سوريا ويوشك أن يمزقها شيعاً وأحزاباً لا تعرف
أي سبيل تسلكه ، ولا أي شعار ترفعه ولا أية راية تستظل بها ، أو قيادة تسير وراءها !
وجه المأساة في سوريا ، أن شهوة الحكم التي عصفت ببعض النفوس ، لم تجد مركزاً
واحد تستند إليه ، ولا ستاراً واحداً تنستر به ، حتى فشل السياسيين القدامى ، وسلسلة
الفضائح الطويلة التي عمر بها تاريخهم القديم والحديث ، حتى هذا لم يعد شيئاً مسوغاً بنظر
الشعب السوري لقيام الضباط بحركتهم الأخيرة واستلامهم الحكم .

ذلك أن الشعب قد تعود سماع الفضائح عن السياسيين المدنيين ، يكيلها بحساب ومن
غير حساب كل صاحب إنقلاب .

ولكن من قال إن الحكم العسكري والطامعين بركوب الكراسي ، مبرأون من كل عيب
منزهون عن كل فضيحة ؟

أجل لقد تعود الشعب في سوريا وفي كل بلد عرف طعم الانقلابات ، أن يسمع سيول
التهمة والمخازي تنهال على أم رأس السياسيين . وبالرغم من ذلك فإن الشعب لا يستطيع أن
« يبلع » حكم الضباط أصحاب الانقلاب ، لا لأنه يشك بنواياهم وحسب ، ولا لأنهم ليسوا
فوق الشبهات وحسب ، بل لسبب أهم وأسمى من كل ذلك .

فالحرية التي كفلت للشعب مقاضاة السياسيين المدنيين وفضحهم بالقول والكتابة والخطابة .
هذه الحرية ، كبرى النعم التي يتمتع بها الشعب ، تصبح مشلولة مغلوطة في ظل كل حكم
عسكري ، ولا سيما في ظل حكم يقوم في أعقاب انقلاب شبيه بانقلاب الضباط في دمشق .

• • •

حل واحد لا ثاني له .
أن يتوارى أصحاب الانقلاب في دمشق عن خشية المسرح السياسي .
وليس هذا بكثير على انقلاب لم يجز فيه رأس واحد أن يرتفع ولا شعار واحد من الشعارات
أن يبرز .

الانقلاب السوري والشيخ الكبسي

المرحوم الشيخ عبدالله الكبسي مندوب اليمن السابق في الجامعة العربية ، عادت ذكراه في هذه الأيام حية عاطرة ، طيب الله ثراه . . .

فقد رثته الصحف المصرية بالتنكيت والتندر وشاركتها سائر الصحف العربية وجميع الأندية والمحافل السياسية ، حتى ضرب بمندوب اليمن المثل . فقد حضر المرحوم عبدالله الكبسي إحدى جلسات مجلس الجامعة العربية في القاهرة ، وأعلن عند افتتاح الجلسة أنه يحضر كستمع . . .

ومنذ ذلك اليوم أصبح اسم مندوب اليمن المستمع مجال التنكيت والتسخيف .

ويبدو أن الحكمة البالغة التي تذرع بها مندوب اليمن الشيخ الكبسي ، إزاء منازعات الدول العربية ومناوشاتها واختلاف وجهات نظر أعضائها ، هي التي أملت عليه أن يقف موقف المتفرج ويجلس بين صفوف الأعضاء جلسة المستمع .

فلقد عرف الشيخ الكبسي - قدس الله سره - أن الكلام وتوجيه النصائح مضية للوقت ولا فائدة ترجى من ورائه . وإن تخلفه عن حضور جلسة الجامعة ، قد يؤول تفسيره تأويلاً سيئاً . . . فآثر أن يحضر كستمع ، وهذا أضعف الإيمان وأقل الشرور !

ولقد أثبتت الأيام وأكدت التجارب التي مرت وتمر على البلاد العربية عموماً وعلى سوريا بصورة خاصة ، أن جانب الصمت والتريث - كيلا نقول الفرجة والاستماع - هي أولى وأجدى وأقوم سبيلاً . وما أمر الانقلاب السوري الأخير - وليس الآخر - إلا آية صدق على صواب رأي الشيخ الكبسي مندوب اليمن المستمع قدس الله سره ونفع الزعماء العرب بثاقب رأيه وبصره !

لقد قامت القيامة على الحكومة اللبنانية لأنها أبطأت في الاعتراف بالانقلاب السوري الذي وقع قبل ستة أشهر ، وكانت هدفاً لحملة قاسية لأنها تقاعست وتلكأت في إرسال وفد لها إلى دمشق للتهنئة والتبريك .

واليوم ، وما أشبه اليوم بالأمس ، من عساه يجرؤ على العتاب أو مقاضاة الحكومة الحساب ، إن هي تلكأت وأبطأت في الاعتراف بالانقلاب الجديد وتهنئة أصحابه ؟

بل من تراه يعلم ما يجنبه الغد ، والغد في دمشق غيره في أية عاصمة من عواصم العرب . . .

إنه أحجية عمرها ثلاثة عشر عاماً ولدت يوم قام بابجي سقا دمشق « حسني الزعيم » بأول
لإنقلاب في سوريا ثم « كرت » المسبحة . . . وستظل الأحجية تكبر وتكبر وتزداد تعقيداً يوماً
بعد يوم !

* * *

رحم الله الشيخ الكبسي مندوب اليمن المستمع وما أحرانا في لبنان أن نستفيد من حكمته
وتجربته التي عاشها مع الجامعة العربية ، ونحن نعيش اليوم في تجربة الانقلاب السوري الأخير
الذي لن يكون الأخير !

« المارش » الجديد ...
« والبدن » المحترم !

« البدن » المحترم الذي أكله حضرة النائب السوري المحترم الأستاذ راتب الحسامي ،
وكيل مجلس الأمة سابقاً ، ونائب حمص فقط لا غير في الوقت الحاضر . . .
هذا « البدن » بلغة أهل لبنان و « العلقه السخنة » بلغة أهل مصر ، لا يضير النائب
المعتدى عليه ، بقدر ما يضير المعتدين أنفسهم والبرلمان السوري نفسه .
نقول هذا لا لأن « البدن » كان بلا حيثيات ، إذ جاء قبل أن يدلي الحسامي برأيه ، بل
لأن هذا العمل أياً كان سببه ومهما كانت الدوافع اليه ، هو عمل همجي ينتقص من حرمة
الديمقراطية والبرلمان !

إننا نتساءل إذا كانت الحرية الجديدة في سوريا لا تتسع لكلمة حرة يقولها نائب محترم
في مجلس النواب ، فماذا تكون إذن هذه الحرية ؟
وإذا لم يكن للعهد الجديد في سوريا حسنة الاستماع الى جميع الآراء فأية حسنة تكون له ؟
إن إذاعة دمشق التي تصر في المدة الأخيرة على أن لا تتخلى عن مكانها في مهرجان الشتم
بين الدول العربية . إذاعة دمشق هذه ، لا تجد ما تديره من الأسطوانات غير اسطوانة الحرية
والديمقراطية .

فما بال النواب السوريين يتصرفون وكأنهم لم يستمعوا إلى هذه الأسطوانة « المارش » الجديد
للجمهورية العربية السورية الجديدة ؟
هل من الديمقراطية والحرية والبرلمانية أن لا يستطيع نائب محترم كالأستاذ راتب الحسامي
أن يفتح فمه في وجه معروف الدواليبي ؟

إن راتب، الحسامي ، كما نعلم ويعلم غيرنا ، هو من أبرز الوجوه البرلمانية في سوريا .
هكذا كان أثناء الوحدة وقبل الوحدة ، بل هو كذلك اليوم ، وهو النائب الذي جاء الى
المجلس بعدد من الأصوات يفوق غيره كما تشهد نتائج الانتخابات السورية الأخيرة !
فاذا كانت أيدي « بلطجية » المجلس ، لم تتورع عن تناوله ، — على جأه وعلمه وفضله —
بالصفع والدفع والركل والرفس ، فعن من ترى هذه الأيدي تتورع ؟
واذا « أخذت » هذه الأيدي على النواب منذ اليوم ، فما هو السبيل الى إيقافها عند حد
في الغد ؟

“ “ “

على من يريد أن يدخل عن جدارة واستحقاق مهرجان الشتم العربي ، سواء أكان في
دمشق أو في القاهرة أو في مكة أو تعز أو إلى آخر العواصم المتنازلة المشائمة . . . على من
يريد أن يحظى بشرف الأولوية والسبق في الشتم ، أن يحرص على أن لا يدير اسطواناته إلا بما
هو براء منه . والا جاء « البدن » المحترم تكذيباً محترماً لانغام الحرية والديمقراطية المنبعثة من
دمشق !

المصالحة الوطنية !

حديث المصالحة الوطنية في سوريا الذي كتبنا حوله وسميناه بالحديث المشبوه ، لا بد
من العودة اليه ، بعد أن عاد مجدداً ، فكثُر اللغط حوله وتعددت الآراء والاجتهادات بأساليب
مختلفة متنوعة ، مصدرها ومحركها واحد لا ثاني له .
فما أن فشلت المؤامرة الدموية الاجرامية في دمشق ، وتم إعدام الدفعة الأولى من المتآمرين ،
وما إن ألقي القبض على رؤوس الفتنة في سوريا — بعد أن قرعت الطبول وأطلقت الصفارات
تعلن أنهم هربوا الى القاهرة وبيروت ! — حتى برز حديث الدعوة الى المصالحة الوطنية وتصاعدت
الأنغام الرقيقة ' زينة المنكسرة ' ، بعد أن كان لا حديث إلا حديث قطع أعناق البعثيين ولا
دعوة إلا دعوة الانتفاض عليهم وعلى حكمهم ، ولا نغمة إلا نغمة الضرب والطعن والتأثر
وتكشير الأنياب وصرير الأسنان . . .
فماذا عدا بما بدا كيما تتغير الأسطوانة فجأة ، وينقلب اللحن العنيف التائر المدمر ،
الى لحن شجي إنساني رقيق ، ينشد الرحمة والشفقة وتناسي الحصومات والأحقاد ، ويدعو إلى
إجراء مصالحة وطنية ؟ ؟

الذي حدث ، كما عرف الناس ، أن « الأبطال المناضلين المجاهدين » الذين حملوا السلاح وقاموا بتنفيذ المؤامرة - المذبحة ، القبي القبح عليهم جميعاً وأصبحوا في قبضة العدالة . ويبدو أن تسهيل فرارهم من السجن أمر غير وارد ، ونزول فرقة من السماء بالباراشوت الى ساحة المزة وخطف « الأبطال المناضلين المجاهدين » عمل غير ميسور
ولإذن ، فقد قضى الأمر ، وباتت الأعناق المهدة بالقطع ، ليست أعناق الحاكمين البعثيين ، ولكنها أعناق المتآمرين المجرمين ، المناضلين بالأجر ، المجاهدين بالمعاش !
لسنا ندرى لو أن أصحاب الانقلاب في دمشق كتب لهم النجاح في تمردهم - لا سمح الله ولا قدر - وأصبحت رؤوس البعثيين بين أيديهم . هل كان حديث المصالحة الوطنية يدور على لسان واحد من هذه اللسنة الدعية المأجورة التي تستأهل القطع من البطن لا من الحلق وحسب ؟ !

أما كانت الدعوة إلى المصالحة تعتبر تجديفاً على العروبة والثورة والوحدة ؟
حديث المصالحة الوطنية ، ليس حديثاً مشبوهاً ، بل هو دسيسة مكشوفة لا تقوم إلا في ذهن تافه لعوق . ولا تستقر إلا في رأس فارغ أخرق ، وهو فضلاً عن ذلك لا يحمل إلا معنى واحد ، هو الإبقاء على رؤوس الفتنة وإعطاؤهم الفرصة للقيام بمؤامرة جديدة ومذبحة ثانية ، لعل وعسى تتحقق الأحلام والآمال . فينجحون حيث أخفقوا أول مرة . ويستتب الحكم لهم ولعملائهم وزبائنتهم ، ولتعود الى المزة أيام عزها ومجدها . بعد أن أصبحت عهد البعث سجنًا رهيباً ، وكانت في عهودهم الزاهرة جنة عدن التي وعد بها المتقون !
ونحمد الله على أن هذه الدعوة الخبيثة لم تلاق في سوريا إلا كل ما تستحقه من زراية واعراض واستخفاف . فأقنعة الكذب والتدليس والتضليل قد انحسرت عن الوجوه والنوايا التي تستبطن كل غدر ومكر ووقية ، وكان خير رد على هذا الحديث كلمة اللواء أمين الحافظ إذ قال : « إن المصالحة الوطنية غير وطنية » !

حكومة الأقطاب !

لست أدري لماذا باتت تطن في أذني هاتان الكلمتان « حكومة أقطاب » منذ أن حملت أبناء دمشق لإشاعة مؤداها أن الساسة السوريين التقليديين يفكرون بحكومة تقليدية تجمع في وزارة واحدة بكوات سوريا وأغواتها وافنديها ممن عرفتهم كراسي الحكم في سوريا حتى تعفت من تحتهم !

« حكومة أقطاب » نعمة طالما سمعناها في الأقطار العربية وفي لبنان كلما ساءت الحال في البلاد حتى خيل لساستها أن الموسم هو الموسم الأنسب لقطاف المناصب والمغانم والسبايا .
لأنهم « أكلة الجبن » كما سماهم الرئيس فؤاد شهاب ، مصوراً ألهمهم الذي يستولي على فئة الساسة التقليديين في بعض المناسبات فيعمدون الى تنظيم القسمة بين بعضهم البعض .
فيأخذ كل منهم حصته من قطعة الجبن لا تزيد ولا تنقص . وما قطعة الجبن إلا مقدرات البلاد وحقوق العباد .

فأولئك الذين تعودوا هنا وهناك ، أن ينعتوا أنفسهم بالأقطاب . ليسوا أقطاباً إلا في شيء واحد ، هو طلب الحكم في كل وقت وبكل وسيلة وبلا أي شرط !
فليسوا هم بالأقطاب في العلم . ولا هم أقطاب بالفضل . ولا هم أقطاب في الرأي والعقيدة ، ولا هم أقطاب في الصبر والجهد والجهاد .
وكل ما في الأمر أن هؤلاء يستفيدون من فرصة غياب الشعب وضعف الوعي في صفوفه كيما يطلوا برؤوسهم لمناسبة ولغير مناسبة يطلبون الشيء نفسه لينفذوا الأشياء نفسها . لا يعدلون فيها ولا يغيرون !

هذه الفكرة المخضرة هي قبيحة في كل آن . ولكنها أقبح ما تكون عندما تكون البلاد في ظرف خطير كالظرف الذي تعانيه سوريا اليوم .

فسوريا الخارجة من حكم عبد الناصر الذي يمثل تقدماً كبيراً على حكم الساسة التقليديين المخضرين ، سوريا هذه لا تستطيع أن تعود إلى الوراء عشرين عاماً أو أكثر لتعيد إلى الحكم نفس الأشخاص ليحكموها نفس النوع من الحكم !

فالشعب في سوريا ، مهما يكن شعوره نحو مفاسد الحكم السابق : لا يمكن إلا أن يفضل الحكم السابق على حكم السادة الأماجد الأقطاب .

فألف صلاة وسلام على الخبراء والموظفين والمهندسين والأطباء الذين كانوا وزراء في عهد عبد الناصر ، بالنسبة لهؤلاء البكوات والأغوات والأفندية !

وألف صلاة وسلام على الاشتراكية مهما كان تطبيقها ناقصاً أو سيئاً ، وعلى الإصلاح الزراعي مهما يكن فظلاً ، بالنسبة للمشاريع والمطامع والصفقات التي تعود الناس أن يجدوها تبرز الى الحكم بمجرد بروز السادة الأماجد الأقطاب !

وليس هذا بالشعور العجيب ، بل هو الشعور الطبيعي . وما عداه هو العيب وهو الغريب . . . إذ كيف يمكن أن نتصور أن حكماً مثل حكم هؤلاء السادة يمكن أن يملأ في قلوب الناس الفراغ الذي تركه حكم عبد الناصر ؟

إننا نعرف أن سوريا من أنضج الشعوب العربية فهماً سياسياً ووعياً وطنياً . ولذلك فنحن نستبعد جداً أن يكون حكم الأقطاب هو الحكم الذي تفكر فيه سوريا ليخلف الحكم السابق ، فهي إن فكرت تكون قد فكرت في يومها لا في غدها وفي حاضرها لا في مصيرها ومستقبلها .

• • •

إن أي مكسب تكسبه سوريا من وراء تجمع ساستها التقليديين في وزارة ائتلافية لا يوازي الخسارة التي تخسرها عندما تضع حكم هؤلاء في مقابل حكم عبد الناصر ، إذ عند ذلك يرجح بطبيعة الحال حكم الرجل الناصر !
فالمطلوب إذن ، أن تبرهن سوريا على أنها قادرة على أن تستبدل بالحكم الذاهب حكماً أفضل منه . والمطلوب أن تبقى في سوريا الحكومة التي عرفت أن تستقطب الشعب ، عوضاً عن حكومة أقطاب تستقطب المصالح وتنفّر الشعب !

سوريا الامس
وسوريا اليوم !

لبنان لا لبنان واحد . . . ولبنان الثاني ليس « الطائفة المسيحية الشقيقة » كما يقول صائب بك . . . ولا « الطائفة الاسلامية الشقيقة » كما يقول الشيخ ييار . . . بل هو سوريا الجديدة ، سوريا التي تتحدث عنها الصحف من لبنان وتروي للناس أخبارها كل طالع شمس .
لقد أصبحت سوريا ، أو كادت تصبح ، بمصطلحاتها السياسية ومخططاتها الرسمية ، وأفانين الحكم فيها ، أشبه ما تكون بهذا البلد الذي نعيش فيه ، لا تختلف عنه في شيء .
ففي الصحف السورية اليوم ، حديث دائم عن الكيان السوري والشخصية السورية والاشعاع السوري ، تماماً كما تردد هذه الالفاظ في أوساط لبنان وعلى أقلام اللبنانيين .
وفي الصحف السورية نشيد دائم لا تنقطع أنغامه يحور ويدور على الوحدة الوطنية وتجميع الصفوف ، وائتلاف الاقطاب ، وتقارب الأضداد . . . على الطريقة اللبنانية ليس فيها كثير تغيير ولا تبديل !

وفي الصحف السورية ثناء عاطر على نعمة التجارة الحرة والاقتصاد الحر ، والرأسمال الأجنبي والوطني يرتع كما يشاء ، مما تردده عندنا الألسنة وتطرب له الأسماع صباح مساء .
وفي الصحف السورية هجوم على التطرف والمتطرفين ، ودعاة الوحدة والوحديين ،

ومبادئ الاشتراكية والاشتراكيين . . .

وفي الصحف السورية شكوى من تدخل الدول العربية بعضها بشؤون بعض ، وعدوانها
الواحدة على حدود الأخرى . . .

ومع أن اللبناني لا تنقصه فضيلة الغرور ، ولكنني أشهد أن الغرور اللبناني ، صاحب
حق شرعي بالتضخم والانفلاش كلما وقعت عينه على صحيفة سورية .

ففي مثل هذه الحالة يشعر اللبناني ، ولعلها الأولى ، بأنه مثل يحتذى وقدوة تقتدى ،
وصورة تقلد . . .

ويشعر كذلك أن في بلدان العالم ، من يرى في الأوضاع اللبنانية غاية الكمال ومنتهى
الآمال . فهو يسير بخطى سريعة ، ليصبح في كل ناحية من نواحي الحياة نسخة أخرى عن
لبنان . . .

الله الله يا دنيا ، وسبحان مغير الأحوال !

سوريا التي كانت تأبى إلا أن تكون معلمة السياسة ، ورائدة الحركات الانقلابية .
وموئل العقائد الاجتماعية الثورية . . .

سوريا هذه باتت تنظر إلينا اليوم ، لتأخذ عنا ، وتقتدي بنا ، وتقتبس منا . . .

أستغفر الله ثم أستغفر الله ، لقد أخطأت تواضعنا يا سوريا !

كنا نظن حتى الأمس القريب ، إن أمراضنا الوبيلة كالطائفية مثلاً هي التي تجعلنا
نرضى بالنظم السياسية القائمة . وكنا نحسب ان القناعة بالواقع مصدرها أنه « ليس بالامكان
أحسن مما كان » حتى جثت اليوم يا سوريا ترشدنا الى ما لم نكن نعلم ، وتعطينا بما لم نكن
نعرف !

فشكراً لك ثم شكراً . . . بانتظار عبر الأيام وحكمة التجارب ، فلعلك تستيقظين في
غد قريب أو بعيد لترددي قول الشاعر :

« رب يوم بكيت منه فلما

صرت في غيره بكيت عليه » !

سوريا ولبنان !

حديث التسلل والمتسللين حديث قديم وإن بدا جديداً ، حديث له شجون وشؤون بلونها وخبرناها وعرفناها هنا وهناك ، مما لا تزال ذكرها طرية في الأذهان ، ولكن حديث التسلل والمتسللين في هذه المرة يختلف بعض الشيء عما سبقه . وصحيح انه حديث لا يختلف كثيراً عن حديث الوحدة والحدود والانفصال والانفصاليين ، ولكنه بالفعل بدا في هذه الآونة غريباً او على الأصح الأدق غامضاً تنقصه الحجة والبرهان والدليل .

فلقد قامت الصرخة في الآونة الأخيرة وفي الإقليم الشمالي إياه — سابقاً — تنادي وتستصرخ وتستغيث « يا هو الحقونا » .

المتسللون يتسللون عبر أراضينا . والمتسللون يخربون ويدمرون المتسللون يزعمون الرعب والارهاب . المتسللون المتسللون .

وتوجهت الاتهامات أول ما توجهت إلى لبنان .

وأنصب اللوم والتفريع والعتاب أول ما أنصب على رأس المسؤولين في لبنان . . . باعتبار ان العادة القديمة قد جعلت من لبنان منفذاً لتسلل المتسللين كما هو معروف ومشهور . كان يمكن أن نصدق المسؤولين في الإقليم الشمالي سابقاً — الجمهورية العربية المتحدة اتهاماتهم للبنان بتسهيل أو إغضاء الطرف عن تسلل المتسللين ، لو اننا ما زلنا نعيش عام ١٩٥٨ ، أو لو ان دمشق ما تزال كما كانت في الماضي عاصمة ثانية أو ثالثة للجمهورية العربية المتحدة . . . ولكن الأمر في هذه الأيام يختلف كثيراً عما مضى وفات من الأيام . . .

ولاذن فما هو مبرر اتهام المسؤولين في دمشق للبنان ؟ ما هي حججهم في اتهامه ؟ يقولون في دمشق ان ثمة تسللاً ومتسللين يفدون إلى بلادهم . ولكنهم بالرغم من احتجاجاتهم وصرخاتهم واتهاماتهم لم يتقدموا بدليل واحد يثبت صدق حكاية التسلل والمتسللين . وفي أيدي المسؤولين في دمشق كل أسباب الإذاعة والتلفنة والتلفزة والتصوير . . . فلماذا لم يدكروا أسماء المتسللين الذين ضبطوهم متلبسين بجرم التسلل ؟

لماذا لم ينشروا صورهم في الصحف والتلفزيون ؟

ترى هل ينتظرون منا أن نطلب من وزير الخارجية اللبنانية الأستاذ فيليب تقلا أن يعقد مؤتمراً صحفياً يؤكد فيه حكاية التسلل ويذكر أسماء المتسللين ويوزع صورهم على الصحف ؟ ولكن دمشق نفسها والمسؤولين في دمشق لم يتحركوا حتى الآن فعلام الاتهام ؟

إن لدى لبنان مستنداً يؤكد على أن المتسللين لا يذهبون من لبنان إلى الشام ، ولكنهم يأتون من الشام إلى حدود لبنان يحطفون المواطنين اللبنانيين .

وأصدق دليل على ما نقول اختطاف الأستاذ خزاعي العريان شقيق شبلي آغا العريان من الحدود اللبنانية واعتقاله وضربه وتعذيبه على النحو الذي جرى له أمس عندما كان يقوم الأستاذ خزاعي بإحضار بعض الصحف السورية هناك قرب الحدود اللبنانية . فقد تعرض له رجال الجيش السوري واعتقلوه . وقد توجه الأستاذ خزاعي العريان فور الإفراج عنه بصحبة شقيقه الآغا العريان توجه الى وزير الداخلية اللبنانية السيد كمال جنبلاط يشكو له ما حصل عليه من إعتداء وضرب وامتهان .

بقي على السيد كمال جنبلاط أن يتصل بصديقه الحميم عبد الحميد السراج يؤكد له . بما له عليه من مونة وصداقة قديمة ، بأن الأستاذ خزاعي العريان شقيق الآغا شبلي العريان ليس متسللاً وأن المسؤولين في دمشق قد أخطأوا . اللهم إلا إذا أصر المسؤولون في الشام على رأيهم واتهاماتهم الخاطئة .

وعندئذ لا يبقى علينا في لبنان إلا أن نرسل اليهم على سبيل « العينة » أو المثال متسللين حقيقيين وعندنا منهم جاهز وحسب الطلب !

خطاب العظمة و « الطريق الثالثة » !

خطاب الدكتور بشير العظمة الذي ودع فيه الحكم ، جدير بالاهتمام والتوقف أمامه ملياً ، لا لأنه بداية عهد جديد — قديم ، ترك فيها قيادة العرب للسيد خالد العظم ، بعد أن اجتازت « منعطفات الموت » على حد قول أحد السياسيين السوريين . كلا فلا جديد تحت سماء دمشق !

إنما الأمر الذي يثير الاهتمام في خطبة الوداع التي ألقاها الدكتور العظمة ، صراحته المعهودة والعبر القاسية الكامنة خلال تجربة الحكم التي عاشها الرجل .

أما صراحة الدكتور العظمة ، فلم تفارقه لحظة واحدة ، لا في تمرسه بمهنته الأولى ، وهو الطبيب الإنساني النبيل ، ولا في مشاركته الحكم أثناء الوحدة ومكاشفة عبد الناصر برأيه الشجاع وتقديم استقالته له في وقت كان الشجاع من يطأطأ الرأس لعبد الناصر ويتملق له . ولا في توليه الحكم بعد الانفصال وبذل النصيح الخالص لحكام القاهرة . ولا في خطابه الأخير ، الذي ودع فيه الحكم ليعود الى مهنته التي خلق لها .

ولعل هذه الصراحة التي تسليح بها الدكتور العظمة هي التي باعدت بينه وبين المسؤولين

في القاهرة أثناء الوحدة وبعد الوحدة ، في الحكم وخارج الحكم !
ذلك أن الرجل كان صادقاً مخلصاً أميناً في الإبانة عن عواطفه وآرائه حيال وطنه ، وحيال مفهوم الوحدة العربية التي يؤمن بها . فما لقيت صراحته إلا الإعراض ، ولا نصائحها إلا الجفاء ، ولا صدقه إلا الإطراح !

من هنا كان خطاب الرجل بمثابة تبرئة ذمة له ولا مثاله القلائل الذين أخلصوا لسوريتهم إخلاصهم لعروبتهم وإيمانهم بأمنية عمرهم وأعز مطالبهم . . .

ومن هنا أيضاً ان المראה كانت ملازمة للصراحة الى درجة اليأس والضياح .

فالطريق الثالثة التي تحدث عنها الدكتور العظمة بقوله :

إن طريق سوريا لتحقيق دورها الطبيعي في معركة التحرر العربي ، يفرض عليها التزام طريق ثالثة لا رجعية ولا ديكتاتورية ، بل ديمقراطية اشتراكية . . . إلى آخره .

هذه الطريق تبدو ، بالرغم من وضوحها اللفظي ، غامضة مبهمه .

فأى أين تنوي عربية الحكم في سوريا أن تتجه ، إذا لم تشأ السير على طريق الديكتاتورية ولا على طريق الاقطاعية . . . بل أين هي طريق الديمقراطية الاشتراكية الموعودة ؟

هل هي في الحكومة السورية الجديدة التي شكلت أخيراً ؟

لسنا ندري إذا كان الدكتور بشير العظمة يقصد هذا أم ان له تفسيراً آخر وطريقه

أخرى في فهم الطريق الثالثة !

أيا كان رأي الرجل في مفهوم « الطريق الثالثة » ، فثمة حقيقة لا مجال لنكرانها أو الشك فيها ، وهي ان طريقي الاقطاعية الفاسدة والديكتاتورية الباغية ، ينبغي أن تنتكبهما عربية الحكم في سوريا ، بعد ان ذاقت مفاصد الحكمين وشروهما .

فما من أحد يبرر الاقطاعية أو يفهم حربها للديكتاتورية .

وما من أحد بالتالي يبرر حكم الديكتاتورية أو يفهم حربها للاقطاعية .

فليس أسوأ من هذه إلا تلك .

وليس أسوأ من تلك إلا هذه !

. . .

« الطريق الثالثة » لم تتضح ، للأسف ، في أذهان الناس ، إلا في هذه الطريق التي سلكها الدكتور بشير العظمة ، عقب إلقائه خطاب الوداع . . . من مقعد الحكم إلى منزله وعيادته !

سوريا ولبنان !

« الصراحة حلوة » فلم لا نجربها في علاقاتنا مع الدول العربية وخاصة مع سوريا ، لا سيما واننا قد شربنا كأس الحقائق المرة الجارحة حتى الثمالة ؟
شربنا نقطة نقطة وجرة جرة وعلى دفعات ومرة واحدة .

فماذا يمنعنا ، وقد اتخمتنا منها ، من أن نجرب حديث الصراحة والكلام الصريح المقيد ،
الذي لا لف فيه ولا تسمية ولا ابهام ؟

نحن لا نريد أن نقلل من حماس حكام دمشق في مهاجمتهم على كسب ود لبنان . ولا نريد
أن نسكب الماء البارد على العواطف الحارة التي يغمروا بها سادة دمشق ، وخاصة في هذه الأيام
بالذات .

ولا نريد أن نعرض من حيث يقدم غيرنا ، ولا أن ندبر من حيث يقبل .

ولسنا نريد بالتالي أن نشك أو نشكك بصدق العواطف الرقيقة التي ما برح حكام دمشق
يؤكدونها مراراً وتكراراً حيال لبنان الشقيق . أكثر من هذا ، نريد صادقين مخلصين ، أن
ننسى أن صاحب هذه العواطف الرقيقة الجياشة ، هو نفسه أبو القطيعة مع لبنان !

فالحقد نوع من أنواع الغباء ، بل هو شر أنواعه ومعانيه . ولقد أثبتنا كما أثبتت البلاد
العربية بشور هذه الآفة الويلة فمزقت وما تزال تمزق الصفوف العربية شر ممزق !

فالسيد خالد العظم رئيس الحكومة السورية والمتهافت الأول على بسط يد التعاون مع لبنان
بكل افتخار واعتزاز ، كان في الماضي القريب أعز ما يباهي به ويفخر ، انه أبو القطيعة
الاقتصادية مع القطر الشقيق العزيز .

لا ، لسنا ننسى هذا ، ولكننا نريد مخلصين أن نناساه لان ذكره لا يفيد أحداً لا في
لبنان ولا في سوريا .

والتشديد على العلاقات الاقتصادية الذي ضمنه الرئيس رشيد كرامي في برقيته الى خالد
بك العظم ، ليس كل شيء . فلقد كان الرئيس كرامي يضم شيئاً ما أحسب أن الرئيس
السوري فاته أو استعصى عليه فهمه !

صحيح ان عقلية خالد العظم عقلية حساية اقتصادية ، لا تقيم كبير وزن لسواها من
العلائق وخاصة بين الدول سواء أكانت شقيقة أم غير شقيقة .

وصحيح انه كان السوري الوحيد بين رجالات سوريا ، الذي عارض الوحدة بين سوريا
ومصر بعد أن رفضها فكره الرياضي وعقله الاقتصادي .

ولكن ما حيلتنا وأكثر رجالنا في العالم العربي يخضعون لتياراتهم العاطفية وانفعالاتهم الوطنية ، فيولونها المكان الأرفع والحساب الأول ؟
 قد يكون ! « بغددة » الحكومة اللبنانية على حكومة العظم ، بعض العذر إذا هي عادت بالذاكرة إلى الماضي القريب .
 وقد يكون ! « فحطة » خالد بك وثافته على كسب ود لبنان ، ما يجعل الفار يلعب بعها فتستغرب - وهي تدري - مرد هذا الشوق المبالغ وهذا الحب المفاجيء ، وهي التي تعلم جيداً قيمة العواطف ومكانتها في خزانة حساب خالد بك العظم !
 الشيء الراهن ، ان ثمة رغبة رسمية وشعبية في لبنان ، بوجوب وضع حد لحملة الشتائم والتجريح والاتهامات ، التي قامت في دمشق ولم تقعد حيال الجمهورية العربية المتحدة ، وحيال عبد الناصر بصورة خاصة .
 إن الرأي العام العربي - إذا كان في الماضي يجد في حملات سادة دمشق بعض العذر ، باعتبار أنها حملات دفاعية . فانه اليوم لا يستسيغ بأي حال أية حملة جديدة أو اتهامات جديدة ضد عبد الناصر . لا لأنها تسيء الى عبد الناصر ، بل لأنها تسيء إلى سوريا نفسها وإلى المجموعة العربية ، وليست تخدم إلا الأعداء .
 والواجب الوطني ، يفرض على حكام دمشق ، ولا سيما في هذه الفترة العصيبة أن تكف عن هذه الحرب بعد أن أصبحت غير ذات موضوع !

الحديث المشبه !

ما عرفت حديثاً أثير في هذه الآونة الأخيرة ، أشد خطورة ، بعد حديث الأديان ، من حديث المصالحة الوطنية في سوريا . ذلك لأنه حديث مشبه فيه كثير من الاختلاط والتمويه والمغالطة ، التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب .
 فكلمة المصالحة ، ولا سيما المصالحة الوطنية ، تحمل في معناها كل ما تتمناه نفوس المواطنين الخيرة ، من تصفية القلوب وجمع الصفوف وتناسي الأحقاد والخصومات .
 وليس بميسور أحد أن يتنكر لهذا المفهوم أو يعارضه ، ولا أنهم بشرفه وأخلاقه ووطنيته .
 ولكن المصالحة الوطنية العاقلة المرجوة شيء ، والمصالحة الشخصية شيء آخر .
 فجميل ولطيف أن نسعى لمصالحة اثنين تناطحا وتشتاما وتضاربا من أجل سبب من الأسباب الشخصية العابرة التي لا تمت إلى مصلحة الوطن والبلاد بصلة . جميل ولطيف أن

نجمعهما ونجعلهما يتباسان ويتصافحان وعفى الله عما مضى وكان . . . فالصلح في المحاكم وبين الأشخاص هو سيد الأحكام .

ولكن المصالحة الوطنية في سوريا ، التي تناولتها الأقلام والألسنة ، شيء آخر وحكاية أخرى ، تنتهي عادة بالصلح العشائري . . . كلمة من هذا وكلمة من ذاك واعتذار من هنا واعتذار من هناك ثم قبلات حارة أو غير حارة ينتهي بعدها الخصام ويسود الوئام .

ولكم كنا نتمنى من صميم القلب لو ان « الخناقة » الحامية التي قامت في سوريا ، والتي سالت بسببها دماء الشعب السوري ، هي من هذا النوع من الخصومات ، اذن لا يمكن قيام صلح عشائري يتباس فيه المتخاصمون باللحى ويتبادلون انتخاب الشراب ليتناسوا من بعده كل شيء وليحل الوئام ويرفرف السلام . . .

بيد أن التزاع القائم في سوريا ، كما قلنا ، حكاية ثانية لا نمت من قريب أو من بعيد بأي سبب من هذه الأسباب التي يتنادى من أجلها أصحاب النوايا الطيبة والقلوب الصافية ، أولئك الأحياء النصحاء ، الذين يطالبون بقيام مصالحة وطنية .

ولسنا ندري كيف تكون هذه المصالحة ولا كيف تتم ؟ لا ولا نعلم بين من ومن ينبغي أن تتم الصلحة ؟

بل إننا نجعل تماماً مبرر الحديث عن قيام مثل هذه المصالحة . بعضهم اعتبر تصريح اللواء الحافظ الذي قال فيه : « إن ثورة الثامن من أذار هي للشعب كله وليست لفئة دون أخرى ولا هي لحزب معين ، وكل مخلص لما هو منا والينا » .

اعتبر بعضهم هذه الكلمة المجردة الواضحة دعوة « صريحة » لضرورة قيام مصالحة وطنية ، فأطلق لخياله الفسيح العنان وراح يستخرج ويستنبط ما شاء له الخيال . . .

لتبسط القضية أولاً ولنطرح هذا السؤال : من هم خصوم الحاكين في سوريا ؟ فإذا عرفناهم طرحنا سؤالاً آخر : ما هي أسباب الخصومة ؟

وعندئذ وبعد أن نتبين الخصوم ومبرر خصوماتهم نستطيع القول بإمكانية « الصلحة » أو بعدم إمكانيةها .

إن خصوم الحاكم في دمشق هم : الشيوعيون والاقطاعيون والرجعيون والانفصاليون والانتهازيون والعلماء .

ولقد أستطاع الحكم في دمشق أن يجبر على الانفصاليين والرجعيين ، وأن يكتم أنفاس الشيوعيين والانتهازيين والعملاء .

وحكام دمشق وحدويون اشتراكيون ثوريون تقدميون ، يضعون أيديهم وقلوبهم بين أيدي وقلوب كل ثوري وحدوي تقدمي اشتراكي . فاذا كان في سوريا ثمة من فئة تؤمن بهذه المبادئ إيماناً حقيقياً ، ولا تكفي برفع شعاراتها فقط ، فما هو العائق الذي يقف في سبيلهم كيما ينضموا الى الصفوف ويشاركوا بهذا الواجب الوطني المقدس ؟

ومن هو الذي يمنهم أو يرفض انضمامهم ؟

القوميون العرب ؟ الناصريون ؟

أليسوا طلاب وحدة من المحيط الى الخليج أليسوا رفاق فكرة واحدة ورسالة واحدة ؟

فيم الخلاف والخصام وعلام المصالحة الوطنية إذن ؟

إن حكام سوريا اليوم ، هم الذين يمثلونها أصدق وأوضح تمثيل ، ولعلها المرة الأولى ومنذ عهد طويل التي يقوم فيها حكم قوي راسخ يحسد الأهداف والآمال التي طالما حلم بها الشعب العربي في سوريا .

ولو أنه انقلاب عابر أو انتفاضة عسكرية موقوتة أوصلت حكام دمشق الى مقاعد الحكم ، شأن الانتفاضات والانقلابات الماضية ، لأمكن البحث والكلام بإجراء مصالحة ومساومة على النحو العشائري المعروف . . . ولكن ، للمرة الثالثة نعود ونكرر القول ان القضية في هذه المرة تختلف تماماً عن غيرها من المرات السابقة .

ثم ان الحزب الحاكم في سوريا ، هو نفسه الحزب الحاكم في العراق ، وانه ما وجد صدقة على مقاعد الحكم وما قام إلا ليبقى قائماً ما بقيت سوريا والعراق !

فلتهدأ خواطر أصحاب النوايا الطيبة والقلوب الرحيمة من أهل الدعوة لقيام مصالحة وطنية في سوريا .

ليضعوا أيديهم ورؤوسهم في ماء باردة ، وليكفوا عن حديث « المصالحة الوطنية » لأنه يبدو في هذا الظرف بالذات وكأنه حديث مشبوه ، يبطن غير ما يظهر ، ويسر غير ما يعلن ، حتى ليصح فيه قول الشاعر :

« هذا كلام له خبيء معناه ان ليست لنا عقول ! »

نعمة الهاراكيري !

الوجوه التي بدت صباح أمس ، فرحة جذلة ضاحكة مستبشرة ، علام فرحها واستبشارها ؟
هل هدأ الخصام وحل الوثام ، وبات حلم الوحدة وشيك التنفيذ ؟
هل كفت أجهزة الإعلام في القاهرة عن نكأ الجراح وشتم الأعراض وتفسير الصفوف ،
واتاحة الفرصة للأعداء للمزيد من الشماتة والمزيد من الغبطة بضرب العرب بعضهم بعضاً ؟
كلا !

إنما الفرحة التي عمت الوجوه وأعمت القلوب ، لم تكن لشيء من هذا . إنما كانت نتيجة
الأخبار التي تناقلتها الإذاعات صبيحة أمس ، معلنة قيام محاولة انقلاب ذيلية في دمشق ،
تعرضت لها دار الأركان لقصف المدفعية وشوارع العاصمة السورية لشبه حرب أهلية سالت
فيها الدماء هدراً . . .

أما كيف ولماذا ولأي سبب يقوم الانقلاب في سوريا ، فهذا آخر ما خطر على بال
الفرحين الجدلين المغتبطين باغراق سوريا بالدماء والاضطرابات والفوضى .

وبين رؤية الوجوه الضاحكة الفرحة المستبشرة بمحاولة الانقلاب في دمشق ، وبين رؤيتها
كالحلة سوداء مربدة ، غاض فيها ماء الحياة والابتسام والجلد ، لم يدم الحال أكثر من ساعات
معدودة تكاد لا تعد على أصابع اليد الواحدة !

ذلك أن المحاولة الانتحارية الفاشلة التي قام بها نفر من المأجورين والزبانية العملاء في
دمشق ، والتي تهلت لها أسارير الأذئاب من الدليين وأنصاف الدليين هنا وهناك ، كانت
ناجحة بقدر ما كانت فاشلة .

لقد أرادوها انتحارية فنجحوا في ذلك نجاحاً لا يضارعه غير نجاح الفشل المبين الذي منيت
به حركتهم الغادرة المغرورة التي تولت سحق نفسها بنفسها ، على طريقة الهاراكيري اليابانية ،
مع فارق واحد ، هو أن الهاراكيري التي جرت في دمشق قد خلت من أي معنى من المعاني
النبيلة التي يلجأ إليها اليابانيون في القضاء على أنفسهم !

* * *

وبعد ، بعد الدماء التي سالت ، والحرب الأهلية التي كانت معرضة لها سوريا ، إلى أين
المصير ، وهل من مزيد ؟

منذ الثامن من آذار وسوريا تدفع الثمن من أمنها ودمائها واستقرارها كل ذلك بسبب كلمة
واحدة لم يشأ الرئيس عبد الناصر أن يتفوه بها . . .

لو قال عبد الناصر غداة الثامن من آذار الذي قضى على عهد الانفصال والرجعية « أقبل الوحدة مع حزب البعث » لوفر على سوريا والعراق ومصر الكثير من المتاعب .
إن البلاد للعربية تنزف الجراح وتتعر الخطة في بحر من الفوضى بسبب هذه الكلمة التي لم يشأ عبد الناصر أن ي تلفظ بها !

ولسنا ندري والله ، كيف يسمح الرئيس عبد الناصر لنفسه أن يقيم وحدة عام ١٩٥٨ مع أقطاب الرجعية والانتهازية والعشائرية في دمشق ، ثم يأبى الوحدة مع حزب نذر نفسه لها منذ ربع قرن وبذل أقصى ما يبذله في سبيلها المؤمنون الصادقون الصابرون ؟
أجل . لسنا ندري كيف تقوم وحدة مع حزب الشعب والحزب الوطني وغيرهما من التشكيلات الرجعية التي وصمها عبد الناصر نفسه بالخيانة والعمالة والرشوة قبل وبعد قيام الوحدة .
ثم يرفض الوحدة مع حزب البعث الذي حمل شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية منذ أمد بعيد ؟

إن طلاب الوحدة العربية ليحز في نفوسهم في كل مرة يرون فيها حلم الوحدة يتقلص أمامهم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة . وإن القسوة والعنف في أخذ المارقين من هادمي هذا الحلم .
سواء كانوا ذيلين أم غير ذيلين ، لمي من أوجب الواجبات والمبررات لضربهم واستئصال شأفتهم بلا رحمة ولا حوادة .
وليس لنا في هذا المقام ، إلا أن نتوجه الى حكام دمشق مرددين قول الشاعر العباسي :

« لا يغرنك ما ترى من ثياب
ان تحت الضلوع داء دويبا
فضع السيف وارفع السوط
حتى لا ترى فوق ظهرها « ذيلها »

... والعزة للعرب !

« انشقاق خطير في سوريا »
« انقسام الجيش في سوريا »
« اللواء الحريري يرفض مقررات البعث »
« البعث مهدد بالسقوط »
« الحريري وضباطه يعلنون تمردهم »

« غلبان شديد في سوريا وتوقع انفجار »
 « حكم البعث يتضعضع ويتدهور »
 « زياد الحريري يهيء انقلاباً يطيح بحكم البعث »
 « الانقلاب واقع حتماً في سوريا »
 « ساعة الصفر دنت في سوريا » .

• • •

هذه طائفة غير مختارة من العناوين التي طلعت بها بعض الصحف في الأسبوعين الأخيرين ، منذ قيام ما سمي بأزمة الحريري ونقل الضباط الحريريين .

وعبثاً قلنا وأكدنا مراراً وتكراراً قبل وقوع هذه الأزمة وبعدها ، بأن الآمال والتمنيات شيء والواقع شيء آخر . وان على الفرحين الشامتين بسوريا أن لا يفرحوا كثيراً ويسرفوا في تأملاتهم وتفاؤلهم . . . وان الفتاة القرعة لا يصيبها شيء إذا هي فرحت بشعر بنت الجيران ، وان قضية الحريري قضية داخلية ثانوية لا تقدم أو تؤخر في شيء من الوضع الراهن في دمشق .

عبثاً كتبنا وأعدنا الكتابة في هذا الموضوع . فالغريق كما يقول المثل يتمسك بحبال الهواء . . . والغرقى هم من عرفنا وبلونا من الأذنان والدلائل ، وأذنان الأذنان ودلائل الدلائل . وحبال الهواء بالنسبة إليهم هي الاشاعات والمفتريات والأكاذيب والأضاليل ، يتوسلون بها كما توسل بها جحا ذات يوم حين أراد أن يصرف الصبية عن منزله فأخبرهم أن عرساً يقام في آخر الحلي .

وتراكض الصبية ليظفروا بحلوى العرس . وما أن شاهدتهم جحاً يتراكضون حتى نسي كذبه وانطلق يركض في أثرهم . . .

وهكذا كان شأن الأصدقاء الأوفياء ، لا العملاء الأجراء ، هكذا كان شأنهم مع أزمة الحريري في سوريا ومع كل أزمة أو شبه أزمة تتعرض لها سوريا أو العراق !

لم نكن أنبياء ، ولكننا على الأقل ما كنا أغبياء . ذلك أن الغرض يعمي ويصم ، يعمي البصر والبصيرة عن رؤية الحقائق ، ويصم الأذان عن سماعها ، ويغلف القلوب بمجدار من الباطون المسلح والعياذ بالله !

ولقد كان شأن الأبواق من الهتافة والامعات في قصة الحريري مضحكاً ومسلماً في آن

واحد . ذلك انهم بدوا كما يبدو الذين يستأجرهم أصحاب المحلات في مواسم الاوكازيون والتصفية . . . يحملون الياقات فوق رؤوسهم وعلى ظهورهم ويسرحون في الشوارع العامة . أو يقفون أمام أبواب المخازن وهم يقرعون الجرس ويرسلون الأصوات الجمهورية :

« أوكازيون على عموم البضائع . . . »

« هلموا وشاهدوا تجددوا ما يسركم . . . »

« اليوم ولا كل يوم على أكبر أوكازيون »

ومضت الاوركسترا المعهودة تعزف الحان الأزمة التي قامت في دمشق . وفجأة ودون أن يخطر على بال أحدهم بأنها ستنتهي بسرعة ، قضى الأمر فعزل الحريري وأبعد عن دمشق في ساعات معدودات ، وضاعت الفرصة على المهتافة اللعوقين المطبلين المزمزين من الأذنان والامعات ! وكل أزمة على طراز الأزمة الحريرية ، برداً وحريراً وسلاماً على قلوب الحاكين في سوريا والعراق ، وشوكاً وفتناً وحصرماً في أعين الشامتين المتربصين الوالغين اللعوقين . . . والله أكبر والعزة للعرب ! .

عرب- الجزائر- اليمن

واسرائيل !

من آيات الانسجام العربي والتنسيق العبقري في سياسة الحكومات العربية التي ظهرت حتى الأمس - والخير لقدام - حول قضية تحويل مجرى الأردن . ما حفلت به الصحف من بيانات ونصاريح عجيبة غريبة .

فقد كتبت الصحف تقول أن حكومة الأردن تقدمت الى الأمين العام للجامعة العربية بمشروع اقتراح يدعو الى تقديم شكوى عربية مشتركة إلى مجلس الأمن ضد محاولة اسرائيل تحويل مجرى نهر الأردن . وان « الدوائر العربية » أي القاهرة أعلنت معارضتها الشديدة للاقتراح الأردني . باعتبار أن تقديم مثل هذه الشكوى سيعطي اسرائيل فرصة لدعم دعاياتها في العالم عن قوتها العسكرية . كما أن بحث القضية في مجلس الأمن من شأنه إفساح المجال لاسرائيل لتقوية ما تدعيه من « حقوق تاريخية وقانونية » بالمياه العربية .

ومن حق الدوائر العربية في القاهرة أن ترى هذا الرأي إذا كانت لديها وسيلة أخرى ناجعة لردع اسرائيل عن محاولتها الآثمة ، فلقد بلونا ثقافة اسلوب الشكاوى ضد اسرائيل !

ومن آيات المفارقات أن الأستاذ صائب سلام قد أذاع بياناً حذر فيه الدول العربية من خطورة الأعمال التي تقوم بها اسرائيل على ضفاف بحيرة طبريا . . .

وختم الأستاذ سلام بيانه طالباً من الحكومات العربية رفع شكوى عاجلة للأمم المتحدة لتثبيت حق العرب القانوني بالمياه .

ولست أدري اذا كان صائب بك قد أطلع على رأي الدوائر العربية في القاهرة ووقف على رأيها بأمر تقديم الشكاوى ضد اسرائيل . فقد كان ينبغي على صائب بك وهو حميم الصلة والصداقة بالمسؤولين المصريين أو على الأقل بممثليهم . . . أن يكون على تماس برأيهم وخاصة في هذه الأيام التي تضاربت وتشابكت واختلفت وتناطحت فيها الآراء والاجتهادات !

موقف دمشق من هذه الأزمة بلغ الذروة في الانسجام والواقعية !

فلقد صرح رئيس الحكومة السورية منذ أيام قليلة أن سوريا لن تقف مكتوفة الأيدي أمام محاولة اسرائيل تحويل مجرى الأردن ، وانها - أي حكومة دمشق - ستلجأ الى القوة لردع اسرائيل وايقافها عند حدها !

وأمس ، نشرت الصحف إلى جانب بيان صائب سلام الذي يدعو فيه إلى رفع شكوى ضد اسرائيل ، وإلى جانب تحذير الدوائر العربية في القاهرة ، من الأخذ بالاقتراح الأردني ورفع الشكوى . . .

نشرت الصحف أمس تقول ان الأمين العام للجامعة العربية قد تباحث مع المسؤولين السوريين حول الاقتراح الاردني فوجد أنه قد لاقى قبولا من رئيس حكومة دمشق !

* * *

وبعد ، من قال ان الحكومات العربية لا تنهض بالأمر العظيم الذي أوكلته لها شعوبها ؟ ومن قال أنها لا تعمل على أحدث قواعد الانسجام العبري العربي و « التكتيك » الجهنمي الذي سينقذ مياه الأردن من التحويل وينقذ بالتالي فلسطين ؟ !

محادثات عربية !

المشكلة التي تواجهها دول الجامعة العربية في هذه الآونة ، هي اختيار المكان الذي ترضى عنه الدول الأعضاء ، دون أن تغضب أو تحرد أو تمتنع إحداها عن الحضور وتقاطع الاجتماع . فليس سرا القول بأن التناحر والتشاحن بين سادة العواصم العربية ، قد بلغ الاوج . وليس ينفي أبناء الخصام أو يقلل من حدة الغضب والاضطراب القائم على قدم وساق بين معظم الحكومات العربية ، ليس ينفي هذا أو يكسر من حدته ، مجرد اتهامنا بتهمة « الطابور الخامس » إذا قلنا بأن مجلس الجامعة العربية قد انعقد في بيروت ، نتيجة الخلافات والانقسامات التي ذرت قرونها بين السادة النجب ، اللهم الا ان تكون العاصمة اللبنانية مكاناً مشبوهاً ، تستأهل معه تهمة الطابور الخامس !

فلقد أثبتت بيروت ، وأثبت رئيس لبنان المترفع عن الحصومات والأحقاد والمكائد ، أن جو العاصمة اللبنانية أثقى الأجواء العربية وأصفاها وخاصة في هذه الأيام بالذات !

ويخطيء من يعتقد ، ان السادة النجب ، سادة العرفان والأدب ، تهمهم قضية تحويل مجرى مياه الأردن - التي تعمل اسرائيل جاهدة من أجلها - كما تهمهم « قضية » المكان الذي سوف تجتمع فيه الجامعة العربية !

فالقضية القضية ، والمشكلة المشكلة ، هي أين يكون الاجتماع ؟ في القاهرة أم في دمشق أم في الرياض أم في بغداد أم في عمان ؟

فالقاهرة كما هو معروف ، زعلانة من دمشق ومن عمان ومن الرياض ومن بغداد ومن تعز مكان !

والعراق زعلان من القاهرة ، وعاتب غضبان على الرياض وعلى عمان ، ودعونا من الكويت .

فجيش العراق ما يزال يهدد ويتوعد بالزحف واخضاع حاكم الكويت ، القائمقام المتمرد على لإرادة السلطان عبد الكريم خان !

وعمان لا تقبل « والسما زرقا » بعقد مجلس الجامعة في القاهرة ، وتفضل أن يعقد الاجتماع في الرياض . . .

ودمشق تفضل أن يكون المكان في بيروت ، كحل وسط وليس حباً بلبنان !
وتقف الجامعة العربية - التي أصبحت كسمار جحا المشهور - تقف بين مختلف الاهواء والآراء المتشاكسة المتضاربة ، كما يقف حمار الشيخ في العقبة . . لا إلى الأمام ولا إلى الوراء .
لا إلى اليمين ولا إلى اليسار .

ولو ان اجتماع مجلس الجامعة العربية الذي يتخاقل عليه السادة النجب « سيشيل الزير من البير » أو أنه سيفلق البعرة ، لكيلا نقول أنه سيعمل فعلاً لا قولاً على منع اسرائيل من تحويل مجرى مياه الأردن - لو ان هذا الاجتماع السعيد المنشود سيجدي أو سيؤتي ثمرة ما :
لأن المصاب بالسادة النجب وبمشاحناتهم ومناكفاتهم ، التي أخذتنا منها ومنهم جشأة القبيء « ولعيان » النفس !

ولكن ، أي خير سيصيب البلاد العربية من اجتماع يضم القادة المتنافرين المتخاصمين الحاقدين ، المتربصين بعضهم ببعض كألد الخصوم والأعداء ؟ !

خطب وبيانات ومقررات ، على أحسن الافتراضات ، هذا اذا لم يتحول الاجتماع إلى سوق عكاظ تتبارى فيه القصائد والاراجيز بالشتم والهجو والتلديد . . . وليس عهدنا بأرجوزة لإمام اليمن ببعيد !

وعلى ذكر اليمن وإمام اليمن . . . ترى لماذا يفكر السادة النجب ، سادة العرفان والأدب باقامة الاجتماع هناك في صنعاء أو تعز ؟ !

صحيح أن اليمن السعيدة قد انسلخت عن الوحدة مع مصر ولكن الصحيح أيضاً ان أمير المؤمنين الامام ، يعمل على تمتين صلات الود مع القاهرة في هذه الايام ، ولا عبرة للارجوزة فهذه نقرة وهذه نقرة كما يقولون في مصر . . . ثم ان شيطان الشعر ، شيطان ماكر لثيم ، لقد غافل قريحة الامام وكان ما كان !

حقاً انه خير حل يرضي جميع الفرقاء من السادة القادة الزعماء . .
لقد جاء الترياق في هذه المرة من اليمن السعيدة وليس من العراق !

إن تعز هي المكان الملائم لاجتماع شمل الاحباب . وقصيدة ترحيبية من الإمام كافية لغسل الصدور وشفائها من الأحقاد .

وارجوزة واحدة من أمير المؤمنين كافية لأن تكلل اجتماع الجامعة بالنصر المؤزر المبين .
وتقف بالتالي سداً منيعاً في وجه تحويل مجرى مياه الأردن . . . ومن يدري فلعلها تكون القاضية على اسرائيل وانقاذ فلسطين . . . قولوا آمين !

بمناسبة أزمة الكويت !

كنا في لبنان نلوم أنفسنا على سياسة حكومتنا الخارجية . كنا نجد في دبلوماسية نفرض اليد والابتعاد عن المشاكل التي تتميز بها أعمالنا على الصعيد العربي والعالمي عيباً نأخذ به على المسؤولين عندنا . وكنا نلج بضرورة اتباع سياسة طموحة ذات حيوية وحركة ودور . وكثيرة كانت الاصوات التي تقول بوجود التشبه بهذه أو تلك من الحكومات العربية الشقيقة التي تتصف دبلوماسيتها بالاقدام وعدم التملص من مواجهة المشاكل والنهوض بالمسؤوليات . لقد كنا نحسب أنفسنا متخلفين عن غيرنا في هذا الميدان . وبالفعل كانت هناك شواهد عديدة تدعم مثل هذا الظن .

الى ان جاءت حوادث الكويت الأخيرة ، فاذا بالموقف الذي كدنا نحسبه خاصة لبنانية يصبح موقفاً عربياً عاماً . فأكثر الحكومات العربية اتبعت في معالجة موضوع الكويت نفس الاسلوب الذي يتبعه لبنان في العادة أمام أي مشكلة من المشاكل العربية أو العالمية . لقد نفضت معظم هذه الحكومات يدها ، وابتعدت عن معالجة المشكلة القائمة ومواجهتها ، كأن الامر لا يعدو أن يكون أمراً طبيعياً لا مجال بل لا ضرورة للوقوف موقفاً ما منه . فجأة أصبح الاستاذ فيليب تقلاً موجوداً ان لم يكن بجسمه فبروحه في القاهرة وفي عمان وفي الخرطوم وفي الدار البيضاء وفي تونس الخضراء إلى آخره . . .

وفجأة تحلت الحكومات الثورية عن ثورتها ، وطلقت السياسات الصريحة صراحتها . ومالت الطبائع العنيفة الى اللين والوداعة ، وأصبح المقياس هو البعد عن المشكلة لا مواجهتها . ان أقل ما يقال في الموقف الذي وقفه وتقفه الحكومات العربية من قضية الكويت ، هو انه موقف لا يمكن قبوله من لبنان على الرغم من ظروفه ووضايعه . فكيف يمكن قبوله من غير لبنان من الدول العربية ، التي ليس لها ظروف لبنان ولا لها اوضاعه ؟

يقول مثل صيني : « مجنون من يركض حين يمكنه أن يمشي الهويناً . ومجنون من يمشي

حين يمكنه أن يجلس . ومجنون من يجلس حين يستطيع أن يستلقي .
هذا المثل الصيني ما أجدره ان يكون رمزاً للدبلوماسية العربية ، كما أظهرتها حوادث الكويت
الاخيرة !

كنا نحسبه مثلاً صينياً صبيغ خصيصاً لنا في لبنان ليكون تصويراً لسياستنا الخارجية ، فاذا
بالمثل الصيني شعار لمعظم الحكومات العربية في الازمة الحاضرة !

أزمة الكويت !

هذه النهاية الفاجعة التي انتهت اليها قضية الكويت بانزال جيش اجنبي على الارض
الكويتية ، من هو المسؤول عنها ؟
هل المسؤول عبد الكريم قاسم أم المسؤول الحكام العرب الذين لم يبادروا الى وضع حل
مشرف للمشكلة ، أم المسؤول شيوخ الكويت الذين جرؤوا على استدعاء الاجنبي ؟
من هو المسؤول عن هذه النهاية الفاجعة التي أصبحت هي لا عبد الكريم قاسم ولا احد
غيره ، القضية التي ينبغي ان تعالج ؟
ليس المهم أن نحدد المسؤولية ، فقد تأتت الأيام بتحديد غير الذي قد يصل اليه الناس
اليوم .

ولكن المهم أن نقيس بطريقة واضحة ضعف الجبهة العربية وتفكك القادة العرب وعجزهم
عن مواجهة المشاكل .

حقاً انه لشعور مخزي ومؤلم وغيف هذا الشعور الذي ملأ قلب كل مواطن في كل وطن
عربي ، وهو يرى الفشل العربي الذي تمثل في النهاية الفاجعة في الكويت . . . اليوم ، عجز
عن مواجهة مشكلة الكويت ! ترى من يلدي ما هي القضية التي يفشل فيها العرب غداً او
بعد غد ؟ كل الدلائل تدل على أن الحرب مع اسرائيل قد تقع في القريب .

ان اسرائيل من جهة ، والدول العربية من جهة أخرى وفي طليعتها الجمهورية العربية المتحدة
متفقة على أن حرباً ستقع لا محالة بسبب اصرار تحويل اسرائيل لمجرى نهر الاردن .

فهل نحن فعلاً في مستوى هذا الحادث القادم ؟

وهل ان الجبهة العربية التي رأيناها تتصرف على الشكل الذي تصرفت فيه في الكويت ،
قادرة على أن تتصرف في موضوع آخر ، بغير الشكل الذي تصرفت به ؟ ومن الذي قال ان مسألة
فلسطين ستكون أقل صعوبة وأقل تعقيداً من قضية الكويت ؟

لا نؤمن بالتشاؤم . ولكننا مع ذلك مضطرون لأن نسجل جزع المواطن العربي في كل وطن عربي ، أمام مظهر الخور والعجز الذي تبدى من خلال أزمة الكويت !
الدول العربية ، الحكومات العربية ، الملوك العرب ، الرؤساء العرب ، المسؤولون العرب ، القادة العرب . . . هذه الالفاظ التي كانت تعني التقصير والتخاذل والتفرقة ، وأحياناً الحياة عام ١٩٤٨ ، كادت تعود لتعني الشيء نفسه عام ١٩٦١ على أثر المزيمة الشنعاء التي منيت بها الكويت !

بعد ثلاثة عشر عاماً من الانقلابات والثورات ، وتبدل الاحكام والحكومات ، تبدو الجبهة العربية مفككة منحلة بشكل مخيف للغاية .
سؤالان ينبغي أن يكونا كل شيء في تفكير كل عربي ، في الوقت الحاضر : الاول - كيف نزيل الاحتلال القائم اليوم في الكويت . والثاني - وربما هو الأهم - كيف يمكن أن نكون في الغد ، وفي قضية فلسطين بوجه خاص ، غير ما كنا عليه في الكويت !

بين الجَدِّ والهزل !

من الاشياء الجميلة التي يفتخر بها لبنان ، كونه على حياد دائم في شتى المنازعات والخلافات التي تقوم بين البلدان العربية . . .

مركز ممتاز بل استثناء أختص به لبنان دون سائر الاقطار العربية ، لعل موقعه ووضعها الخاص المميز ، بالإضافة الى جو الحرية المفعم به أهله وأرضه وسماؤه ، قد أبعدته وأفرده عن الدخول في المشاحنات وما تجره من ذبول ، وبالتالي أتاح له أن يكون وسيط خير بين أشقائه الدول العربية في كل مرة يحتدم فيها الخلاف .

ولقد برز وجه لبنان واضحاً منذ ان ذر قرن الخلاف بين العراق والكويت أثر التصريح المدوي الذي أطلقه عبد الكريم قاسم في ساعة مباغتة لم يكن يتوقعها أحد لا من الكويتيين ولا حتى من العراقيين .

فقد تريت لبنان ، وما كان ينبغي له الا أن يترث ، وصمت المسؤولون فيه صمتاً جميلاً ، بينما ارتفعت الأصوات من كل جانب تنادي بالويل والثبور وعظائم الامور ، ولبست كل دولة لباس الميدان فجيشت الجيوش ، وتدفقت العساكر تتسابق لدخول الكويت او الاكتفاء بالوقوف على الحدود وهذا أضعف الايمان !

ومن المؤسف المحزن ، والمضحك المبكي في آن واحد ، أن تندفق عساكر الدول العربية على حدود الكويت بينما توالي اسرائيل اعتداءاتها المتكررة المبيتة ، حتى بلغت السبعة في مدة عشرة أيام . . .

من المؤسف المخزي حقاً ، والمضحك المبكي فعلاً ، ان تنصرف الجيوش العربية عن واجبها الاول وما خلقت له . . . وواجبها وما خلقت له ، هو التأهب للقاء العدو المشترك الذي يهدد كل بلد عربي ويتحين الفرص للانقضاض والاعتداء .

ان الأزمة التي نشبت بين الكويت والعراق بغض النظر عن وجهات النظر مهما كانت وجاهتها وجديتها ، تبدو في هذا الظرف بالذات ، وكأنها أزمة مفتعلة ، سداها ولحمتها صرف الجهود — إذا كان ثمة من جهود — عن مواجهة الخطر الاسرائيلي الذي يتفاقم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة .

لا نعلم نوايا عبد الكريم قاسم الحقيقية تجاه الكويت ، هل هو يعني حقاً ما يقول ، أم ان الأمر لا يعدو أن يكون أكثر من نكتة أطلقها ، حين خلع على حاكم الكويت لقب قائمقام ، وطلب منه قبول هذا المنصب الجديد . وقد كان بميسور عبد الكريم قاسم أن يعينه نائب حاكم أو نائب رئيس أو أي منصب آخر غير منصب القائمقام ، ولكن لامر ما لا يعلمه غير عبد الكريم قاسم استكثر على حاكم الكويت أن يكون أكثر من قائمقام .

يقول بعضهم أن المسألة جدية لا أثر للهزل فيها .

ويقول البعض الآخر بل هي هزلية لا أثر للجد فيها !

وبين الهزل والجد ، يقف لبنان من هذه القضية وقفته التاريخية . . . وقفة الوسيط ، وسيط الخير الذي يدعو الى الهدوء والروية وتغليب العقل والمصلحة العربية .

ولكن أين هو العقل ؟

أهو في العراق أم في الكويت أم في السعودية أم في حضر موت ؟

بل أين هي المصلحة العربية ؟

أهي في الحشودات التي تحشد الجيوش العربية على حدود البلاد العربية ؟

أم تراها هناك تجثم على الحدود . . . الحدود المصطنعة التي أقامها شذاذ الآفاق بعد أن اقتطعوا منا فلسطين ويطلبون المزيد ؟ !

شكوى سوريا
من التسلسل !

من المحزن لعائد من اوربا وصور التقدم والحضارة وبناء الأوطان ملء مخيلته ، أن يواجه أول ما يواجه اجتماعاً يعقد في بلده للجامعة العربية !
فما من رمز عن الحالة التي يعيش فيها العرب في هذه المرحلة من حياتهم اصرح وأوضح وأصرخ من هذا الكيان المضحك المبكي العاجز التاعس الذي يسمى بالجامعة العربية !
العالم يعيش عصر القنبلة الذرية والسفن الفضائية ، ونحن نعيش عصر الجامعة العربية !
على أي موضوع ومن أجل أي شيء تنعقد الجامعة اليوم ؟
إنها تنعقد على ما عرفنا وسمعنا وأمنا وصدقنا لبحث التدخل المصري في سوريا .
موضوع تافه الى أبعد حدود التفاهة .
من الذي ينكر هذا التدخل ؟
أليس عبد الناصر نفسه هو الذي خطب منذ أيام قليلة وأعلن بوضوح ما بعده وضوح وجرأة ما بعدها جرأة أنه سيتدخل في سوريا ؟
فهل يبقى مجال لقائل أن يقول : تدخل أو لم يتدخل ؟ مديده الى سوريا أم لم يمد ؟
ثم لو فرضنا ان هذا الموضوع موضوع جدي ، وإن المسألة تحتاج الالخذ والرد والبحث والنقاش والحجج والمستندات ، أمن المعقول أن ننتظر من الجامعة العربية — وهي من نعرف — نتيجة حاسمة ما ؟
هل يصح أن يتوقع عاقل من الجامعة العربية عملاً مجدياً أو قولاً جلياً ؟ أقسم لو ان الجامعة قد استطاعت للمرة الأولى في حياتها أن تتخذ قراراً بمناسبة الشكوى السورية لكنت أنا شخصياً من اللاتمين العاتبين على الجامعة ورجال الجامعة !
عندئذ لا يمكن أن يخطر على بالي إلا طائفة من الاسئلة :
أفي هذه القضية وحدها طاب للجامعة أن تتوصل إلى قرار ؟
أين كانت الجامعة أيام فلسطين ؟
أين كانت الجامعة يوم العدوان على السويس ؟
أين كانت الجامعة يوم شكنا لبنان من التدخل وكانت شكواه اصرح وأقوى وأوضح من الشكوى السورية اليوم ؟
أين كانت الجامعة يوم جاء الأسطول الاميركي إلى لبنان ويوم نزل الانكليز في الأردن ؟
إن الجامعة العربية تخرج عن تقاليدها وتتكرر لتاريخها الحافل وربما فتحت على نفسها

باباً جديداً للوم والتفريع إذا هي تمكنت من الوصول إلى حل واضح حاسم لما تجتمع من أجله اليوم !

لقد أصبح لي رأي واضح في هذه الجامعة وأنه رأي قديم عريق في قدمه — وهو أن تسعى الجامعة لأن تختفي من الأخبار ومن عناوين الصحف ومن مسرح الأحداث أكثر ما يمكن ، لأنها إذا ظهرت في أي ميدان من هذه الميادين ، فإنها لن تظهر إلا كصورة مكبرة للعيوب المخيفة التي تسلط اليوم على الأوضاع العربية !

حفلة سباب شتوار!

« وجع القلب » الذي صادفني طوال رحلتي إلى أوروبا لم يكن مفاجئاً لي ، فقد تنبأت به قبيل سفري وتنبأ لي به أصدقاؤني . . .

وجع القلب على الحالة الناعسة التي نعيش في أسرها ، والفوضى الممتازة التي نتخطب فيها في جميع المجالات .

وجع القلب هذا الذي لازمني شهراً كاملاً ، عاد اليوم يتجسد في الصورة الزرية التي طالعنا بها أولى حفلات الشتم والردح الدائرة في شتورا على ألسنة الممثلين والمبعوثين في الجامعة العربية .

ومن نكد الدنيا على لبنان أن تتحول ربوعه ، وهي التي كانت حتى الأمس القريب محطة التقاء بين الأخوة والأشقاء ، إلى ساحة عراك وسوق عكاظ ، ولكن من نوع جديد لا عهد به للأدب العربي القديم والحديث . . .

ساحة عراك لم ينقصها غير المسدسات والخناجر والنباييت . بل لقد استعاض عنها الفريقان المختلفان المتنازعان المتشائم ، بطائفة مختارة وغير مختارة من السباب والشتائم !

وسوق عكاظ كان المجلي فيه وصاحب القدح المعلى ، هو صاحب الكعب الأعلى في ميدان الردح والدم والتشهير .

ولست أقول أن البقر تشابه علينا فما استطعنا أن نميز بين أصحاب الكعوب العالية والواطية ، فكلهم والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه — ممن تشرف بهم أمثال هذه الحفلات والميادين ، حفلات الشتم والتسفيه وميادين القدح والدم والتحقيق .

ومن المؤسف المحزن أن أحداً من المتصارعين في شتورا لم يستشعر بصغار ومهانة العمل الذي يؤديه وكأنه واجب وطني يدعو للتباهي والفخر . بل ان كلا منهم يمضي في السوق القائمة

— السوق العربية المشتركة — مرفوع الرأس عالي الجبين مشرق الوجه ضاحك الثغر مستكملاً أسباب الاناقة والوجاهة وكأنه في عرس عربي لا في مأتم عربي !
ولم لا ؟

ان الشتائم والسباب وصفائح الأقدار التي يهيلونها على بعضهم بعضاً ، لا تصيب — مع الأسف الشديد — رأساً واحداً ولا جبيناً واحداً ولا هامة واحدة من رؤوس وهامات السادة المحتفلين بمهرجانهم ، مهرجان الشتم . . . فلقد دفعوا اليه دفعاً وكأنه ليس بينهم في قليل أو كثير !

أجل ، ما من أحد من السادة الانطاع استشعر لحظة واحدة بأنه مقصود بالذات بمحملات السباب العلنية التي تقاذفوها . ذلك أنهم جميعاً انما كانوا في حقيقة الأمر يسدون سهامهم ويوجهون شتائمهم إلى كل بلد عربي وكل مواطن عربي .
ولم تكن مهمتهم في « السوق العربية المشتركة » أكثر من مهمة الكومبارس على خشبات المسارح الليلية !

إذا حق لاوروبا أن تتباهى بالسوق الأوروبية المشتركة فمن حق الدول العربية أن تنجمل من هذه السوق العربية المشتركة التي تعرض اليوم في شتورا .

بيضة الشكوى السورية !

وأخيراً ، ولكن بعد خراب البصرة ، وبعد أن أشبعت شرشحة وبهدة ، أنسجت مصر من الجامعة العربية .

وقد كان يبدو انسحاب القاهرة قبل الشكوى السورية عملاً مشكوراً مبروراً . وكان يبدو قبل هذا التاريخ بالذات وعلى وجه التحديد منذ قيام الثورة المصرية ، مأثرة وطنية كبرى وخدمة عربية جلى ، لو ان قادة مصر التفتوا إلى حاجات الشعب في مصر أولاً بعد أن تخلصوا من الملكية وقضوا على الاقطاعية وقفزوا تلك القفزات السريعة نحو العلاء .

كان يبدو انسحاب مصر يومئذ أمراً طبيعياً ينسجم مع روح الثورة المصرية ومتطلباتها وغاياتها التي تتنافى وتتجافى مع فلسفة وغايات ومتطلبات الجامعة العربية .

ولكن ، لأمر بات معروفاً وسر لم يعد خافياً ، أبت « مصر الثورة » إلا أن تنكر لروح الثورة وتنحرف عن أهدافها ، وتنغمس حتى آذانها في مستنقع السياسة التقليدية التي درجت عليها الجامعة العربية ، فأصبح الرجال العسكريون الثائرون يقتفون آثار السياسيين المخضرمين وينهجون على منوالهم ويدولون عليهم في الكذب والتدليس والنفاق !

أكثر من هذا ، استطاعوا من حيث يريدون أو لا يريدون أن يزرعوا في نفوس جيل كامل من الشباب القلق ويشيعوا التشاؤم ، ويزرعوا الثقة بكل القيم والمثل التي تملأها طوبىا وبنا عليها الآمال العذاب يوم انبثق فجر الثورة المصرية .

وانسأقت « مصر الثورة » في تيار المزايدات والمناقصات في سوق الجامعة ، وغرقت في خضم الصداقات والعداوات ، وخيل إليها أنها قد برعت وتفوقت في ميدان اللف والدوران ، ولكنها باءت بالخيبة والفشل والخسران . فلقد هادنت الرجعية ثم حاربتها ثم هادنتها ثم حاربتها . مدت يدها الى الملوك والامراء والسيوف ، فصادقتهم وحالفتهم وانتصرت لهم ، ثم انقلبت عليهم وحاربتهم . ثم هادنتهم وأمطرهم حمداً وثناء ، ثم خاصمتهم وأغرقتهم قحداً وذماً وهجاء . وجاءت الطامة الكبرى ، فكانت تجربة الوحدة الفاشلة أساساً ونظاماً وأسلوباً ، والتي باضت فكانت آخر بيضتها الشكوى السورية ، وكان من نتائجها انسحاب القاهرة من جامعة الدول العربية .

وما من مواطن عربي إلا ويدكر أن هذه الجامعة هي ربيبة القاهرة ، رعتها ودلتها كما ترعى الأم وليدها وتدله .

وما من مواطن عربي إلا ويدكر أيضاً ، ان هذه الجامعة ، كانت منذ ولادتها جامعة مصائب وهموم للبلاد العربية . فلقد كانت غريبة عن عواطف وأحاسيس الشعوب ، لا تمثل إلا طبقة عنة من السياسيين ، وأسلوباً هراماً متآكلًا من السياسة البالية . ومع ذلك فقد ظلت مصر — ولست أقول شعب مصر — أحرص الحريصين على بقاء الجامعة .

إن انسحاب مصر من الجامعة العربية مهما كانت مبرراته ليس يعني في أذهان الناس إلا أمراً واحداً ، هو التهرب من مواجهة الشكوى السورية ونتائجها ، وبالتالي تأكيد الاتهامات والوثائق التي وجهت إليها .

وليس يعلنها الناس احتجاجها على الشنائم ، فتلك بضاعتها ردت إليها وكما تدين تدان ، وبالكيل الذي تكيلون به يكال لكم وأزود !

* * *

إن خروج القاهرة من الجامعة العربية إنما يعني تأكيد الحكم على فسادها وفساد الركائز التي قامت عليها .

فلقد وضحت مبررات قيام الجامعة بوضوح المصالح الخصوصية والأهواء الشخصية التي عصفت بها ومزقتها شر ممزق !

لقد أرادتها الحكومات العربية مطية لمصالحها ومصالح رؤسائها لا لمصالح شعوبها ، فلا غرابة أن تنهار وقد كانت الغرابة كل الغرابة أن تبقى كما هي مصدر العلل والمصائب والمتاعب !

• • •

إن الحزن الذي يعصف بنفوس المواطنين العرب في كل بلد عربي ، ليس حزناً على هذا المصير الذي انتهت اليه الجامعة ، إنما الحزن والحسرات على أن يفتحوا أعينهم على بديل عن الجامعة يعوضهم عنها فلا يجدونه وتلك هي المأساة ، وتلك هي الكارثة !

حفلة سباب شتورا !

لم يكتف العرب الأشاوس والفرسان المغاوير في شتورا بأن يتبادلوا التهم ويتقاذفوا الشتائم ويصدعوا الصفوف وينهشوا لحوم بعضهم بعضاً ، بل تطرقوا إلى أشد من هذا وأخطر ، وتردوا في ثورة هي أدهى وأمر .

فقد بدأوا بتمزيق الستائر والحجب الشفافة التي كانت حتى أمس القريب تحجبهم عن اسرائيل وتحجب معها أسرار البلاد العربية والجيش العربية والاسلحة العربية سواء في سوريا أو في مصر .

ذلك أن أبطال شتورا راحوا يمدون اسرائيل بكل أو ببعض ما خفي على اسرائيل من أسلحة الجيش المصري وأسلحة الجيش السوري من طائرات وقاذفات قنابل ومدفعية وغيرها من الأسلحة التي ينبغي أن تظل سرّاً حتى لو توصل العدو إلى معرفتها أو معرفة بعضها .

فأسرار الجيشين السوري والمصري بضباطه وصف ضباطه وأسلحته وذخيرته وأعتدته باتت بفضل البيانات والخطب والاتهامات في شتورا مفضوحة مكشوفة تذاع وتنشر على مسمع العالم في الاذاعات والصحف ، وكأنها « روزنامة » العمل العربي للمستقبل في سبيل نجدة فلسطين والوصول بالشعوب العربية إلى حياة أفضل . وأشد ما يذهل ويصعق أن السباق بين الفريقين على أشده ، سباق لا عهد للعرب به ولا نظير له في جميع ميادين السباق ، سداد ولحمته الشرشرة وكشف العورات وفضح الاسرار والابانة عن جميع المفاصل والأخطاء التي عشت وتعثش في ضمير الخطاة من المسؤولين سواء أكانوا في القاهرة أو دمشق .

وأعجب الأعاجيب في هذه الجنازة الحامية التي يحتفل الطرفان باقامتها ، أن الموضوع الاساسي ، موضوع النزاع الظاهري ، براء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

فالوحدة العربية — كلمة الحق التي يراد بها باطل — آخر ما يفكر به دعاها اليوم في شتورا ومن هم وراءها خارج شتورا .

فما من بني آدم عاقل — ولا أقول زعيم أو كبير أو مسؤول — عرف وعاش تجربة الوحدة بين مصر وسوريا وشاهد آثارها العملية ونتائجها التي تمخضت عنها ، إلا واتعظ بنتائجها وتجنب خطر الوقوع في تجربتها مرة ثانية .

ومع ذلك وبالرغم مما شاهدنا وسمعنا وقرأنا من أخبار الأبطال في شتورا وفضائحهم وخطاياهم ، فإن ثمة أناساً ما زالوا يفكرون ويطمحون ويعملون للوقوع في التجربة مجدداً ، وكأنها أكلة دسمة للذئبة . وهنا مكمن الداء وموضع العلة ومصدر المصائب والبلاء .

فالكتاب « الملهفوت » الذي كان يؤكد عقب حركة الانفصال في جريدة « الاهرام » بأن لا عودة إلى التفكير بأمر الوحدة ، عاد بعد أيام يؤكد ويطالب بضرورة العمل لاعادة الوحدة بين مصر وسوريا . حتى لكأن الوحدة العربية ما قامت في أذهان العرب إلا لتفككه وتسليته وسمرة التافهين من الجهلة والأذئاب اللعوقين .

والجهاز العبقري بتفاحته ، الالهي بجهله وغبائه ، الذي خطط وعمل ونفذ حكاية الوحدة عاد من جديد بعد فك الوحدة يعمل وينشط بالجهاز ذاته والاساليب عينها والافراد أنفسهم ، وكأن شيئاً لم يحدث وتجربة لم تقع ، وكارثة لم تحل !
جهل موشى بأحداث أفانين الغباء . وغباء مطرز بأعجب أنواع العناد . وتلك هي قضيتنا ، وتلك هي كارثتنا . . .

وليست فضائح شتورا إلا بعض فصولها !

تياقرو جديد !

للمرة الاولى منذ زمن بعيد كانت عاطفتنا إلى جانب الجمهورية العربية المتحدة في نزاع لها مع بلد عربي . فنحن يشهد الله لم يطربنا هذا التجني الذي تجناه بعض من كان في شتورا على شخص الرئيس عبد الناصر ، فلقد عمل هذا الرجل لمصر وعمل للعرب ما لا يستحق معه مثل هذا الهجوم العنيف .

وكنا ننتظر من جانب الرئيس عبد الناصر بادرة معقولة في السياسة العربية تجعلنا نستعيد ثقتنا الضائعة منذ فترة غير قصيرة بحكمة سياسة الجمهورية العربية المتحدة وسدادها وتفهمها للظروف التاريخية الدقيقة التي تمر بها البلاد العربية .

وقلنا لعلها العبرة تملي على الدولة العربية الكبرى البادرة المطلوبة ؟
ولكن ماذا حدث ؟
حدث العكس تماماً ، إذ لم تكن العبرة في نظر المسؤولين في مصر إلا اختراع بدعة جديدة
تدل على الاستمرار في الشطط ، هي بدعة « جامعة الشعوب العربية » والعياذ بالله !
ألا بشت البشرى !
أفيكون الدواء أمعناً في الداء ؟
ألم تفهم مصر حتى اليوم ان أصل البلاء في سياستها العربية انما هو اعتمادها على فئات
من المطبلين والمزمرين والمهرجين ، زعموا وزعمت أنهم يمثلون الشعوب العربية ، وهم في الحقيقة
لا يمثلون إلا مصالحهم وعبقريتهم الفذة في النفاق والمتاجرة باسم عبد الناصر ؟
جامعة شعوب ؟
من هم هؤلاء الذين سيمثلون غداً في صفوف هذه الجامعة ؟
من الذي سيمثل شعب العراق ؟
ومن الذي سيمثل شعب الاردن ؟
ومن الذي سيمثل شعب السعودية ؟
ومن الذي سيمثل شعب اليمن السعيدة ؟
ومن سيمثل شعب لبنان ؟
ومن سيمثل شعب سوريا ؟
بل أين سيكون التمثيل وأين تكون الجامعة وفي أي بلد ؟
هل تكون جامعة الشعوب في القاهرة أم في بغداد أم في دمشق أم في بيروت أم في عمان أم
في تعز أم في الطائف ؟
أم تراها تكون جامعة متجولة كالباعة « السريحة » الذين يسرحون ببضاعتهم وينادون عليها ؟
قد يبدو هذا الأمر شيئاً ثانوياً ولكنه على العكس تماماً إنه أمر هام . فمن الواجب معرفة
المركز أو التياترو الجديد الذي ستعرض عليه جامعة الشعوب العربية العتيدة رواياتها ومسرحياتها ...
أو لم يفطن مؤخراً « كاتب التاريخ » والطبري المصري الجديد في جريدة الأهرام ، بأن الجامعة
العربية ليست إلا « تياترو » ؟
فأين يكون تياترو الجامعة الجديدة الذي يبشرنا به كاتب التاريخ ؟
لست أدري من عساه يكون صاحب فكرة جامعة الشعوب العربية .
هل هو دوقثور القومية العربية « م.ع.ق.ح. » ؟

أم الكاتب الجهاد ، كاتب التاريخ في جريدة الأهرام وطُبري آخر زمان « م.ح.ه. » ؟
 قد يكون أحدهما أو كليهما والجمهورية العربية المتحدة معذورة على كل حال إذا هي
 استعانت بهاتين العبقريتين ، فلقد خلت الساحة في مصر ونحلا الميدان لهُذين الفارسين المغوارين ،
 بعد أن خفتت أصوات أدباء مصر وكتابها وأحرارها ومفكرها وفلاسفتها وأهل الرأي فيها ولم يعد
 في الميدان غير حديدان !

~ * ~

لقد شاهدنا روايات الجامعة العربية ومسرحياتها طوال سبعة عشر عاماً وكانت آخر فصولها
 في شتورا . ولقد تقلب على مسارحها وزراء ورؤساء وقادة ورعماء ومجاهدون منهم من قضى
 ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً !
 فمن هم يا ترى الذين سيمثلون على خشبة مسرح جامعة الشعوب العربية ؟
 من الذي سيختارهم ويتخيرهم ؟
 من الذي سيدربهم على التمثيل ؟
 من هو المخرج ؟
 من هو الملحن ؟
 هل ترانا بحاجة الى مزيد من الروايات والتمثيلات وقد انخمنّا منها ؟ بل هل قادتنا إلا إلى
 المزيد من التفكك والتخزي والضياع ؟
 « اللهم أنا لا نسألك رد القضاء ولكننا نسألك اللطف به » !

الصيحة الداوية !

ليس أعجب من الجامعة ولا أطرف منها غير الحريصين أو « المتحارصين » عليها .
 فالذي يسمع يصدق . يصدق أن بقاءها فيه خير لدولها . ولا نقول لشعوبها التي ابتليت
 بها زهاء سبعة عشر عاماً ، فما غنمت منها غير الخيبة تلو الخيبة والفضيحة تلو الفضيحة . وما
 ذاقنا من خيراتها إلا ما ذاقه موظفوها الذين رتّعوا في ظلالها كما يرتع تنابلة التكايا . بل ان تنابلة
 السلطان كانوا يكتفون بالأكل والجلوس في الشمس والنوم الهنيء الطويل . أما تنابلة جامعة هذا
 الزمان ، فلم يكفهم عملهم الروتيني المعهود بل أضافوا اليه عملاً جديداً ويا له من عمل ، هو
 الاجتماعات تارة على مستوى السفراء ، وتارة على مستوى وزراء ، وطوراً على مستوى آخر من
 عيار أجارك الله . . . ولقد آتت هذه الحفلات والاجتماعات أكلها ، وأبنت ثمارها ، وقطفناها

وما زلنا نجني القطار ، ويا لها من ثمار ويا له من قطاف !
إن الدعوة النبيلة التي حمل لواءها الأمير اللواء فؤاد شهاب لجمع كلمة الدول العربية ،
والتي ظهرت ببادرته الأخيرة حيال الجامعة العربية ، إنما نفهمها بل نريد أن نفهمها على وجهها
التجريدي الخالص من كل شائبة ، الصافي من كل غرض أو هوى ، ألا وهو وضع حد للخرق
الذي اتسع . والهوة التي فغرت فاهها بين الدول العربية ، فنالت من سمعتها وكرامتها فرادى
ومجتمعة .

فانطلاقاً من هذه الزاوية نجب أن نرى وساطة رئيس الجمهورية اللبنانية في محاولته الأخيرة
حيال الجامعة العربية وما ألم بها ، أو على الأصح . ما ألم بشعوبها من ذل ومهانة تجاه شعوب
العالم عامة وإسرائيل خاصة !

لقد أثبتت اجتماعات شتورا المشؤومة . أن معظم حكام الجامعة العربية في واد والشعوب
العربية في واد آخر . فما من مواطن عربي إلا ساءته وأوجعته خفلات الشتائم والتجريح التي
قامت على قدم وساق .

فالبثاني والسوري والمصري والاردني والسعودي والعراقي والكويتي وكل مواطن عربي
وكل قطر عربي ، تمنى من صميم قلبه وضع حد لفصول تلك الرواية المخزية ما عدا أبطال
الرواية أنفسهم الذين مضوا وما زالوا يمشون في تهريجهم المخزي المغيب !

فأي خير عساه يصيب البلاد العربية والشعوب العربية من استمرار قيام الجامعة العربية ؟
هل ترانا بحاجة الى المزيد من اجتماعاتها وحفلاتها ؟ وهل فرغنا من سباب أعضائها وشتائمهم ،
بل هل فرغت جعبتهم من سيول الاتهامات والفضائح يتراشقونها وكأنها التحيات الطيبات
المباركات ؟

جامعة عربية توحد كلمة العرب وتجمع شملهم ؟
أمنية ليس أغلى ولا أعز ولا أدعى لمطلبها . ولكن أين هي ، وهي التي عرفنا وبلونا وذقنا ،
فكانت سبة ومهانة في جبين كل عربي ؟ !
أم عسانا نجريها سبعة عشر عاماً أخرى ، ومثلنا العربي الفصيح يقول : « من جرب المجرب
كان عقله مخرباً » ؟ !

مرة ثانية .

إن بادرة الرئيس فؤاد شهاب يجب أن تؤخذ وتفهم على وجهها النبيل الصافي ، وينبغي
أن تكون بمثابة الصيحة الداوية التي تفتح آذان المسؤولين العرب وقلوبهم ، فنبصرهم بالواقع
المرير الذي صارت اليه البلاد العربية . نتيجة هذه الملهاة المجرمة التي ألتهم وتلهيهم عن عدوهم
المشترك المتربص دائماً والمتحفز أبداً !

الترياق من اليمن !

العالم العربي في مهرجان كبير قائم قاعد . يكفي أن نستمع إلى اذاعته حتى نبين نوع المهرجان القائم في كل عاصمة من عواصمه .

فهنا الأفراح والليالي الملاح ، وهناك الأحزان والأتراح .

هنا التفاؤل والاستبشار ، وهناك صرير الأسنان والاكفهرار .

هنا الأمن والسلام : وهناك الكبت والضغط والاستسلام .

الحان مختلفة الاصداء والنعيمات . بعضها متشابهات وأخرى غير متشابهات . منها الصبا والبهوند ومنها الحجار ومنها النشاز . وجميعها تصدح في آن واحد وبلاغة واحدة مختلفة الالهجات متباينة الاتجاهات .

القاهرة في مهرجان تعلن فيه تسلم الرئيس عبد الناصر كل مقدرات ومرافق الجمهورية العربية المتحدة . من الرئاسة إلى القيادة إلى المجلس التنفيذي . إلى ابعاد الرفاق القدامى عن الوزارات ، إلى حق حل المجلس التنفيذي وإقامة الأعضاء والاطاحة بهم ساعة يشاء . إلى إلى آخره ، كل ذلك وفقاً لحدث النظم الديمقراطية وتمشياً مع روح الثورة الاشتراكية العربية التقدمية التحررية « ليمتد » !

ودمشق في مهرجان مستمر ، قام منذ عام ١٩٦١ في أعقاب ٢٨ أيلول ، وكنا نحسب أنه سيقعد أو على الأقل ستستبدل أنغامه والحانه بغير ما سمعنا ومللنا سماعه ، ولكن عبثاً فلقد تحولت أفراح دمشق إلى مهرجان للندب ولطم الحدود وشق الجيوب . واجترار للتهم والشائيم التي خيل لاذاعة دمشق أننا نسيناها ولم تصلنا أخبارها وأصدائها . فعاتت تكرورها بل تقيم لها مهرجاناً خاصاً أطلق عليه اسم مهرجان الانفصال أو عاشوراء الوحدة ! واليمن ، حتى اليمن السعيدة ، قد أدركتها عدوى المهرجانات ذانتفضت ، وكان من حقها أن تستيقظ قبل أن تنتفض ، لتقيم مهرجاناً على أشلاء الرؤوس والسيوف التي عاثت فيها فساداً واضمحلالاً وخنوعاً . وليس يلدي أحد ماذا تكون نهاية هذا المهرجان !

وعمان في مهرجان ، مهرجان التشفي والنكابة بعبد الناصر . حتى لو كان ذلك في انتصارها لسيوف الاسلام وشجيتها لثورة اليمن التي نجحت حتى الآن ، وماذا يضير إذا اعترفت روسيا بثورة اليمن ، يكفي أن عمان اعترفت بسيوف الاسلام الحسن !

والسعودية في مهرجان كله حذر وكله تربص لما تجبل به الليالي وما قد يلبده الزمان . . .

والليالي من الزمان حبالى يلدن كل عجيبة !

ترى أية عجيبة تنتظرها السعودية بعد ثورة اليمن . ؟

والعراق الغارق في الصمت ، لا يتكلم ولا ينتصب مهرجانه إلا إذا ذكر الكويت السليب ،
والقائمقامية المتمردة . . .

أما شعب العراق فانه ينتظر الترياق . وليس وحده بين الشعوب العربية التي تنتظر الترياق ،
فطالما انتظرته طويلاً وعقدت عليه الاماني العذاب وخيل إلى بعضها أنها وجدته ، فاذا بها
وقد أضلها السبيل اليه ، واذا بالترياق سراب في سراب ، يحسبه الظمان ماء وما هو بماء !
ترى هل يأتي الترياق هذه المرة من اليمن بعد أن تعذر مجيئه من العراق ومن غير العراق ؟
سيأتي أم لن يأتي ، شيء واحد نرجوه مخلصين ، هو أن يحمي الله الجرائر من هذه المهرجانات
القائمة في العواصم العربية ، وأن يقيها شر « العمل » العربي الذي ابتلانا به قادة الكلام وزعماء
الانشقاق والخصام .

وحسبنا الله ونعم الوكيل وانا لله وانا اليه راجعون ١

« انتصرنا انتصرنا » !

الانتصارات السلبية « تجرجر » ذبولها وتدق صنوجها في كل بلد عربي ، على أنغام اذاعاتها
المتعددة اللهجات المختلفة الموجات . . . وكلها تحور وتدور لتصب في مصب واحد وعلى
وتيرة واحدة ، وان اختلفت الغايات وتباينت الأهداف ، لقد جمعتها المصائب والنكبات في
هذا المهرجان الكبير الذي ينتظم ألسنة أبواقها وصحفها واذاعاتها ، فقامت فرحة جذلة تصفق
وترقص . تغني وتطرب على أمجاد الأعياد الوطنية والمكاسب الاشتراكية الشعبية التحررية
التقدمية التي حققتها سلسلة الانتصارات السلبية . . . ويا لها من أمجاد ويا لها من انتصارات !

كيف لا ترقص القاهرة عشرة بلدي وتغني على الارغول لتقول بأنها غنمت حتى تاريخه
أربع طائرات سعودية هرب بها طياروها وآثروا الفوز بالبطولة والعيش الرغيد في فنادق القاهرة ،
على المغامرة بأرواحهم والذهاب إلى جحيم اليمن ؟ كيف لا يطرب الاردن وقد طال انتظاره ،
ليرد بعض ما لحكام القاهرة عليه من جميل وجماليات ؟

كيف لا تفرح سوريا وقد خيل اليها أن محاربة عبد الناصر ، إنما تعني محاربة الحرية
الصحفية فأغلقت صحيفتين واستصدرت قراراً وزارياً بالغاء رخصتيهما ، ثم راحت تزغرد مع
صوت العرب « انتصرنا انتصرنا » ! أي نصر هذا الذي يحتفلون به في كل عاصمة من هذه
العواصم العدو المتربص بعضها ببعض كما تربص الوحوش الكاسرة ؟
« انتصرنا انتصرنا » ؟

على أي شيء انتصرت ، وما هي المكاسب التي حققتم ، إلا في نهش اللحوم وإشاعة
الفرقة وترسيخ الاحقاد وتقطيع الاوشاج ، واضاعة الآمال في الهواء ؟

القاهرة انتصرت على السعودية . والسعودية انتصرت على القاهرة . وسوريا انتصمت من عبد
الناصر . وعبد الناصر انتقم من سوريا . والضابط المصري هرب إلى دمشق . والضابط السوري
هرب إلى القاهرة . وصوت العرب يشتم بالجملة السعودية والأردن والعراق وسوريا . وإذاعة دمشق
تشتم والأردن يرد الشتيمة وراديو مكة يشترك في موسم الشنائم فيرد الاتهامات ويصب اللعنات ،
وتصدح اوركسترا الاذاعات العربية بصوت واحد ونفس واحد : « انتصرتنا انتصرتنا ! »
نعم انتصرتنا . . .

انتصرتنا على اسرائيل فمنعناها من تحويل مجرى الاردن . ورددنا الضربة ضربتين والصاع
صاعين ، واعدنا اللاجئين إلى ديارهم آمنين مطمئنين . رافعي الرؤوس من الوحل والطين
الذي مرغ جباههم بكل ما يذل ويشين . . .

فرغنا من هموم الشعوب العربية — استغفر الله الشعوب العربية — فوفرننا الغذاء والكساء
للمصري وأنقذناه من الفقر والجهل والمرض ، وأنقذناه له المزيد من الحرية والكرامة الانسانية .
وانتصرتنا للعلم والكفاءة وأشعنا الوفاق ومكارم الأخلاق ، وحاربنا باسم الوحدة في كل
عاصمة عربية فلم نصر باغياً ولا جاهلاً ولا منافقاً ولا دجالاً ولا لعوقاً ، بل شددنا وأصرر المحبة
وشائج القربى بين الشعوب لنمهد السبيل بذلك ، إلى قيام الوحدة العربية المنشودة التي نرقص
على أنغامها اليوم ونغني فرحين جددلين :

« انتصرتنا انتصرتنا ! »

نعم انتصرتنا . . .

انتصرتنا في فلسطين

وانتصرتنا في لبنان

وانتصرتنا في العراق

وانتصرتنا في سوريا

وانتصرتنا في الحجاز

وانتصرتنا في اليمن

وانتصرتنا في الحج وعدن

ومسقط وملقط وغانا وحانا ومانا والزنجبار

وبلاد تركب الأفيال . . .
 هيا يا عرب هيا .
 غنوا واطربوا وارقصوا وانشدوا :
 « انتصرنا انتصرنا » !

الانتصارات السلبية !

حكاية الانتصارات السلبية التي يتساهى بها بعض الدول العربية ، حكاية غريبة حقاً عجيبة فعلاً . لا لأنها ذليل عجز وضعف وتحاذل وحسب . بل لأنها وسيلة خطيرة من الوسائل التي يتذرع بها الحاكم لاهاء الجماهير وصرفهم عن الحقائق إلى الأوهام ، وعن اللباب إلى القشور . وليس أيسر من أكل عقول الدهماء والتسلط على شعورهم والهاب أحاسيسهم . يكفي أن تنطلق مظاهرة في شارع ، حتى يلحق في ركبها الكثيرون ، يهتفون ويصفقون وهم لا يدرون من أجل ماذا يهتفون ويصفقون ، ولا من أجل أي شيء يتظاهرون .

وإذا انطلقت عبارة من العبارات تحمل معنى من الشعارات التي ألفتها أذواق الجماهير . تلقفتها ألسنتهم وضمايرهم ، وهتفت بها حناجرهم ، وصفقت لها أيديهم ، حتى لتكاد تنزل في قلوبهم وأرواحهم منزلة الإيمان واليقين . وما من شيء أصعب ولا أشق من أن تنتزع الإيمان من قلوب الجماهير التي يستخفها الطرب والحماس لسماع الشعارات وترديدها كالبغاوات . وآفة آفات الشرق عامة والبلاد العربية خاصة ، هي الخشوع والتسليم بما تردده حناجر المتآفة من العبارات المنمقة والشعارات المزيفة . فإذا تصدى لها عاقل بالنقد والفحص والتدقيق ، اتهم بعقله ومروءته ووطنيته ، واعتبر مارقاً زنديقاً خائناً ، لا يرد له عقله ولا اعتباره ولا وطنيته ، إلا إذا أسلم عتقه للقياد وانجرف في القطيع السائر ، سير الخراف . فالتسليم المطلق ، والجهل المطبق . والتسرع الاحمق ، هي البراءة التي باتت تمنح لإثباتاً للوطنية ، والشهادة التي تمنح تركية وإقراراً لها .

فوعي الشعوب ، وتمييزها الصالح من الطالح ، هو في الحقيقة مقبرة الحاكم الفاسد ونهايته المحتومة . ومن أجل ذلك كانت التجارة الرائجة ، والورقة الراجحة في يد كل طاغية مضلل . وحاكم مفسد ، هي في هذه الشعارات المألوفة التي يطلقها على ألسنة زبائنه ، ليمسك بها أعناق الجماهير يتلهم كما تتل السائمة . فإذا كان الحاكم يحكم باسم الدين ألتم الأفواه الآيات المنزلات . وإذا كان مدينياً أطلق الوعود المعسولة . وإذا كان عسكرياً أدار الاسطوانات الحماسية يرددوها في الآذان لترسخ في العقول والأذهان .

فاذا أخطأ الحاكم أو الزعيم أو الرئيس . كان خطأه صواباً . واذا أفسد كان إفساده إصلاحاً . وإذا أجرم كان إجرامه قانوناً . واذا بغى كان بغيه عدلاً .
والويل كل الويل لمن لا يرضخ لهذه القواعد التي تنزل في قلوب المعجبين منزلة الإيمان واليقين .

الويل كل الويل ، لمن لا يرى في الانتصارات السلبية انتصارات حقيقية ايجابية واقعية .
الويل كل الويل لمن لا يرى في الانحراف ، مكاسب شعبية وطنية .
الويل كل الويل لمن لا يطأطئ الرأس للجاهل التافه اللعوق ، ولا يقول للبغي السمج السخيف ، أنت أذكى الأذكياء وأفهم الفهماء وأظرف الظرفاء .
الانتصارات السلبية ، باتت في هذه الأيام ، المقومات الأساسية للقواعد الوطنية ، التي استشرى داؤها في الصفوف العربية . فلنحاربها أو لنلغنها على الأقل . وهذا أضعف الإيمان .
وليس يعفينا من هذا الواجب أن نحبس أنفسنا في بيوتنا ونردد قول الشاعر :
يقضى على المرء في أيام محتته
بأن يرى حسنا ما ليس بالحسن !

السلاح الخطير

كما قال الملك سعود بالأمس عن جمال عبد الناصر انه « لا ديني » ، يقول عبد الناصر اليوم عن حزب البعث انه « لا ديني » !
سنة طبيعية وسلاح مألوف ، عرفته معظم المعارك السياسية التي جرت وتجري في البلاد العربية .
فما أن تصطدم مصلحتان وتتناقض فكرتان ، حتى يعلو صوت أحد الفريقين يرمي خصمه بالزندقة والمروق وتحدي الشرائع السماوية والتجديف على الأديان ، والدعوة الى الكفر والالحاد والعياذ بالله !
ولست أعتقد أن بلداً من البلدان يثار فيه حديث الأديان بمناسبة وبغير مناسبة ، كبلادنا العربية .
فكل مخاصم لنا في الرأي « كافر » ، وكل مجادل في وجهة نظرنا « ملحد » ، وكل داعية لغير عزنا وسلطاننا « زنديق » .
ويا له من سلاح سهل لا يحتاج صاحبه إلى أكثر من ذمة واسعة وضمير طبع ، فاذا البريء

متهم ، والمصالح طالح ، والخير شرير ، والعالم جاهل . . .

ونحن في لبنان أكثر الناس معرفة واختياراً بهذا السلاح ، فطالما رأينا صولته وجولته في برلماننا ودواويننا وشوارعنا ، وطالما دفعنا الثمن غالياً من دمائنا وأموالنا . ولولم يكن من شاهد على «مآثر» هذا السلاح إلا فئة عام ١٩٥٨ المشؤمة ، التي ذبح فيها اللبنانيون بعضهم بعضاً لكفى به دليلاً .

لقد تحولت الغيرة على الأديان تجارة عريضة ، هي للرؤساء والزعماء والوزراء والنواب والوجهاء والمحيطات والحكومات ، المأدبة الكبيرة التي يأكلون منها ولا يشبعون ، والنبح الذي يغرفون منه ولا يرتوون .

تجارة قدرة كان ينبغي لها أن تكسد وتبور ، ونحن في القرن العشرين وفي عصر الاشعاع والنور !

والغريب العجيب في أمر هذه التجارة أنها ليست وقفاً على بلد عربي دون آخر ولا على زعيم دون زعيم ، بل الكل أمام اغرائها وسحرها سواء . فهي في اليمن كما في لبنان ، وهي في قطر كما في مصر ، وهي في المشرق كما في المغرب ، فحيثما هناك مصالح وخصومات وزعامات وزعامات ، فهناك الدفاع عن دين يزعمون أنه مهدد والغيرة على شريعة يدعون أنها مهاجمة ، والحقيقة أنه ليس ثمة ما يهدد ولا من يهدد . وكل ما في الأمر أغراض وغايات ومحاولات مؤذية لاثارة غرائز الناس والتلاعب بعواطفهم وعقولهم !

لقد جاءت الأديان لتعلم أول ما تعلم العدل والانصاف وعدم التجني والافتراء على الناس بغير الحق . وليس يساء إلى الدين شيء مثلما يسيء إليه استعماله كوسيلة للظعن بالخصوم والسعي وراء المصالح الخاصة .

إننا نستغرب أن يرتفع هذا السلاح في المعركة القائمة اليوم بين الدولة الاشتراكية الجمهورية العربية المتحدة والدولتين الاشتراكيتين العربيتين في سوريا والعراق .

إن من مصلحة الذين يلجأون اليوم إلى هذا السلاح فيتهمون ثورة ٨ آذار باللا دينية ، أن يطرحوه جانباً ، فهو فضلاً عن عدم فعاليته وتأثيره ، أصبح مؤذياً لصاحبه ، لأن الناس باتوا يؤمنون بأن شهر هذا السلاح لا يعني إلا أمرين ، الأول أن صاحبه في حرج وضيق ، والثاني أن هناك رجعية تريد أن تحارب تقدمية !

ترى ، هل يرضي مثل هذا التفسير من يلجأون إلى هذا السلاح في هذه الأيام ؟

لماذا نخاف عليه ؟

كنا بالامس القريب في خوف من عبد الناصر على ثورة العراق وثورة سوريا ، فقد علمتنا الأيام أن نخاف من الفشل الذي عقب أكثر من ثورة عربية . ولكننا اليوم أصبحنا في خوف على عبد الناصر من هذه الدنيا الجديدة التي تفتحت في البلاد العربية والتي أضحت تهدد كل من يقف في سبيلها .

إن الاحداث في البلاد العربية بدأت تجري في الآونة الأخيرة باتجاه يبغي على الجمهورية العربية المتحدة أن تسايهه وإلا تعرضت لما تعرضت له كل دولة عربية تجمدت وتخلفت عن مماشة منطلق التاريخ وسنة التطور .

إن الرئيس عبد الناصر تغلب على خصومه السابقين ونخرج منتصراً عليهم في أكثر من معركة ، لأنه كان يمثل منطلق التطور بينما كان خصومه يمثلون الجمود والتخلف . ويمثل سير التاريخ بينما يمثلون الوقوف في وجه الزمن .

أما اليوم وفي معركة عبد الناصر مع سوريا والعراق ، فالعكس هو الواقع .

إن هذه القوى الفتية الجديدة في سوريا والعراق تتكلم بلغة أغلب الظن أن المستقبل يفهمها أكثر مما يفهم اللغة التي يتكلم بها سواهم .

إن هذه القوى تتكلم بلغة المشاركة في القيادة وغيرها يتكلم بلغة الفرد والفردية .

إن هذه القوى تتكلم بلغة الحزب المنظم الذي يقود الشعب بسلطان العقل والتبشير والاقناع ، وغيرها يتكلم بلغة التكتلات والحشود التي لا سلطان للعقل والعقيدة عليها !

إن هذه القوى تتكلم بلغة الايمان والتضحية والعطاء والأثره ، وغيرها يتكلم بلغة الاتباع والالزام المنتفعين المستأجرين !

الوحدة التي تدعو لها سوريا والعراق هي وحدة المستقبل المبنية على حكم الجماعة النيرة العاقلة والشاملة لاقطار عربية متكافئة .

أما الوحدة التي يدعو سواهم اليها ، فهي وحدة الماضي التي كانت وزالت ، لأنها لم تكن متفقة لا مع المنطق ولا مع روح العصر .

اذن ، فالجمهورية العربية المتحدة هي اليوم في أزمة حقيقية لأنها مهددة بالهزيمة بنفس السلاح الذي انتصرت فيه في الماضي ، ألا وهو سلاح التفوق في معرفة سير التاريخ ومماشاته ! للمرة الأولى أشعر بالخوف على عبد الناصر .

أشعر بالخوف عليه كما سبق أن شعرت بالخوف منه على ثورة العراق وثورة سوريا .

نعم أنا خائف على عبد الناصر ، لأنني أرى أنه يقف اليوم في وجه التيار الذي كان سبب وجوده ومبعث انتصاراته وأعجاده .

أنا خائف عليه لأنني لا أريد أن تعود مصر إلى عهد الملكية والاقطاعية ، ولأنني لا أريد أن ينتصر رجعيو مصر وفراعنتها على رجل كعبد الناصر !

لقد بدأت البوادر الخطرة ، ونشأت في الجزائر قوى شعبية يقودها حزب منظم ، ونشأت في مراكش قوى شعبية تقدمية تقودها أحزاب ونشأت في العراق وسوريا وغيرهما ثورات لها هذا الطابع الحزبي التنظيمي الواعي .

وأصبح نظام عبد الناصر متخلفاً بالنسبة لأكثر من بلد عربي من هذه الناحية .

لمصلحة الجمهورية العربية المتحدة ، ولمصلحة القضية العربية ، كنا نريد لعبد الناصر أن يقبل قيام وحدة عربية مع سوريا والعراق ، يكون فيها شيء من الديمقراطية وشيء من الاحترام للثورات الحزبية ، فبذلك خيره وخير مصر وخير العروبة .

ولكنه اليوم وقد رفض قيام هذه الوحدة ، وضع نفسه ونظامه ، قبل أن يضع القضية العربية في موقف حرج يدعونا إلى الخوف عليه ومطالبته حرصاً عليه ، ان يعيد النظر في موقفه من سوريا والعراق ، ويعود قائداً عربياً في الصف الأول .

الوقت المناسب للعمل المناسب !

حقاً إنه الوقت المناسب للعمل المناسب ، ذلك الذي أقدمت عليه اسرائيل بلسان بن غوريون ، عندما قلذب بتهديداته الأخيرة وجوه الدول العربية رؤساء وحكاماً قادة وشعوباً . . .

فما تجرأت اسرائيل يوماً ، ومنذ عشرة أعوام خلت ، على أن توجه تهديداً صريحاً مباشراً ، كهذا الذي وجهته إلى سوريا بالأمس !

قد يكون — ولو ظاهرياً — مبرر التهديد الاسرائيلي مرده إلى صلابة الجيش السوري وعننف الرد السريع الذي يواجه به قوات اسرائيل على الحدود .

وقد تكون « عنفصة » اسرائيل نتيجة التطمينات الاميركية لها والتعهدات بحمايتها وتقويتها واضعاف خصومها العرب .

وقد تكون القضية الفلسطينية بلغت من الاهتراء في ضمير العرب والهزال في تصرف حكامهم ، مبلغاً دفع الدول الغربية وغير الغربية للفلفتها رسمياً ونهائياً بعد أن طمرتها ونفصت يدها منها

عملياً وواقعياً ، ولم يبق من أنهارها غير الخيام التي تضم الأشلاء المعزقة والتي يسمونها « لاجئي فلسطين » !

وقد تكون الدهشة التي ظهرت على بعض الوجوه والأقلام من جراء تهديد اسرائيل السافر ، يعود إلى هول المفاجأة . فقد تعود العرب أن يكونوا - ولا سيما بعد الكارثة - السابقين المجلين في ميدان التهديد والوعيد . . .

فاسرائيل زالت من خريطة العالم . . .
وتل أبيب دكت على رؤوس أهلها دكاً . . .
واليهود ألقوا في البحر وذهبوا طعاماً للسمك . . .
وفلسطين حررت تماماً من شذاذ الآفاق . . .
واللاجئون أعيدها إلى وطنهم معززين مكرمين . . .

وانطلقنا هكذا منذ ضياع فلسطين وقيام دولة اسرائيل ، نمتحن دولة اسرائيل ، وهي تشتت يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة . ونهزم جيش اسرائيل ، وجيش اسرائيل يتقوى ويزدهر ويتكاثر . ونعيد اللاجئين إلى بلادهم ، واللاجئون يقيمون في خيام الذل تفتتهم الفاقة وتضيق بهم الأرض !
أجل لقد صححونا على تهديد اسرائيل فإذا بالتهديدات العربية الخنفسارية والاندازات المتوالية التي أطعمنا إياها قادة ورؤساء العرب ، إذا بها تبدو كأقبح ما يكون الكذب ، وأشنع ما يكون الدجل ، وأذل ما يكون الادعاء والتدليس !

لقد ذاب الثلج وظهر المرج ، وبدا التهديد الاسرائيلي كصفعة قوية في الأتفة العربية التي استكانت واستطابت حياة الذل والتبعية والعبودية !

لغيرنا أن يستنبط ويستخرج ويفلسف ويحقق في الأسباب والأحداث وما وراء الأحداث ، التي دعت اسرائيل لانذار سوريا وتهديدها ، هذا التهديد الصريح السافر المذل لا لسوريا - وسوريا تقف وقفة الشجاع الأبى - بل لكل بلد عربي .

ولكننا لسنا نجد سبباً صارخاً واضحاً للتحدي الاسرائيلي ، غير هذه الحالة الزرية التي وصلت إليها البلاد العربية .

فالجيوش العربية في شغل شاغل عن اسرائيل وتهديد اسرائيل . . .

إنها تحارب في اليمن !

لقد حنت إلى حروب داحس والغبراء وطسم وجديث ، فعادت إلى الوراثة مائة الف عام !

يكاد المريب
يقول خذوني !

« ومهما يكن عند أمرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم »

« أول دخوله شمع على طوله ! »
لم يكذب يستتب الأمر بعد في صنعاء ، حتى أنطلقت الاذاعة هناك تشن هجوماً قاسياً على
الدكتور ناظم القدسي ، بحجة انه قدم عرضاً لحل مشكلة اليمن !
وبالرغم من أن العرض الذي سبق أن تقدم به رئيس الجمهورية السورية ابان الأزمة اليمنية .
لم يكن أكثر من اقتراح على الدول العربية للتدبر أمر المشكلة اليمنية .
وبالرغم من أن الدكتور القدسي قد اشترط مسبقاً ابعاد الحكومة السورية من الوساطة
لعلاقتها السيئة مع أحد أطراف المشكلة اليمنية . . .
بالرغم من كل ذلك ، فان شيئاً واحداً من التواضع والصدق وصفاء السريرة لم يشفع للدكتور
ناظم القدسي لدى إذاعة صنعاء والذين يديرون إذاعة صنعاء .
لسنا ندرى سر الغضب على اقتراح قدمه رئيس دولة عربية . بل لسنا ندرى ما الذي يسيء
في مضمون الاقتراح ؟

هل دعا الدكتور ناظم القدسي إلى خذل الثورة اليمنية والوقوف إلى جانب الامامية ؟
هل انتصر لفئة على فئة أو أرسل جيش سوريا ليشترك في القتال إلى جانب قوات الامام ؟
الذي نعرفه أن سوريا كانت أسرع الدول العربية إلى الاعتراف بحكومة الثورة اليمنية .
ولكن الاعتراف شيء والدعوة الى التذابح بين الشعوب العربية شيء آخر .
وقد يكون راديو صنعاء على حق إذا اعتبر أن دعوة رئيس دولة عربية إلى حقن دماء العرب ،
عملاً منكرًا يستحق الدم والتفريع ، بعد أن أصبحت الدعوة إلى الهدم والتخريب وزرع الأحقاد
والقتل بين الصفوف العربية ، جهاداً ووطنية يكافأ عليه الدعاة ويثاب عليه السماسرة والأذئاب !
وقد يكون لراديو صنعاء عذره ونحن نلوم ، إذا أصبحت الوساطة الاميركية بنظره أمراً
مشكوراً وعملاً مبروراً ، ليس فيها شبهة ولا مؤاخلة . . .
ولكن متى كانت الوساطة العربية عمالة وخيانة وطنية ، ومتى أصبح التدخل الاجنبي عملاً
وطنياً ؟

بل متى يكون هذا التدخل معقولاً مقبولاً ، مرغوباً غير مشبوه .
ومتى لا يكون معقولاً ولا مقبولاً ؟

لقد بتنا في أمس الحاجة إلى من يفصل ويشرح لنا مفهوم الوطنية ومفهوم العمالة والخيانة . . . متى تكون ومتى لا تكون ؟ كيف تجوز وكيف لا تجوز ؟ وبلسان من ينبغي أن يقال وبأية لهجة وأية لغة وأي أسلوب يجب أن تصاغ وتقال ؟

لقد طوي أمر العرض الذي سبق أن تقدم به الدكتور القدسي وأصبح غير ذي موضوع ، بعد أن أخذت الوساطة الأميركية المبادرة وفرضت رأيها المطاع وكلمتها المهابة على أهل السمع والطاعة . . . فما بالهم ينبشون اقتراحاً قديماً لم يقدر له أن يرى النور ولم يلامس شفاف القلوب المغلقة ؟

هل هي تغطية ؟

هل هو تمويه لواقع الحال ؟

لسنا ندرى ، فالريب يكاد يقول خذوني !

والريب والظنون التي حامت وتحوم فوق الرؤوس التي اشتركت في « طبخة » اليمن ، والتي أسلست القيادة للوساطة الأميركية تلعب لعبتها وتفرض كلمتها . . .

نقول ان هذه الريب والظنون ، هي التي أنطقت راديو صنعاء ومن هم وراء راديو صنعاء . . . وهي التي ستنطقهم في القريب عما اسروه ودبروه في الخفاء . . .

« ومهما يكن عند أمرىء من خليقة

وان خالها تخفى على الناس تعلم »

ماذا بعد فلسطين !

في الوقت الذي تسرع فيه اسرائيل للعمل على تحقيق مشروعها الخاص بتحويل مياه الاردن لاستخدامها في ري المناطق الجنوبية .

وفي الوقت الذي تقوم شركة فرنسية اسرائيلية مشتركة ببناء محطة الضخ الرئيسية على شواطئ بحيرة طبريا .

وبينما تنفق اسرائيل ١٠٠ مليون جنيه اسرائيلي لانعام المرحلة الأولى من مشروع تحويل مجرى المياه . . .

في هذا الوقت تدور المشاورات ، بعد المشاحنات والمهازرات ، بين الرؤساء العرب للاجتماع ومواجهة الموقف الطارئ . . .

ولقد تمخضت المداومات والاستشارات ، التي لم يكن ينقصها غير « استخارة النجوم »

و « قراءة الكف » و « ضرب المندل » .

تمخضت عن اقتراح قدمه الأمين العام للجامعة العربية إلى الدول الأعضاء ، بعقد اجتماع لمجلس الدفاع العربي في القاهرة في منتصف شهر آذار .

لسنا نرجم بالغيب فكل شيء أصبح معقولاً وجائزاً ، في نفس حكام الأردن ، أو ان اقتراحاً معاكساً سوف تتقدم به حكومة الرياض ، أو ان لدمشق رأياً خاصاً ، ولبغداد رأيها الآخر ، ناهيك عن اليمن السعيدة التي قد تعارض الاقتراح بأرجوزة طنانة رنانة تعلن فيها فساده ومخالفته للأصول مثلاً . . .

لسنا نرجم بالغيب فكل شيء أصبح معقولاً وجائزاً ، لا سيما في هذه الفترة العصية التي ابتليت بها الشعوب العربية كما لم تبل بفترة مثلها ! ولكن - ما لنا وللتشاؤم ؟ أليس يكفيننا من الجامعة العربية جهدها المبرور وسعيها المشكور . في أنها استطاعت أن تهتدي إلى اقتراح بعقد مجلس الدفاع العربي في القاهرة وفي منتصف الشهر الحالي ؟

وهل نسينا الاجتماع العتيد ، اجتماع الجامعة العربية في دورتها القادمة الذي تقرر عقده بعد حمدالله وشكره في الرياض ، والذي سيكون على مستوى وزراء الخارجية ؟ وماذا يضيرنا سواء نجح اقتراح عبد الخالق حسونة أم لم ينجح ، وافقت عليه الدول الأعضاء أم لم توافق ، ما دام الاجتماع العتيد ، حيث الرأي السديد ، سيتم في أواخر هذا الشهر وفي الرياض ؟

وهل قليل أن ينتظم عقد الوزراء العرب في اجتماع يتفتلون فيه خفافاً لطافاً ، يستعرضون قاماتهم السمرية وطلعاتهم البهية ، ومآذهم السخية ، يتبارون باقامة الحفلات ويتلمظون بما لذ وطاب من المأككل الشهية والعبارات الحماسية والخطب النارية ، يصبونها على رأس اسرائيل فتنزول عليها ناراً حامية كاوية ، وتكون بلسماً وشفاء ، وبرداً وسلاماً على القضية الفلسطينية والشعوب العربية !

• • •

لقد بدأت العبارات أياها - التي صمخت آذاننا قبل وبعد ضياع فلسطين - بدأت لتعود مجدداً فتذكرونا بما حل بنا من ذل وهوان !

العبارات هي هي ، بألفاظها وأنفاسها وأنغامها ، لم تتغير ولم تتحور ولم تظالها يد البلى بأي تعديل أو تعديل . . . « لن نقف مكتوفي الأيدي »

« الدول العربية مصممة على الوقوف في وجه اسرائيل » .

« سئرد الصاع صاعين والضربة ضربتين »

« سنؤدب اسرائيل وسنلقي عليها درساً لا ينسى »

« ستتخذ الخطوات اللازمة »

« سنعلن عن مقرراتنا في الوقت المناسب »

« مهما كلف الأمر »

يا إلهي !

أليست هذه هي العبارات عينها التي سمعناها تتردد في أعقاب مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي عقد في أنشاص عام ١٩٤٨ ؟

أو ليست هي الألفاظ ذاتها التي قرعت آذاننا بعد مقررات بلودان السرية ؟

ثم ماذا كانت النتيجة ؟ ؟

بل ماذا بعد فلسطين ؟ !

ثلاثين عاماً الى الورا

قرأت أمس أمراً عجباً في إحدى المجلات الأسبوعية المصرية . . .

حديث أدلى به رئيس بلدية غزة ورئيس الاتحاد القومي هناك . والحديث يدور كله حول فلسطين واللاجئين واسرائيل .

ان رئيس بلدية غزة يسمي قضية فلسطين « معركة » ، معركة دفاع عن وطن وشعب وأعجاب وتاريخ وكيان وحقوق . معركة ضد الاستعمار والصهيونية .

وهذا أمر لا عجب ولا غرابة فيه .

ويقول أيضاً : لكي ندرك أهمية هذه المرحلة التي نمر بها الآن في معركة فلسطين ، يجب أن نتذكر بسرعة نضال الفلسطينيين الذي دام ثلاثين عاماً طيلة الانتداب البريطاني ، وكان بداية الجلاء المصطنع عن فلسطين ، وكان في ذاته خطوة كبرى في سبيل تنفيذ مؤامرة خلق اسرائيل ، فترك المستعمرون قواعدهم لعصابات الصهيونية المدربة ، وسلحوهم بسلحهم . . . إلى آخر القصة المعروفة .

ويستعرض رئيس بلدية غزة حكاية حرب فلسطين عام ١٩٤٨ وكيف دخل ملوك العرب المعركة كما هو معروف ومشهور وانتهت المعركة باستتباب الأمر للصهيونية في فلسطين .

ويتابع حديثه فيقول انه من الواجب أن نخوض معركة تحرير فلسطين المغتصبة بحولات فدائية منظمة مهما كانت التضحيات وينبغي أن ننظم عرب فلسطين أولاً ، لأنهم هم يجب أن يكونوا وقود المعركة . فعليهم ، على عرب فلسطين ، أن ينظموا أنفسهم بسرعة ، عند التعبئة العامة التي يجند لها كل فلسطيني وفلسطينية أينما كانوا .

وعلى الفلسطينيين أن يسارعوا إلى التدريب العسكري ، وخصوصاً شباب هذا الجيل . وعليهم جميعاً أن يعلموا أن فلسطين لن تعود إلا إذا أصبح ابن فلسطين فداًئياً يبذل الروح والمال . ويجب أن تتغير النظرة إلى الفلسطيني بأنه الجريح والبائس والمشرد . يجب أن تكون النظرة الجديدة للفلسطيني أنه مجاهد ومناضل وفدائي .

وكل هذا الكلام لا غرابة فيه . فهو ينبع من صدر كل عربي ولا أقول فلسطيني وحسب . ولكن الغرابة أن يصدر هذا الحديث عن رجل مسؤول وكلام المسؤولين عادة يختلف عن كلام المواطنين العاديين الذين يحسون بغير الاحساس الذي يحس به المسؤولون .

تري ، هل يفهم من كلام رئيس بلدية غزة ، ان الأمر بات متروكاً للفلسطينيين يدبرون أنفسهم بأنفسهم من أجل تحرير بلادهم والعودة اليها ؟

وهل هذا هو منطق الرجال المسؤولين في البلاد العربية ؟

نحن نعلم جيداً أن قسماً كبيراً من مسؤولية ضياع فلسطين إنما تقع في الدرجة الأولى على عاتق الفلسطينيين أنفسهم ، الذين باعوا أراضيهم شيئاً فشيئاً للصهيونيين .

نعلم هذا جيداً . ونعلم أيضاً ان ملوك ورؤساء البلاد العربية قد اشتركوا في تحمل مسؤولية ضياع فلسطين أيضاً عندما قاموا بالحرب — المهزلة التي كانت طعنة مسمومة موجهة إلى صدر وكرامة كل عربي لا في فلسطين وحدها ، بل في كل قطر عربي !

ونعلم أيضاً وأيضاً ان حفنة من الأبطال الفلسطينيين قد استطاعوا منذ ثلاثين عاماً أن يقضوا مضاجع اليهود وحماة اليهود يوم كان الاستعمار البريطاني في فلسطين يؤازر ويساند اليهود ويعمل على خلق دولة لهم . . . وما من أحد ينسى صفحات البطولة والفداء التي سجلها شباب فلسطين أمثال حسن سلامة وعبد الرحيم وغيرهما من الأبطال الذين أبلوا أحسن البلاء يوم كانوا يواجهون الجيوش المنظمة بحرب العصابات التي كانت بمثابة الشوكة الدامية في صدر الانتداب البريطاني ومن ورائهم الصهيونية . . .

كل هذا نعلمه حق العلم ، فما من عربي إلا ويترحم في هذه الأيام التي صارت اليها فلسطين ، على تلك الأيام الغر الماضية التي كانت صفحة فخر ليس للفلسطينيين وحدهم . بل لكل عربي أبي يابى الضيم .

ولكن ، هل ترانا وصلنا إلى هذا الدرك الخطير حتى نسمح لأنفسنا بالتفكير في العودة إلى حرب العصابات في فلسطين وبعد مرور ثلاثة عشر عاماً على انقضاء حرب العصابات في فلسطين ، وبعد أن استتب الأمر لدولة إسرائيل وزودت بالافران الذرية والصواريخ الموجهة والبحيوش النظامية والأسلحة والأعتدة الحديثة التي ترسل إليها من كل مكان من دول العالم ؟ !
 إلى هذا الدرك وصل بنا الأمر . . . أن نفكر بعقلية الناقه والجمل في عصر الكاديلاك والطائرة ، بل في عصر إنسان الفضاء ؟ !
 أجرب العصابات نحاول استرجاع فلسطين . . . بالخنجر والمسدس والمراو . . . ؟ !
 « اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكننا نسألك اللطف به » ! !

العطف الخاص ...
 وقضية فلسطين !

كت أستمع إلى إحدى محطات الإذاعة العربية عندما قرعت أذناي هذه العبارة « . . . وقد أبدى الوفد الأندونيسي عطفه على القضية الفلسطينية » ولم أتمالك نفسي من الضحك بل والقهقهة عالياً وأنا أهتف قائلاً « خلاص قضى الأمر فالقضية الفلسطينية قد انحلت أو هي في طريق الحل ، بعد العطف الخاص الذي أبداه نحوها الوفد الأندونيسي ! »

والحق ، لست أدري إلى متى تظل القضية الفلسطينية تتمتع بهذا العطف الخاص يغدقه عليها ملوك وأمراء ورؤساء البلاد العربية وخاصة الوفود التي تؤم العواصم العربية ولا تجد شيئاً تسلي به أو تمريناً آخر يفيدها ، غير تمرين الفكين بارسال الكلمات والصيحات ، تأييداً لفلسطين وقضية فلسطين .

ولا أدري أيضاً إلى متى تظل القضية الفلسطينية وهي أشبه ما تكون بذكرى عاشوراء ، لا نخرج منها إلا بالتأوهات والحسرات والتفجعات — هذا إذا صدقت التأوهات والتحسرات — ولا نعد إلى أسلوب جديد نترجم به عن عواطفنا غير ما اعتمدناه في الماضي وما نتمده في الوقت الحاضر . . أسلوب يتلاءم وروح العصر الذي نعيش فيه والذي لا يقيم وزناً للعواطف والنظريات العاطفية .

إن « العطف على القضية الفلسطينية » أصبح يوجي بأنها قضية يتيمة لطيمة ليس لها من يقبلها من عثارها ولا يرعى مصالحها .
 طالما سمعنا في الماضي ، وما نزال نسمع في هذه الأيام العبارات الطنانة الرنانة . والوعود

المعسولة الخلابية ، بقداء فلسطين بالعين واليد والأبناء والمهيج والأرواح . . . وضاعت فلسطين وسلمت وما تزال تسلم الأعين والأيدي والمهيج والأرواح !
لقد وضع لابناء البلاد العربية : ان افتداء فلسطين والتغني بالذود عن حياض فلسطين : ليس إلا كلاماً براقاً ، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ! ظاهره خداع الشعوب العربية والتظاهر بالحرص على قضاياهم ، وباطنها الخزؤ والسخرية بل وأد القضية الفلسطينية .
وعدم ذكرها واثارتها إلا بمقدار ما تدر عليهم من منافع آنية موقوتة !
أما آن لنا أن نفهم أننا بحاجة إلى عقلية أخرى غير عقلية العواطف ؟
عقلية تحريك وإحياء القضية الفلسطينية بالعمل الجدي المثمر وليس بارسال التأوهات والتفجعات الكاذبة !

إننا نتصدى للدفاع عن القضية الفلسطينية بالسيف والخنجر في عصر الصاروخ والذرة ، وليست السيوف والخنجر التي نهدد بها مسلولة ، ولكنها ما تزال في أعماقها وقد علاها الصدا !
إننا نفكر بفلسطين كما تفكر النسوة العجائز في المآثم . نلطم الحدود ونشق الجيوب . ثم نطالب بالأجر . أجر الدموع الزائفة التي نذرناها على حائط المبكى العربي . حائط فلسطين !
لو سئلت ما هي أبرز الأسباب التي أدت إلى ضياع فلسطين ، بل إلى تكريس ضياعها ؟
لما ترددت في القول أنها فيض العواطف التي خصصها بها ملوك وأمراء ورؤساء البلاد العربية . . .
ويوم تخف حدة العواطف الخاصة التي يتطوع المتطوعون باغداقها على فلسطين ، يوم نستعيض عن هذه العواطف الزائفة بالعمل الجدي المثمر البناء . . . يومها يصح لنا أن نتعامل بإيجاد حل للقضية الفلسطينية !

هذا المنطق . .
الى متى يدوم ؟ !

لم تكذ صبيحات الابتهاج ترتفع من القاهرة على أثر امداد الولايات المتحدة للجمهورية العربية المتحدة بالصواريخ ، بعد أن أطلقت اسرائيل صاروخها في الفضاء . . .
أقول ما كاد الحبر يجف على صفحات الجرائد القاهرية والعربية ، حتى طلعت صباح أمس جريدة « قبرص » الانكليزية بنأ مؤامرة : أن الولايات المتحدة تقدم معونة لاتحاد القوة الذرية الدولية تقدر بموالي ٨٠ الف دولار للمساعدة في تدعيم استعمال القوة الذرية لصالح السلام في اسرائيل والارجنتين والبرازيل .
وقد أعلن عن هذا الموضوع مستر « غلين سبيرج » رئيس اللجنة النووية في الولايات المتحدة :

وذكر أن التكاليف ونقل المعدات اللازمة ستقوم بها إحدى الشركات الأميركية . كما ذكر أن إسرائيل ستتسلم المعدات الخاصة بالمحطات الذرية واللازمة لتغطية المساحات التي سيقام عليها المشروع بالقرب من « ريهوفوت » في إسرائيل .

هذا ما ذكرته أمس صحيفة « قبرص ميل » الانكليزية . ولسنا ندري ما عسى يكون رد الفعل غداً إذا صح هذا النبأ وهو صحيح على ما يبدو .

إن إمداد الولايات المتحدة للجمهورية العربية المتحدة بالصواريخ . ليس يعني شيئاً إذا قيس بامدادها إسرائيل بالمعدات اللازمة لإنشاء محطات ذرية ، اللهم إذا كان في النية إمداد القاهرة بمعدات مماثلة لإنشاء محطة ذرية أسوة بإسرائيل !

ولن تعدم أميركا حجة تتوسل بها . وهي الحجة التي تذرعت بها ساعة أقدمت على امداد القاهرة بالصواريخ ، وأعني بها « توازن القوى » .

فتوازن القوى الذي أُملى على الولايات المتحدة أن تمد القاهرة بالصواريخ . هو الذي ينبغي أن يمل عليها إمدادها للجمهورية العربية المتحدة بالمحطة الذرية . أسوة بإسرائيل .

أليس هذا هو المنطق البديهي لحفظ التوازن بين القوى ؟ !

نعم . هو كذلك . ولكن الى متى يدوم هذا المنطق ؟

هذا هو السؤال الذي يضحج في أذهان الناس الذين أرقتهم وتؤرقهم المشكلة الفلسطينية . مشكلة حق أغتصب ، وبلاد سلبت ، ولاجئين شردوا ، و . . . صواريخ ترسل ومحطات ذرية تقام في أرض مسروقة دفاعاً عن ماذا ؟ ؟

ضمانة لاسرائيل !

من الواضح الذي أدركه الغرب كما أدركه العرب ، أن السبب الرئيسي لنقمة الشعوب العربية على الدول الغربية ، هو موقف هذه الدول من إسرائيل ، منذ الوقت الذي كانت فيه هذه الدولة المسخ جنيئاً ينمو في بطن الانتداب البريطاني إلى اليوم الذي أصبحت فيه إسرائيل طفل الغرب المدلل في الشرق الأوسط ، مروراً بتلك الحرب — المهزلة التي تدخل الغرب لفرض نتائجها عام ١٩٤٨ .

ولا أعرف سياسياً غربياً شريفاً ، ولا مفكراً حراً إلا وعزا النقمة العربية إلى هذا الدور المشين الذي لعبته الدول الغربية في قضية فلسطين .

الدور الذي يزيد في نفقتنا عليه أنه كان الوحيد الذي شارك فيه الغرب الديمقراطي عدوه

الشرق الشيوعي !

غير ان الغرب وأميركا بوجه خاص كان يدفع عن نفسه هذه النقمة بحجتين واهيتين
تؤديان بعض الفائدة للغرب وهاتان الحجتان هما : ان اسرائيل قد بنتها الصهيونية ولم يبنها
الاستعمار الغربي .

والثانية أن أميركا إذا كانت قد أسهمت في خلق اسرائيل فإنها اليوم نادمة على ما جنت
يدها في السابق ، وانها تقاسي آلام الندم عن فعلة ليست هي بقادرة على العودة عنها .

كان مجمل الحديث الاميركي عن موضوع فلسطين :

قدروا ظروفنا أيها العرب . لقد قمنا بعمل نحن اليوم نادمون عليه ، ولكن ماذا تريدوننا
أن نفعل ؟

إلى أن جاء خبر الضمانة الدولية لحدود اسرائيل ، وهو الخبر الذي احتل أبرز مكان في
الصحف العربية أمس ، فاذا بالسياسة الغربية في موضوع فلسطين تخسر في ساعة واحدة وفي
تصريح واحد ورقة التين !

ماذا يستطيع الغرب أن يقول بعد مجاهرته بضرورة الضمانة الدولية لاسرائيل ؟

هل يستطيع أن يزعم أنه يعيش حالة مفروضة عليه ، من غير أن يسعى إلى حالة يفرضها
على سواه ؟

هل يستطيع أن ينكر أنه بهذا العمل في سبيل اسرائيل واكراماً لعيني اسرائيل ، يضرب
عرض الحائط بمقررات دولية تلزم اسرائيل بأن تراجع إلى غير الحدود الحالية وان تستقبل مليوناً
من النازحين الفلسطينيين المشردين ظلماً وعدواناً عن ديارهم وأرزاقهم ؟

هل يستطيع أن يكاثر في أن هذه الضمانة لا تعني إلا نقضاً صريحاً وقحاً لقرار التقسيم ،
وقرار عودة الفلسطينيين إلى ديارهم ، على ما في هذين القرارين من افتئات على الحق العربي
الأصلي الصريح ؟

إذا كانت أميركا قد تمكنت عام ١٩٤٨ أن تسهم في الجريمة الكبرى مخنثة وراء أشباه
أعداء . . . فكيف يرر لأمركا عقلها ، وكيف تبرر لها مصالحها الحقيقية أن تستعد لتكرار
المأساة ، وليس في الأفق ما يتصل بالعذر لا من قريب ولا من بعيد .

هذا مع فارق كبير بين أمس واليوم ، وهو أن عرب ١٩٦١ غير عرب ١٩٤٨ والشعوب
العربية اليوم لا يمكن أن تسلم مع حكماها بتآمر على سلامتها أو سكوت عن حقوقها ، فكيف

يريد حكام اليوم من ليس على استعداد للتفريط بما فرط به حكام الأمس أمثال « فاروق » ذي اللحية المزيفة والمسبحة الكاذبة !

فما صحح بالأمس لا يمكن بأي حال أن يصح اليوم ، وعلى الأخص بعد أن انضحت حقيقة اسرائيل لا بأنظار العرب فقط بل بأنظار آسيا وأفريقيا وجزء كبير من بقية العالم فظهرت في صورتها الواقعية رمزاً قبيحاً للباطل وخطراً مداهماً على مصالح الشعوب وأمانها !
ومن يتمن في قضية اسرائيل مقارناً بين وضعها اليوم ووضعها عام ١٩٤٨ سرعان ما يلحظ أن العداء لها قد سار ويسير في توسع مستمر حتى تصبح اسرائيل في نظر العالم كله لا عدو العرب فقط بل عدو العالم أجمع !

إحلفوا له بالطلاق !

« جازوا بنجل السلطان ليحدها فمدت الخمسة رجلها » !

كنا نود لو أن هذا المثل المشهور ينطبق على الابن الاميركي الشاطر « جيمس روزفلت » ولكن للأسف لم يصدق هذا المثل عليه ، لأن ما يقوله نائب الحزب الديمقراطي عن ولاية كاليفورنيا والابن الأكبر للرئيس الراحل روزفلت ، هو رأي الولايات المتحدة الاميركية ضمناً وفعلًا ، وهو بالتالي من تحصيل الحاصل ، الذي لا يقدم أو يؤخر كثيراً في سياسة أميركا ونواياها الظاهرة والمستترة حيال اسرائيل . . .

لقد اقترح مستر روزفلت على أميركا وروسيا القيام بإبادة ترمي إلى ضمان أميركي سوفياتي لكيان بلدان الشرق الأوسط وأمنها .

وقال لا فض فوه :

« أعتقد انه إذا كان لاسرائيل أن تبقى فان على الولايات المتحدة أن تقنع البلدان الشيوعية والعالم العربي بأن القوة الكاملة لمواردنا العسكرية والاقتصادية تقف وراء تحقيق السلم بين اسرائيل وجيرانها . . .

وان هذه الموارد مكرسة بكاملها من أجل ضمان كيان اسرائيل وأمنها ، واننا سترحب بمساعدة تأتي من جانب البلدان الشيوعية وتستهدف تحقيق ذلك على أساس انه سيضمن كيان وأمن جميع البلدان الحرة في الشرق الأوسط . . . »

ولم يكتف مسرّ روزفلت بهذا القدر من الكلام بل أكد على الولايات المتحدة أن توضح عزمها على اتخاذ الخطوات الضرورية عسكرية كانت أم اقتصادية للحيلولة دون وصول قوة أعداء إسرائيل إلى درجة يصبح معها الاغراء بالعدوان قوياً لا يقاوم . . .

وخلص مسرّ روزفلت من دعوة أميركا لضمان دولة إسرائيل . إلى دعوة روسيا والدول غير الشيوعية إلى تقديم الضمانات نفسها . . .

* * *

كنا نفهم لو ان مسرّ روزفلت أكتفى بتمنياته ونصحه وإرشاداته للحكومة الأميركية باعتباره نائباً أميركياً يمثل ولاية كاليفورنيا . أما أن لا يكتفي بهذا المقدار من الحرص على كيان إسرائيل . فيطالب روسيا وغير روسيا من البلدان غير الشيوعية بتقديم الضمانات للحفاظ على إسرائيل وضمان وجودها ، فهذا هو موضوع العجب .

ولسنا ندرى من قال للمسرّ روزفلت بأن الولايات المتحدة لا ترى رأيه وتعمل بنصحه وإرشاده اللهم إلا أن يكون تصريحه هذا من قبيل المزايدة في إظهار الحب والولاء لإسرائيل .

ولا نعلم مبرر هذا الفيض الانساني الأميركي الذي غمر قلب روزفلت ففاض بآماله وتمنياته حتى وصل إلى ما وراء الحدود .

ثم من قال لهذا الابن الشاطر ، الذي يزايد في إظهار العطف والحماية لإسرائيل الأم ، بأن الدول العربية والجيوش العربية والأساطيل العربية — كلها أو بعضها — عازمة على استعمال القوة ضد إسرائيل ؟

ماذا يريد مسرّ روزفلت أن يظفر أكثر مما ظفرت به إسرائيل من ضمانات لحمايتها وحماية كيائها وتأكيد بقائها ؟

هل ثمة زيادة لمستزيد . . ؟ أم هل تراه يريد منا أن نحلف له بالطلاق بأننا غير عازمين على محاربة إسرائيل ، واننا طلقنا فلسطين وقضية فلسطين وحقوق شعب فلسطين ؟

إذا كان هذا ما يريد حقاً فليفضل رؤساء الدول العربية وزعماء العروبة مجتمعين لا متفرقين ، وليقسموا للمسرّ روزفلت يمين الطلاق . . . كيما يهدأ باله وتقر عينه وعين إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل . . . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! !

صوت فرنسا . . .
هل تسمعه فرنسا ؟

تبرز من آن لآخر في سجل الثورة الجزائرية - أشرف ثورة عرفها تاريخ الشعوب الحرة -
ومضات تمزق بنورها حجب الظلام ، لتكشف لا عن عظمة الثورة وقوة زخمها في نفوس
الجزائريين وحسب . بل وفي نفوس الاحرار من الفرنسيين أنفسهم . الذين دفعتهم اصالتهم
لحب الحرية وتقديسها . الى الدفاع عن الجزائريين ومساعدتهم والانضمام اليهم في معركتهم .
معركة الحرية .

وليست انتفاضة احرار الكتاب والادباء والمفكرين والفنانين من الفرنسيين . إلا آية الآيات
على روعة الانتصار الذي لا مفر منه . والذي سيكتب للحرية في الجزائر .

• • •

وأخر الومضات التي التمعت في جبين الثورة الجزائرية . هذا النصر المبين الذي احرزته
اول من أمس ، عندما وقف الكاهن الكاثوليكي الفرنسي الالب « روبر دافيزيه » امام المحكمة
العسكرية في باريس ، ليتلقى الحكم بسجنه ثلاث سنوات وبغرامة مالية قدرها ٣ آلاف فرنك
بتهمة « مساعدة جبهة التحرير الوطني الجزائرية » .

لقد اعترف في المحكمة بأنه ساعد ١٥ جزائرياً على اجتياز الحدود بصورة سرية من فرنسا
الى اسبانيا . واعترف أيضاً بأنه كان يعطف على الجزائريين منذ سنة ١٩٥٦ عندما تلقى رسائل
من كاهن في الجيش الفرنسي في الجزائر تضمنت وصفاً لما يلقاه الجزائريون من الوان الظلم والتعذيب
على ايدي الفرنسيين .

لم يتراجع ولم ينف التهمة . بل وقف أمام قضائه يعلن انه مع الجزائريين في طلب الحرية ،
وقال :

« لأنني لا أكره أحداً ولكنني أمقت الحرب . وقد تأثرت بالمأساة الجزائرية وأعتقد اليوم
أن المستقبل بات في أيدينا ، وهو مستقبل سلام وأخوة . وإنني أدرك بأنني لم أخفق سواء في
ميدان الشرف أو ميدان حب الوطن » !

• • •

حب فرنسا الحرة ، أملى على الأب روبر الكاهن الفرنسي أن يقف في صف الجزائريين
الأحرار الذين تحاربهم وتضطهدهم الدولة الفرنسية !
ميدان الشرف ، هو الذي فرض عليه أن يساعد وينتصر للنوار الجزائريين الأشرف !

ميدان الشرف ، ميدان واحد سواء أكان في فرنسا أم في الجزائر أم في أي بلد آخر .
والحرية واحدة لا تتجزأ .
إنها ليست مونوبول ، ليست شركة ذات إمتياز محدودة الأسهم . وحرية الفرنسي عار عليه
إذا هي جعلته يقعد عن نصره الحرية في الجزائر أو في أي وطن نكب بحريته !

~ ~ ~

هذا الدرس الكبير .
هذه الأمثلة البالغة الأثر .
هذه الشعلة المباركة التي رفعتها يمين الكاهن الفرنسي أمام المحكمة العسكرية وهو يتلقى
الحكم بسجنه . . .
ما أجددنا في البلاد العربية وخاصة في لبنان — ولا سيما في هذه الأيام — لأن نتدبر عظمتها
ونعمل بوحيتها وهديها . . !

درسان من الجزائر !

أحمد بن بيللا ، زعيم الثورة الجزائرية ، ورفاقه الأربعة في الاعتقال ، يعيشون منذ فترة من
الزمن في قصر من أفخم قصور فرنسا . بل ان القصر الذين يتزلون فيه هو ثاني اثنين من قصور
« اللوار » التاريخية .
ولم يسبق لفرنسا أن عاملت سجيناً من سجنائها أو مبعداً من مبعديها بمثل المعاملة الكريمة
المترفة التي تعامل بها بن بيللا ورفاقه .
فعلت فرنسا ذلك لا تهيئاً من النفوذ المعنوي الكبير الذي يتمتع به القادة الجزائريون فقط .
بل تقديرًا منها أن مثل هذه المعاملة من شأنها أن تضع حاجزاً بين نزلاء القصر الفخم وأبطال جبال
الاوراس ومشردى الغابات من مناضلي الجزائر .
فاذا هؤلاء النزلاء بعد طول الضيافة ومزيد العناية يخرجون فرنسا كما لم تخرج في أي وقت
مضى ، باعلان الصيام حتى الموت ، لإحتجاجاً على الظلم والتعذيب اللذين يعانيهما أبناء
وطنهما .
انه درس جديد يقدمه قادة الجزائر عن أسمى معاني القيادة ، القيادة التي تعيش دائماً مع
الشعوب وتحس دائماً بأحاساس الشعوب .
لقد سجلت هذا الدرس وأنا أشارك بالعاطفة ألوف بل مئات الألوف من البشر ، الذين

تظاهروا بالأمس وصاموا وأضرَبوا تضامناً وتأييداً لقضية الزعماء الصائمين .
 سجلته الى جانب ذلك الدرس الاكبر الذي لا يمكن أن أغفله من دروس الثورة الجزائرية ،
 وأعني به الطريقة التي نظم بها هؤلاء القادة الثورة ، بحيث لم يؤثر فيها اعتقالهم وبعدهم عنها .
 لقد علموا الجزائريين أن الثورة نار مقدسة يجب أن لا تنطفئ . سواء أكان القادة في
 السجون أو كانوا في ساحات الموت .
 وعلى هذا استمرت الثورة خمسة أعوام تسير أكثر فأكثر نحو النصر بينما بن بيللا ورفاقه
 يعيشون في معتقلهم المذهب في فرنسا .
 لو آمنت الثورة الجزائرية بأن القائد لا الشعب هو الأصل ، لكان سجن بن بيللا مقبرة للثورة
 الجزائرية كما قال أحد الخطباء في أحد الاحتفالات من أجل الجزائر .
 ولعل السبب الرئيسي في عدم تراجع الثورة الجزائرية عن أي مكسب من المكاسب التي
 غنمتها هو أن الثورة لم تقم على أساس قيادة رجل فرد ترتفع بارتفاعه وتنتهي بانتهائه .

* * *

درسان من قادة الجزائر ، واحد في الاحساس مع الشعب إحساساً كلياً يصل إلى حد
 الصيام حتى الموت ، والثاني في احترام الشعب احتراماً قديماً يمكنه من قيادة نفسه بنفسه عندما
 يغيب القائد .

* * *

درسان لو أخذ بهما قادة المشرق العربي لكانت فلسطين في هذا الجزء من البلاد العربية .
 معجزة للبطولة لا تقل عن معجزة الجزائر !

ثورة الجزائر خير أمثلة !

وراء الانتصار العظيم الذي انتصرته ثورة الجزائر بحصولها على الاتفاق الذي كرس استقلالها ،
 تكمن انتصارات أخرى من النوع الذي لا يمكن أن يتقلص ، ولا يمكن أن يخسر ، ولا يمكن
 أن يزول .
 إن هذه الانتصارات التي حققها الجزائريون في عقولهم وفي مفاهيمهم ، وفي منطقهم
 العلمي ، وفي كفاءتهم التنظيمية .
 هذه الانتصارات هي التي يجب أن نلتفت صوبها اليوم لنذكر أي صنف من الشعوب
 هو الشعب الخارج من أتون النار ، وأي طراز من الدول هي الدولة التي حبلت بها ثورة الجزائر !

واذا كان اتفاق ١٨ آذار قد أعطى الجزائر استقلالها ، فان هذه الانتصارات قد أعطت الجزائر ما هو أهم من الاستقلال وأبقى ، ونعني به ، نسيج مجتمعا وتركيب مؤسساتها ، ونظرة المواطن الجزائري إلى دولته ومجتمعه .

خلال ثماني سنوات ، أخضع الجزائريون أنفسهم لفكرة العمل المنظم كما لم يسبق لأي شعب من شعوب الشرق أن أخضع نفسه لها ، فأدرك كل جزائري معنى هذه الألفاظ التي نرددها نحن ولا نعياها : المسؤولية ، الحق ، الواجب ، الوطنية ، التضحية ، الصدق . وغيرها من الكلمات التي درجنا شفها على ترديدها وعملياً على التنكر لها !

خلال ثماني سنوات ، أخضع الجزائريون أنفسهم للمنطق العلمي الدقيق ، يحاسبون به ذواتهم ، ويواجهون به العالم ، سلاحاً ماضياً لا وهن فيه ولا عجز . . . فاذا بطريقتهم في التشاور والنقاش واختيار الوسائل ، آية من آيات الديمقراطية الحقة ، لكل ما تعني به هذه الكلمة من احترام للعقل وتقدير للمنطق وللخبرة .

خلال ثماني سنوات ، عاش الجزائريون لهدف واحد يتفياون رايته ويحجون الى كعبته . ويقدمون القربان في هيكله ، فاذا بهم ، بقوة الهدف الواحد وسلطانه وسطوته ، يتحولون الى شعب موحد متراس البنان ، متلاحم الصفوف . شعب نادر المثال بين شعوب الارض التي قل بينها من هو غير ممزق وغير مشتمت ، وغير مبعر الرأي !

خلال ثماني سنوات ، نما العقل الجزائري في ظل ثورته ، ونما الضمير الجزائري ، ونما الحس المدني ، ونمت فكرة الدولة على قواعد راسية من المسؤولية والصدق والواجب واحترام الحق .

فالثورة الجزائرية ، حتى بنظر الصحف الأجنبية هي أول ثورة في التاريخ تصل الى السلطة ومعها كامل أجهزة الدولة واطاراتها ، وجميع ما تحتاج اليه من نظم وقواعد للحكم الصحيح الواضح الواعي هدفه ووسائله .

* * *

إن اتفاق ١٨ آذار لا يعتبر شيئاً مذكوراً بالقياس الى هذه التجربة العميقة الجذور التي عاشتها الجزائر ثماني سنوات . فهذه التجربة هي التي أقامت صرح الوجود الجزائري على أرض صلبة لا تؤثر فيه الرياح والعواصف !

* * *

يومان في تاريخ العرب الحديث ، ولدت فيهما دولتان عربيتان من نوع جديد مختلف :

الاول ٢٢ يوليو الذي ولدت فيه على أنقاض فاروق دولة مصر الجديدة والثاني ١٨ آذار ، اليوم الذي ولدت فيه دولة الجزائر الجديدة ، تلك التي لم يعرف التاريخ ولن يعرف شهباً لها في ولادتها وفي الأماني العظام التي علقت عليها !

وإذا كانت الثورة الجزائرية ، وهي الثورة الحمراء التي دامت ثمانين سنوات ، ودفعت مليوناً ونصف المليون ، من الشهداء ، قد أخضعت نفسها للنقد وأخذ المشورة ، فأولى بالثورة المصرية « البيضاء » وبأصحابها أن يخضعوا أنفسهم للنقد وأن يتحسسوا جوانب النقص والتقصير والاختفاء . أولي بهم أن يحاسبوا أنفسهم . ولهم في ثورة الجزائر خير عبرة ونخير أمثلة .

العائل من اتعظ بغيره

لست أدري أي شيطان وسوس لأحمد بن بيللا ، فجعله ينخرط في سلك « العاملين » والمؤجرين في سياسة البلدان العربية .

ولست أدري ما هي المغامرات التي عساه يكسبها في هذا الميدان ، وقد رأى بأم عينه سلسلة المغامرات والمزائم التي فاز ويفوز بها كل متدخل في شؤون البلاد العربية ولا سيما الداخلية منها .

أين هي المكاسب وأين هي مجالات النجاح التي حققها كل من دس أنفه ومد يده للعبث والتدخل في ما لا يعنيه ولا ينفعه ويغنيه في قضايا البلدان العربية ؟

والاحداث القريبة والبعيدة ، كانت وما تزال أصدق شاهد على أن البلاء والمصائب والمتاعب والمصاعب ، التي عانتها وتعانيها معظم بلدان العالم العربي . إنما كانت نتيجة المداخلات الخارجية التي فرضت عليها طوعاً أو كرهاً تحت ستار شعارات مختلفة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب .

فتصدع الجبهات العربية وتفسخ الصفوف في كل بلد منها وتعهد الاحتقاد والضغائن بالسقيا والرعاية ، كان الفضل الأكبر فيه إنما يعود الى « الوساطات » والمداخلات التي كانت تفرض فرضاً بعد أن ترتدي مسوح الرهبان وتحمل ما تيسر من يافطات الشعارات تهول بها على عقول البسطاء والسذج من الناس !

ماذا دهى أحمد بن بيللا ، وأي خير رآه يعم أي بلد عربي نتيجة الاعمال العربية التي يقوم بتمثيلها على مسارح السياسة أبطال وزعماء وقادة البلاد العربية ؟

إن أحمد بن بيللا يعلم جيداً أن فلسطين ما أضعافها غير رجال السياسة العرب الذين انتدبوا أنفسهم لانقاذها فكانوا السبب في ضياعها .

ويعلم أيضاً ان الثورة الجزائرية ما كان يقدر لها أن تنجح لو سمحت لتدخل أهل الزعامات في شؤون القيادة الجزائرية .

ويعلم أيضاً وأيضاً ان أية نكسة ستصيب الثورة اليمنية ستكون بسبب التدخل المباشر في شؤون اليمن الداخلية واتباع سياسة التفرقة بين أبناء البلد الواحد وزرع بذور الشقاق بينهم .

واذن ، واذا لم يكن أحمد بن بيللا ، صاحب الثورة المظفرة ، جاهلاً الاسباب الحقيقية التي أدت وتؤدي ببعض البلاد العربية إلى التفرقة والتصدع . فما باله يدلي بدلوه بين الدلاوي ؟ ما باله يدخل هذه السوق العربية التي أبينا عليه أن يدخلها اعزازاً واحتراماً وتقديراً لثورته وما مثل من معاني البطولة والرفعة والتضحية والفداء ؟

هل انتهى أحمد بن بيللا من العمل في سبيل الجزائر ليتلهمى بسفاسف وترهات السياسات العربية ؟

لقد ترك الفرنسيون الجزائر قاعاً صفصفاً بعد ان اتبعوا فيها قبيل مغادرتهم لها ، سياسة الأرض المحروقة . . .

لقد أحرقوا كل شيء ، لم يدعوا فلساً واحداً في الخزينة ، وتركوا فراغاً هائلاً في أجهزة الدولة ومرافقها ومصانعها وبنوكها ومنشآتها ومدارسها .

والجزائر اليوم بحاجة ماسة الى مزيد من العمل المضني ومزيد من الجهد المتواصل لسد الفراغ الذي تركته فرنسا في كل مرفق من مرافق الجزائر .

فما بال أحمد بن بيللا ينصرف الى التسلي باللغو من الكلام بدلاً من أن ينصرف بكليته الى اعمار وبناء الجزائر الخارجة من أتون نار لاهبة استمرت سنوات طويلة ؟

* * *

أجدى على الجزائر وعلى القضية العربية الف مرة ، بناء دولة قوية من أن توزع الجهود لاضعاف وتفسيخ عدة دول ضعيفة !

الشعب المعلم !

لم يشأ الشعب الجزائري أن يقف موقف المتفرج أمام الأزمة الحادة الناشبة بين أبنائه ،
أصدقاء الأمس ورفاق السلاح . بل تدخل تدخلا عمليا لوضع حد للأزمة أو تجميدها على
الأقل ، كيلا تسيل الدماء على أرض الوطن الذي اكتسب حقه بالحرية من دماء أبنائه وأرواح
شهادته .

فلقد خرجت جماهير الشعب الجزائري في مظاهرات صاخبة داعية إلى توحيد الصفوف
وحقن الدماء ، وراحوا يرددون الهتافات ويرفعون اللافتات وقد كتب عليها :

« سبع سنوات تكفي »

و « لا نريد اراقة الدماء »

و « الكلمة للشعب »

و « لا نقتل اخواننا »

و « نريد السلام »

ولم يكتف الشعب الجزائري بالهتافات ورفع اللافتات ، بل نامت الجماهير في الشوارع
وأقاموا من أجسادهم متاريس بشرية ليمنعوا تقدم قوات الفريقين واصطدامهم .

وقد تمكنت الجماهير بهذه الوسيلة من منع قوات بومدين من التقدم وامتداد القتال الى المنطقة ،
وكذلك منعوا مرور التعزيزات للولاية الرابعة .

وقد أصر الشعب الجزائري في هذه المظاهرة العملية الرائعة على وجوب وقف اراقة الدماء
بأي ثمن ، دون أن يحسبوا حساباً لأي أمر حتى مرور السيارات التي تحمل الجنود فوق أجسامهم
وهم راقدون في الشوارع !

* * *

إن مشاركة الشعب الجزائري وتحسس أبنائه بالواجب الملقي على عاتقه حيال الوطن في
الأزمة العنصرية الناشبة ، إنما يثبت جدارة هذا الشعب بالحياة الديمقراطية الحرة التي تأبى الظلم
وتجارب الديكتاتورية ولا تقبل بغير الحياة الحرة الكريمة بديلا .

فلن يكون بعد اليوم ، بعد هذه الانتفاضة وهذه المشاركة الايجابية للشعب الجزائري ، أي
رأي غير رأيه وأية ارادة غير إرادته وأي هدف غير أهدافه .

لقد أثبت الشعب الجزائري انه أهل لأن يحيا الحياة التي يريدونها هو لا التي تفرض عليه فرضاً .

أثبت انه جدير بالحرية جدير بالعزة جدير بالكرامة ، ولا خوف بعد اليوم على الجزائر ما دام شعب الجزائر يفرض رأيه ويقول كلمته ولا يقف إزاء قاداته ورؤسائه مثلما تقف بعض الشعوب العربية ، موقف المتفرج المتواكل الدليل .

* * *

سيان ، بعد هذه الظاهرة الرائعة التي أشرقت على أرض الجزائر ، سواء اختلفت القادة أم لم يختلفوا ، فثمة ضمانة كبرى هي أعظم وأهم من أية ضمانة أخرى . ألا وهي إرادة الشعب وتصميمه : وتلك بالنسبة لبناء الأوطان بمثابة حجر الأساس !

هزال ولعب اطفال !

حكاية ضم اليمن . لا تقل في غرابتها ولا أقول طرافتها . عن حكاية خروجها . ولقد تطوعت جريدة « الأهرام » أمس فنشرت تفاصيل الحكاية التي تكاد العقول لا تصدقها ، والتي يحسب معها القارئ أن الغاية من نشرها ليست إلا شرحة الجمهورية العربية المتحدة والقائمين على أمرها وهركة الوحدة العربية والداعين اليها !

ولست أدري كيف سمح المسؤولون في القاهرة بنشر هذا الغسيل القذر على جبال « الأهرام » .

فأنا أفهم لإنفصال سوريا عن مصر . وأفهم الأخطاء التي أرتكبت .

أفهم الجهل الألمعي . والحقائق المشوهة . والتقارير الكاذبة ، والأحكام المقلوبة ، على أقدار الرجال وأوزانهم في البلاد العربية .

هذا الجهل المكعب الذي سيطر عقلية ونهجاً وأسلوباً . فأدى إلى مختلف الكوارث والنكبات .

بل أفهم أيضاً أن تنتهي عملية الجمع بين الدول العربية إلى عملية طرح وضرب وقسمة .

كل هذا يمكن عقل البني آدم أن يحتمله ويصدق .

أما تفاصيل « الأهرام » التي نشرت أمس عن كيفية إنضمام اليمن إلى مصر ، فحكاية

تفوقت على جميع الحكايات والأساطير التي قرأناها وسمعنا عنها في قصص الأطفال !

لقد بعث إمام اليمن ببرقية إلى الرئيس جمال عبد الناصر يطلب فيها « أن تضمونا اليكم

بالله عليكم . . »

وكان « المواطن العربي الأول » شكري القوتلي يومئذ في القاهرة . يوقع ميثاق الوحدة مع

مصر . واستلم عبد الناصر البرقية وناولها إلى القوتلي الذي أيد على الفور طلب الإمام وقال بوجوب

« ضمه إلينا » ولكن عبد الناصر صاح ضاحكاً :

« نضم إمام اليمن إلى الجمهورية العربية المتحدة ؟ هل هذا معقول ؟ ! »

وقر الرأي على إرسال برقية استهزامية عن مقصد إمام اليمن . فجاء الرد التالي : « لقد

استخرت النجوم : وبعد الحساب الطويل تبين لنا أن نجمكم يكسف نجم الآخرين ويغطي

عليه ، ولهذا نريد أن ننضم اليكم والولد البدر في طريقه لعندكم لبحث الأمور ونقل رأينا » .

وتبين فعلاً أن إمام اليمن قد كلف عراف القصر وحاسب النجوم ، أن يستطلع له امر

المستقبل لكي يحدد موقفه من الصراع العربي في ذلك الحين . وجاء العراف يقول لأمر المؤمنين

الإمام أحمد حميد الدين « أن نجم عبد الناصر يعلو وانه حين يقرب من نجوم الآخرين يزداد

لمعاناً بينما تصاب باقي النجوم بالكسوف » . وقال له الامام « احسب مرة أخرى ، فكانت النتيجة

هي نفسها وعلى أساسها أرسل الامام برقيته الأولى ثم الثانية ، ثم بعث بولي عهده « الولد » البدر إلى القاهرة ودمشق يحمل بقية التفاصيل ويحمل تفويض الامام !
 هذه هي تفاصيل حكاية انضمام اليمن التي تطوعت « الأهرام » بنشرها على الناس ، وكأنها حكاية لذيدة متممة ليس فيها ما يعيب ويبعث على التقزز والقرف !
 بالأمس قالوا إن مصر ما أرادت الوحدة مع سوريا ، بل ان سوريا نفسها هي التي طالبت بها وأصررت عليها . قلنا آمنا وصدقنا !
 واليوم يقولون أن عبد الناصر كان يستنكر انضمام اليمن .
 وتبين فيما بعد أن اليمن دخلت الوحدة وكان هذا معقولاً ومقبولاً .
 وخرجت من الوحدة وبدا خروجها أيضاً وهو أمر معقول ومقبول .
 حقاً لقد هزلت . . . هزلت حتى بدا من هزالها كلاها !

رحم الله المراعي !

لسوانا أن يطرب ويتهيج ، ويتسلى ويتندر بقصيدة إمام اليمن التي كانت . على حد قول الرسميين ، السبب المباشر لفك الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة .
 ولسوانا أن يستكشف ويستنبط ويحقق ويدقق في الخفايا — غير الخافية عن كل عين — التي أدت إلى هذه الذروة من المأساة — المهزلة .
 ولسوانا أيضاً أن ينبري اليوم ليتهم اليمن السعيدة بالرجعية والتأخر ، وكأنها كانت قبل فك الوحدة مهد الحضارة ومنازة المدنية ودعامة كبرى من دعائم الاشتراكية !
 وإذا صح القول بأن شر البلية ما يضحك . فان بلية الوحدة في اليمن أكثر الأضاحيك التي لا تحمل أي معنى من معاني الفكاهة على الرغم من أرجوزة إمام اليمن الطافحة بكل ما يبعث على الضحك والتنكيت ، والتي كانت برأي « الثقة » السبب في فصم عرى الوحدة بين القاهرة وبين تعز !

وهل أدعى للسخرية من أن تكون نهاية الاتحاد بين دولتين نتيجة أرجوزة سخيفة يألف طلاب الكتائب أن ينظموا مثلها ؟

وهل أدعى للمرارة من أن ينتصب إمام اليمن مدافعاً عن العروبة والاسلام بمثل ما دافع

به ؟

لقد أعاد إمام اليمن إلى ذاكرتنا في مجال تصديه للدفاع عن الاسلام ، حكاية المرحوم الشيخ المراغي الذي كان يجلس في الجامع الأزهر وهو يبدي إعجابه بتقدم الغربيين وأقبالهم على العلوم والاختراعات ، وكان الطيار الأميركي لندبرغ يومئذ قد قطع المحيط بطائرة صغيرة ذات محرك واحد .

وراح المراغي يندب حظ الشرقيين وتخلفهم في مضمار العلوم والاختراعات . وانتصب أحد الطلبة من مشايخ الأزهر – كما ينتصب اليوم إمام اليمن – يسأل المراغي بكل رصانة ووقار :

هل من المستحسن للمسلم أن يضع لإبريق بيت الخلاء عن اليمين أم عن اليسار ؟
 وصرخ الإمام المراغي رحمه الله في وجه السائل قائلاً : « يخرب بيتك . . . طاروا طاروا وانت له قاعد في الكنيف بتفكر في الشمال واليمين » !

~ ~ ~

أشد ما يؤسف في هذه المأساة – المهزلة التي صارت اليها الوحدة . أن ينبري دعاة الحرص والغيرة على الدين فيشرعون أسلحتهم التي أكلها الصدأ ليقارعوا بها فيصولوا ويجولوا في عصر الذرة والفضاء !

بعد تسعة أعوام طويلة مريرة شاقة مضنية . تسعة أعوام هدرت فيها الجهود والدموع . وغصت بالخلوق الآهات والتفجعات . وتبددت في الخواطر والأذهان الآمال العريضة والأحلام السعيدة ، أحلام اليقظة . . .

بعد تسعة أعوام من ثورة جمال عبد الناصر ودعوته للوحدة العربية يقف إمام اليمن ليكفر جمال عبد الناصر ويتهمه بالخروج على تعاليم الإسلام !

ما أشبه وقفة إمام اليمن اليوم ، بوقفة الشيخ الأزهرى منذ ثلاثين عاماً ، عندما وقف في صحن الجامع الأزهر يسأل الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي : « هل من السنة أن يضع المسلم . . . » إلى آخره !

~ ~ ~

وبعد ، أعجب الأعاجيب ليست في النهاية – الفاجعة التي أنهت اليها الوحدة في دمشق . ولا هي في النهاية – المهزلة التي صارت اليها في تعز . فالبداية منذ بدأت ، كانت نذيراً حتمياً لهذه النهاية التي نشهد !

أعجب الأعاجيب . من يبدي اليوم عجبه ودهشته لما وقع . وما وقع لم يكن عجباً ولا غريباً

ولكنه كان أمراً مقررأ محتوماً منذ أمد بعيد . منذ اللحظة التي تحولت فيها الثورة القومية المصرية الاجتماعية عن قاعدة ثورتها الاصلية وما خلقت له ، إذ توجهت من حيث تريد أو لا تريد صوب دمشق وتعر . لتجني ما جنت اليوم ، وما سوف تجني غداً إذا ظلت تعتمد الانحراف عن القاعدة الأساسية التي قامت عليها ركائز ثورتها ، وأعني بها قاعدة الثورة القومية المصرية الاجتماعية !

الترامواي في اليمن ...
من اشتراه ؟!

حكاية الصعيدي الذي اشترى الترامواي في القاهرة : حكاية قديمة معروفة يتندر بها جميع المصريين . . .

فقد هبط القاهرة رجل من الصعيد لأول مرة ، فتلقفه أحد المحتالين بعد أن أستأنس فيه الصيد الثمين . ولم يلبث أن أقنعه بشراء الترامواي بعد أن أوهمه بأنه صاحبه . وصدق الصعيدي ونقده كل ما يملك من الدراهم التي قدم بها من الصعيد إعتقاداً منه بأن شراء الترامواي صفقة رابحة . وان المال الذي دفعه سيسترده أضعافاً مضاعفة بأيام معدودة .

وقبض المصري الثمن وترك الصعيدي في الترامواي ، ولم يلبث أن أكتشف الرجل الخديعة التي وقع فيها ، ولم يشفع به صراخه وتأكيده بأنه هو صاحب الترامواي . وانه دفع ثمنه نقداً وعداً . . .

وحكاية اليمن لا تختلف كثيراً عن هذه الحكاية ، حكاية الصعيدي الذي اشترى ترامواي القاهرة .

ولكن من هو الذي اشترى الترامواي في اليمن ؟

هل هي الجمهورية العربية المتحدة ؟

أم هي أميركا . أم انكلترا أم هو عبدالله السلال ؟

إن أميركا تحرص أمام أنظار العالم على أن لا تنهم بأنها هي التي اشترت الترامواي في اليمن . . . وبريطانيا لا تقل حرصاً عن خليفاتها في هذا المجال ، بدليل أن الدولتين تحرصان على التزام الحياد وعدم الاعتراف بالجمهورية اليمنية ، بانتظار ما سينجلي عنه الموقف في اليمن . ولقد صرحت بالأمس ، تأكيداً لهذا الموقف . مصادر مأذونة في وزارة الخارجية الاميركية بأن الولايات المتحدة لن تفعل شيئاً بالنسبة إلى الاعتراف بالعهد الجديد في اليمن قبل أن

يصبح الوضع هناك أكثر وضوحاً . وان ذلك قد يستغرق بعض الوقت . وقالت هذه المصادر أن السياسة الاميركية والبريطانية تميل إلى عدم الالتزام تجاه اليمن
ومما يؤكد هذا الموقف ، أن العرض الذي قامت به الطائرات الاميركية في سماء الرياض .
وقيل بأنه تهديد مبطن للدفاع عن السعودية ، لن تلبث أميركا أن تنفيه مداورة وصراحة . . .
ومعنى هذا أن أميركا تحاول أن تتبرأ من عملية شراء الترامواي في اليمن !
يبقى في الميدان الجمهورية المتحدة . وعبدالله السلال .
أما السلال فيقولون انه أصبح في الآونة الأخيرة وبعد المد الثوري والشلل الناصري الذي تدفق على اليمن : أصبح غير ذي موضوع . . .
وان عملية شراء الترامواي ، إذا تمت فستكون بلا مشورته . ولن يكون بالتالي إلا شاهد زور !

واذن . تبقى الجمهورية العربية المتحدة في هذا « البزار » فهل تراها عقدت العزم ووطدت النية نهائياً على شراء الترامواي في اليمن أسوة بالصعيد الذي أشتري ترامواي القاهرة ؟
الأيام القليلة القادمة سوف تميظ اللثام عن هذه الصفقة التي أقدم عليها من سمسر واشترى وقبض عملية شراء الترامواي في اليمن !

من وحي اليمن !

لا جدال أن القرون العشرة التي لفتت بل كفتت اليمن بالظلام والذل والعبودية ، لا نظير لها بين سائر الشعوب التي أبليت بالظلام وعرفت الذل وذات العبودية .
ولقد كان إميل البستاني صادقاً كل الصدق عندما تحدث عن اليمن في كتابه « شكوك وديناميت » قائلاً : « إنها تسير بخطى سريعة نحو القرن الرابع عشر » !
فما عرف العلم في القرن العشرين وما أحسب أنه سيعرف ، شعباً حبس نفسه في قوقعة وأقام فيها ألف سنة ، كشعب اليمن السعيدة !

ورحم الله الفضيل الورتلاقي ، فهو صاحب البذرة الأولى التي زرعها في أرض اليمن عندما قام بمحاولة الانقلاب الأولى ضد الإمام يحيى حميد الدين ، وفشل الانقلاب بالرغم من مقتل الامام كما هو معروف . ولكن البذرة أثمرت ، وتكررت محاولات الانقلاب : فأطاحت برؤوس كثيرة وسيوف كثيرة ، حتى كان الانقلاب الأخير الذي ذهب ضحيته الامام الشاب سيف الاسلام محمد البلدر !

ومن طبيعة الانقلابات انها تذهب بالصالح والطالح ، بل هي في أغلب الأحيان تأخذ

الصالحين وتذر الطالحين . ولا عجب فهي الضريبة العظمى المحتمة الاداء لكل انقلاب وكل ثورة .

ولقد كان الامام البدر واحداً من هذه الضحايا التي ذهبت قبل أن يعرف الناس خيرها من شرها ، بل إن الدلائل كانت تشير – على الرغم من الأيام القليلة التي أمضاها في الحكم – انه كان ينوي الاصلاح ويرغب رغبة صادقة في الخروج بشعبه من وهدة الجهل المخيفة التي يعيش في أحضانها . لا سيما وأنه كان منفتحاً على العالم الخارجي يسافر ويتصل ويشترك بالمؤتمرات .

ولسنا ندري أي السيلين كان أقوم وأجدى لشعب كالشعب اليمني . أن يسلك الطريق التي كان ينوي أن يسير عليها الامام البدر . أو تلك التي سلكها أصحاب الانقلاب الأخير . ولكن الثابت الذي لا جدال فيه . ان بقاء اليمن واستمرارها على النحو الذي كانت تعيش فيه . أنما يعتبر سبة في جبين كل بشري متحضر أو متخلف على السواء .

وكل حركة . أياً كانت الحركة . تمرداً أو عصياناً ، ثورة أو إنقلاباً . هي خير ألف مرة من الموت المذل المعيب الذي يحياها أربعة ملايين يمني !

لا غرابة إذن بأن يحدث إنقلاب في اليمن . بل الغرابة أن يستمر الموت المذل المعيب ، الذي كفن شعب اليمن زهاء الف سنة وهم أحياء !

بقيت الأصاحيك التي برزت من خلال الاذاعات والبلاغات عن الانقلاب . وهي أصاحيك تغري بالابتسام لما تحويه من مفارقات . وتغري بالجزء وهز الأكتاف : لما تبطنه من أستغفال لعقول الناس والاستخفاف بذكرتهم .

فالأمير البدر تلقى برقيات التهئة والتأييد قبل ساعات معدودات من وقوع الانقلاب والإطاحة به . ولقد سارع المهنتون المؤيدون أنفسهم إلى تهئة وتأييد الجيفي صاحب الانقلاب ، بل أن بعضهم لم يتورع من أن يتبنى الثورة وكأنها ثورته فعلاً ومن صنع يديه . وان الجيفي لم يكن الا منفذاً لفكرة الانقلاب . . .

أما البلاغات التي توالى فقد أعلنت ولادة الجمهورية اليمنية العربية . جمهورية اشتراكية تقدمية تحررية . . إلى آخر الموالم !

وهكذا برزت اليمن في انقلابها الأخير . وكأنها القمم السحري أو فانوس علاء الدين . . . من الظلام المطبق إلى النور الساطع !

من الجهالة والعبودية ، إلى النورانية والحرية !

من القبلية والطوطمية إلى التقدمية والاشراكية !

هكذا وبدقائق معدودات ، قفزت اليمن من خلال الاذاعات التي صمخت آذاننا اليوم . من دولة عشائرية بدائية موعلة في بدائيتها وجهالتها ، قفزت ألف سنة إلى الأمام ، وأصبحت دولة متحررة واعية تقدمية اشتراكية وطنية ديمقراطية . تقول لأرقى الدول « قومي وأنا أقعد مطرحك » !

فتباركت الاشتراكية وتباركت الثورية كيف تصنع العجائب ! بل تبارك الدجل كيف يسخر من العقل ، والنفاق كيف يهزأ بالصدق !
تري لو رفعت أنقاض القصر الذي تهدم في اليمن . وتبين أن الامام البدر ما زال حياً . وأن الانقلاب قد فشل ، وأن أصحاب الانقلاب هربوا أو أعدموا . . .
أما كان يسرع المهثون الذين هناؤه ، ثم هناؤا قتلته من بعده . . . أما كانوا يتسابقون إلى تهنته من جديد وتأبيده والدعاء له بالعمى المديد ؟ !

مع الثورة فقط !

ليس لأحد أن يناقش الأمير الحسن والسياف المرتجى . سعيه لاستلام الحكم في اليمن واسترداد الإمامية والقضاء على الثورة اليمنية التقدمية .

وليس لأحد أن يجادل أي سفير أجنبي إذا شاء له هواه ومزاجه أن تعود اليمن إلى حكم السيوف والخنجر والشفرات ، فقد يستسيف الأجنبي تلك الحالة الزرية التي يحياها شعب اليمن البائس ، وقد يستطيع استمرار الموت البطيء المعيب الذي يحياه أربعة أو خمسة ملايين بشري .
وليس لأحد أن يعجب لانتصار الرجعية للرجعية ، والملكية للملكية ، والفساد للفساد ، والعفن للعفن ، والاضمحلال للاضمحلال ، والظلم للظلم ، فتلك سنة الله في ملكه وخلقه . . .
الظالم ينتصر للظالم ، والرقيع يؤازر الرقيع ، والكاذب الفاسد الحفير الضال المضلل ، يجد له من يؤيده ويناصره ويدود عنه ، دونما حاجة إلى نداء استغاثة أو نجدة . يكفي أن تلم ملة أو تنزل مصيبة بواحد من هؤلاء حتى يجد له أنصاراً وأعواناً ، من حيث يحتسب ولا يحتسب . يتطوعون له مأجورين أو غير مأجورين ، فالعرق دساس والدم يحن ولا يصير ماء . . . وتلك أبسط البديهيات في أبسط القواعد المرعية الاجراء لأمثال هذه الجمعيات المنتثرة في أصقاع الأرض ، والتي تشبه أكثر ما تشبه الجمعيات السرية أو الماسونية ، إذا اشتكى عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر !

أجل ، ليس لأحد أن يتساءل لماذا انتصرت بعض الحكومات العربية لعودة الإمامية في

في اليمن وعودة حكم السيوف في رقاب أهلها .
 بل ليس لنا أن نتساءل عن معنى ومغزى انتصار بعضها للثورة اليمنية والثوار الأحرار .
 فنحن نعلم بالنوايا الخبيثة في الصدور . ونعلم الأحقاد الدقينة في القلوب . وما انتصارهم
 للثورة في اليمن ولا تأييدهم لها إلا تنفيساً لتلك الأحقاد التي تغور وتغلي . وليست بالتالي مصلحة
 اليمن وشعب اليمن تدخل في حسابهم بمقدار ذرة واحدة !
 فانتصار الرجعية للامامية في اليمن . لا يوازيه غير انتصار بعض المسؤولين من أذعياء
 التقدمية للثورة اليمنية . . فكلاهما « فولة وانقسمت » أو كما يقولون بالعربية الفصحى
 « حذوك النعل بالنعل » !

حقيقة خبرناها طويلاً . خبزناها وعجنناها ، فما عادت تنطلي على القول والأذهان !
 شيء واحد يبدو غريباً حقاً . ولو من الناحية الشكلية الظاهرية . هو أن نجد في القرن
 العشرين بشراً — ولا أقول ملوكاً ورؤساء وحكاماً — يقولون بعودة حكم السيوف والخناجر .
 وبضرورة استمرارها في رقاب أربعة أو خمسة ملايين بشري !
 لسنا مع زبانية ومرزقة دعاة العودة باليمن إلى حكم الامامية في اليمن .
 لسنا مع أنصار ومأجوري أعداء الملكية الرجعية والامامية .
 ولكننا في كل حال مع ثورة اليمن وثورة أحرار اليمن . . .
 معهم في ثورتهم على العبيد والمرزقة والمتاجرين بالحرريات والثورات أينما كانوا . في اليمن
 وخارج اليمن .

إن الرجعية المتأصلة الجذور في اليمن والموغلة في قدمها على مر الأجيال لم تتأطىء الرأس
 للاستعمار ولم تحالف معه يوماً واحداً . وأخرى بثورة اليمن أن تجرص على ذلك فلا تسمح
 لدعاة الثورة الكاذبة وأنصارها المزيفين بأن يلدسوا أنوفهم في ثورتهم .

الثورة اليمنية . . .
 بين اصدقائها وأعدائها !

ليس يعادل اللهفة الكبرى والفرحة العظمى التي أحسستها مع إطلالة الثورة المصرية منذ
 عشر سنوات ، غير لحفتنا وفرحتنا بأشراق الثورة اليمنية في هذه الأيام . بل إن هذه أخت من
 تلك وأدعى للمباهاة والاعتزاز . فقد طالت نومة اليمن واستطالت قرناً غابرة سحيقة كالحلة .
 حتى فاقت نومة أهل الكهف . وجاءت يقظتها من سباتها العميق . بمثابة معجزة ضخمة لا
 تقوم في الأذهان ولا يصدقها عقل إنسان !

فغبار الزمن بذله وكلكله الذي فاء على صدر اليمن . بدا وكلأن لا قدرة لبشري على إزالته
وزحزحته . . .

فقر مدقع ، وجهالة عريضة عريقة موغلة في قدمها . وتسليم أبدي سرمدى للامر المفعول
والظلم الأسود الغبي الذي أحاق باليمن وشعب اليمن .
من أجل ذلك كان لانتفاضة اليمن وثورة جيشها . هزة الفرح في نفوس الأحرار في
كل بلد عربي .

ومن أجل ذلك أيضاً وجب على كل حر في كل أرض عربية أن ينتصر لثورة اليمن .
وأن يباركها ويرعاها ، ويحرص عليها من أن تمتد إليها أيدي سوء .

وليس صحيحاً ما يدعيه البعض بقولهم سيان أنجحت الثورة أم لم تنجح ، فان البذرة
التي زرعت في أرضها لا بد أن تثمر وأن تؤتي أكلها في يوم من الأيام !
فما من يوم أصلح ، وما من فترة مناسبة كهذا اليوم وكهذه الفترة التي تمر . إنها فرصة
العمر بالنسبة لليمن ولشعب اليمن . وهيهات أن يوجد الزمن بفرصة مؤاتية وظرف مناسب كهذه
الفرصة .

والنكسة التي قد تتعرض لها الثورة اليمنية — لا سمح الله وقدر — ستكون كارثة لا نظير
لها بين الكوارث التي شهدتها شعب اليمن في تاريخه الطويل .
فالانتقام سيكون رهيباً والظلم مضاعفاً .

وأخشى ما نخشاه على ثورة اليمن وأحرار اليمن ، ليست محاولة الامامية في أن تعود على
صورة الأمير الحسن أو غيره من الأمراء والأئمة .
أخشى ما نخشاه على ثورة اليمن ، ليست في تحركات السعودية وانتصارها للامامية المخلوعة
المهزومة وأشخاصها المخلوعين المهزومين .

أخشى ما نخشاه على اليمن وثورة اليمن . ليست الجيوش بالغاً ما بلغت في عددها ، ولا
المدافع ولا الطائرات ، من أي دولة جاءت وإلى أي مصدر انتمت . فلقد عجزت جيوش
الامبراطورية العثمانية عن احتلال اليمن . كما عجزت من بعدها بريطانيا ، وليس بميسور
أي جيش نظامي أو أية قوة أن تسيطر على الجبال والصخور فطرق اليمن غير معبدة ومسالكها
وعرة ، لا تستطيع الجيوش أن تسلكها لتخضع أهلها ؟

أخشى ما نخشاه على ثورة اليمن ، هذه الأصابع الطويلة التي تمتد إلى اليمن تحت ستار
نجدتها ونصرتها ، وليست هي في الحقيقة إلا الدرائع التي سيتوسل بسببها أعداء الثورة اليمنية
للتألب ضدها وتحطيم شوكتها !

فمهرجانات التهليل والتكبير ، وزعيق النمجيد والتأييد : التي تكال اليوم للثورة اليمنية من خلال الاذاعات والتلفزيونات ونشرات الأخبار ، لن تكون في صالح الثورة اليمنية في قليل أو كثير . بل ستكون - وقد بدأت - أداة شغب وتخريب للثورة اليمنية نفسها ، لسمعتها وصفاتها وبراءتها من كل مأخذ ومطعن !

فالأحقاد التي كشرت عن أنيابها . قد برزت ووضحت لكل ذي عينين ، من خلال الانقسامات القائمة في كل عاصمة عربية تحمل الضغائن والأحقاد نحو الأخرى ، وفي كل تكتل ظاهر ومستتر يبدو من خلال أحداث اليمن الأخيرة .

الجيش اليمني وحده قادر أن يحمي ثورته بمعزل عن أية قوة أو نجدة تأتيه من الخارج . وليس في العالم قوة . لا السعودية ولا القبائل الزيدية ، قادرة أن تسلب الحرية من جيش آمن بحريته وصمم أن يحتفظ بها ويحميها ويدود عنها .

~ ~ ~

وقى الله الثورة اليمنية من أصدقائها . أما أعداءها فهي وحدها كفيلة بهم !

العصر اليمني !

إذا حق للعالم أن يتباهى بأن عصره هو عصر الذرة والفضاء . فمن حق العالم العربي بدوره أن يتباهى ويفتخر بأن العصر الذي يحياه هو العصر اليمني !

لقد أستطاع المد التحرري والدفع الثوري أن يبلغ ذرى جبال صنعاء وتعرز ، بعد أن انحسر عن ضفاف بردى وعاصمة الأمويين .

واستطاع أن يصرف الأنظار عن كل ما يشغل خواطر الشعوب العربية وهمومها كبيرها وصغيرها . . .

واستطاع أكثر وأكثر ، إذ أتاح المجال للجمعية الماسونية الحديثة في مصر ولسائر فروعها الممتدة المتناثرة في بلدان العالم العربي ، أن تتولى القيادة والتوجيه وتفلسف الحوادث والأوضاع ، وتصنف العواصم والمخلوقات . . . وليس هذا بالقليل !

ليس بالقليل أن يفتح العرب في هذا العصر اليمني أعينهم وآذانهم وقلوبهم ، ليروا ويسمعوا ويتأهدوا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بال بشر !

فالدعوة إلى التقتيل والتخريب ودك القرى على رؤوس أهلها العرب ، يعتبر جهاداً على إسم الله واسم القضية العربية !

واقنتال الجيوش العربية ، تعزيز وتقوية وتطهير لها !
والقول بوجوب إدخار القوى وجمع الصفوف وتوحيدها لمواجهة اسرائيل : أصبح
تجديفاً على العروبة وعلى الوطنية ، وبالتالي انتقاصاً من قدر المد التحرري والدفع الثوري . . .
أصبح اسم البيضاوي والزيري في أفواه الجمعية الماسونية الحديثة وأفرادها أعز وأعلى من
فلسطين وأعز وأعلى من دمشق ومن بغداد ومن عمان ومن كل عاصمة عربية لا تدين بدين
الجمعية ومبادئها وشعاراتها . . .
ماذا يريدون وأي حانوت جديد يبتغون فتحه بعد أن فتح حانوت اليمن على مصراعيه ،
يجاهد فيه من يجاهد ويصفق من يصفق ويستثمر من يستثمر ويرقص من يرقص على أشلاء
الاجساد المتناثرة والرؤوس المقطوعة ؟
مزيداً من الدماء يا عربان ، مزيداً من الحديد والنار ، مزيداً من الفتك والابادة . . . ثم ماذا ؟
ماذا بعد حرب اليمن ؟
قالوا : مباركة الثورة .
قلنا الف الف مرة مباركة .
قالوا : لا يجوز أن يستمر حكم الامامة .
قلنا : إنه وصمة في جبين الانسانية جمعاء لا وصمة في جبين العرب وحدهم !
قالوا : هيا إلى الجهاد يا عربان . . . إلى الحرب إلى ساحة الوغى . . .
قلنا رويدكم ليست اليمن اسرائيل ، ولا ينبغي أن نستترف قوى جيوشنا لتقتيل بعضنا
بعضاً . . .
وقلنا أن مئات الملايين من الجنيهاات التي أففقت وتنفق على صخور اليمن ، أجدى لنا
ولليمن أن تصرف على الشعوب العربية وشعب مصر أولاً وأحقها بالمساعدة والعون !
ولكن الدفع الثوري له منطقه الخاص وعقليته الخاصة ومزاجه الخاص يعرفه جيداً المصريون
كما عرفه اللبنانيون ومن قبلهم السوريون ومن بعدهم العراقيون والاردنيون وغيرهم ممن ابتلوا بالمد
والدفع على اسم الوطنية والعروبة والتيارات التحررية !
واليوم ، يقولون أن في القاهرة ما يشبه الهدوء أو « بلاك أوت » على أخبار اليمن . . .
فالصحافة المصرية في شغل شاغل . . . الطبري الجديد في الأهرام أصابته وعكة فلزم
« بيته الريفي » .
ولم يملأ الصفحة السابعة من الأهرام كعادته كل يوم جمعة . . .
ومحمد التابعي يكتب عن سرقات محمد عبد الوهاب الموسيقية صفحة كاملة !

و « الجمهورية » تهاجم الطبري وتغمر من قناته تصريحاً وتلميحاً . . .
و « صباح الخير » تدخل من الباب الواسع في هذا الموضوع ، موضوع النقد الفني والنقد
الذاتي فتغير على رئيس تحرير « الأهرام » الطبري الجديد « م.ح.ه » غارة موقفة !
نعم ان الأحاديث الفنية قد غطت أخبار الحرب في اليمن وجعلت اليمن في شبه « بلاك
أوت » !

أما ماذا يبست في الخفاء ؟
فليس لنا أن نسأل ، كي لا نتهم بالمرق والتشكك والانحراف . . . لن نحاول أن نستنبط
ولا أن نستخرج ونخمن . . .
لنترك أهل التشكك والشيكات والانحراف والمنحرفين . . . لندعهم يفلسفون لنا غداً – واد
غداً لناظره قريب – عما سيقوم الموقف ، وعما ستؤول اليه الحرب في اليمن !

نهاية الزحف !

ليس يوازي حماس المتحمسين للثورة اليمنية وانتصارهم لها . غير حماس وموالاة البعض
للإمامية ولحكم السيوف في اليمن .

فبينما يتزايد كل يوم عدد الدول التي تعترف بالجمهورية العربية اليمنية ، وبينما
يتوطد حكم الثورة فيها ويسير قدماً نحو الاستقرار ، ينصرف بعضهم إلى تأييد الامام الحسن
وتنشيئه بنشر الأنباء عن الزحف المستمر نحو صنعاء . . .

فمنذ قيام الثورة والدعوة لنصرة الأئمة والسيوف قائمة قاعدة لا تهدأ ولا تريد أن تهدأ ،
والزحف نحو صنعاء مستمر لا يكل ولا يمل . . . ولو صحت أنباء « الزحافات » الموهومة والتحركات
التي تنشط بعض الصحف والأقلام لتنشيطها وتحريكها ، لو صحت لانتهى أمر الثورة من
زمان بعيد ولكان الامام الحسن أو الامام البدر هو اليوم الحاكم السعيد في اليمن السعيدة .
والاهتمام البالغ الذي يوليه بعضهم لموت أو حياة الامام البدر ، إهتمام مضحك لأنه يكشف
عن سر المأساة الحقيقية التي عاشتها اليمن قروناً بعيدة .

فالامام البدر أو أي إمام سواه من الذين سبقوه ، هو بنظر أهل الإمامية والداعين المنتصرين
لها ، كل شيء في اليمن وما عداه ليس شيئاً !

فالملايين الخمسة التي ذاقت أعجب وأغرب صنوف الظلم والعبودية في عهد كل إمام
عرفته اليمن ، هذه الملايين ليست شيئاً مذكوراً في حساب الداعين الموالين للإمامية وهي من

اجل ذلك تشتد وتنشط لنصرة الامام الجديد . سواء أكان الحسن أم البدر ، وسواء أكان البدر حاضراً أم غائباً حياً أم ميتاً !

صورة كاريكاتورية مضحكة ولا شك تلك التي تبدو لبعض المتهالكين الزاحفين لنصرة العهد البائد في اليمن . وأشد ما يبعث على الضحك تهافتهم المستمر وتأكيدهم الذكي للزحف نحو صنعاء والقضاء على الثورة في اليمن وقطع رؤوس أبطالها !

ولو ان قطع بضعة رؤوس فيه خلاص اليمن من عبوديتها وفيه الضمان لحرية شعبها . لكانت أول الرؤوس التي ينبغي أن تقطع ، هي رؤوس الأئمة الفاسدين الظالمين وألسنة الداعين لنصرتهم وعودة حكمهم !

ولكن حكم الثورة هو الحكم الأقوى وهو الحكم الذي سينتصر في النهاية . وسواء زحفت قوات الامام الحسن أم توقفت في زحفها ، فثمة حقيقة راهنة لا ريب فيها . وهي أن هذا الزحف سيكون في قعر الهاوية . . . مكانه الطبيعي ونهايته المحتومة !

الكلام المفيد !

« لا شك أن التأييد الذي ننحده لشعب اليمن بحيث تظهر إلى حيز الوجود جمهورية قوية حرة ، سيخدم القضية العربية أكثر من أي وحدة أو اتحاد » . هذا هو الكلام المفيد والرأي السديد في قضية الثورة اليمنية ، الذي لا يستطيع أحد أن ينقضه وأن لا يباركه .

وصاحب هذا الرأي ليس مؤرخ الثورة والطبري الجديد في جريدة « الأهرام » ولا هو دوقنور القومية العربية « أبو عيون جريئة » . . .

صاحب هذا الكلام المفيد هو أنور السادات . وأنور السادات - أعنى الثائر المصري وأرسخهم قدماً - كدنا أن ننسأه لولا زيارته الأخيرة لليمن واعطائه هذا التصريح بضرورة تأييد الثورة اليمنية « بحيث تظهر إلى الوجود جمهورية قوية حرة » . .

ولست أدري إلى أي مدى سيطبق هذا الكلام الواضح والرأي الصريح في قضية ثورة اليمن . فلقد سبق لأنور السادات أن صرح لي منذ أكثر من ثمانية أعوام ، وكانت الثورة المصرية في بدايتها ، برأيه حول الدعوة إلى الوحدة العربية ، فقال :

« لا يحسن إيماني بالعروبة ما لم يحسن إيماني بمصر فمصر أولاً » ! ولقد جاءت الأحداث تؤكد صواب هذا الرأي ، ولا سيما بعد تجربة الوحدة في دمشق

والذيول المؤسفة التي ما زلنا نعاني آثارها ليس في دمشق والقاهرة وحسب بل في كل عاصمة عربية ابتلت بالانجراف العاطفي وانساق في تيار الديماغوجية الرعناء التي لا تقيم أي وزن للعقل السليم والرأي الصحيح .

ولسنا بصدد العودة إلى ما مضى وإلى نكأ الجراح التي ما تزال طرية . ولكن رأي السادات بوجوب تأييد شعب اليمن في ثورته ليتمكن من إقامة جمهورية حرة قوية ، وإن هذا أكثر فعالية وأجدى لخدمة القضية العربية من أي إتحاد أو وحدة . . .

نقول إن هذا الرأي لو وضع اليوم موضع التنفيذ بالنسبة للثورة اليمنية لخدمها وخدم العروبة والقضية العربية أجل خدمة .

ولو أن هذا الرأي طبق في مصر لأصبحت مصر غيرها اليوم .

بل لو أن الحرص على تقوية سوريا ومساعدتها وبنائها بناء قوياً لتتمكن من تأدية واجبها في خدمة العروبة والقضايا العربية ، لو أن هذا كان رائد السياسة العربية التي انتهجتها مصر منذ البداية لما كانت الوحدة العاطفية الاعتبارية التي ظهر زيفها وبانت مواطن ضعفها وعلمها ، وبالتالي لما أصيبت العروبة والقضية العربية بمثل ما أصيبت به من نكبات ونكسات .

الجرأة في قول الحقيقة وابداء النصيحة الخالص لا تجديان إذا لم تواكبهما جرأة في العمل وجرأة في الاقدام . . .

فهل تقدم الجمهورية العربية المتحدة على ما لم تقدم عليه في الماضي ؟

هل تنتهج نهجاً جديداً وتقدم على تقوية كل بلد عربي فتسانده وتؤيده ليكون دعامة قوية لخدمة القضية العربية ؟ !

هل تراها تفعل ؟

أشخاص

المناصب الكبيرة تظل كبيرة حتى تصطدم بمبدأ من المبادئ ، فإذا هي تصبح صغيرة في عين صاحب المبدأ بل أصغر من صغيرة !

والنعم الوفيرة تبقى نعماً وفيرة ، حتى تواجهها وخزة من ضمير فتغلو أعباء تنوء بها كواهل الأحرار .

إن استقالة الدكتور كمال الشاعر ، نائب رئيس مجلس الاعمار الاردني ، احتجاجاً على موقف حكومة الأردن من ثورة اليمن ، لهي أكبر شهادة على أن المؤمنين بهذه المبادئ وهذه

القواعد ما زالوا موجودين ولله الحمد في غير صفوف المرتزة والمأجورين وطواير المهرجين والراقصين في كل عرس .

إن كمال الشاعر لم يستقل لأنه يريد كسب بطولة سهلة ، وهو الشاب المثقف البعيد عن ضجيج الهويرة الرخيصة والبهورة الفارغة .

وكمال الشاعر لم يستقل لأنه يريد أن يقفز إلى منصب نيابي أو وزاري ، كما جرت العادة أن يفعل الكثيرون من تجارب السياسة والوطنية .

ولكن كمال الشاعر استقال لأنه ، على ما روت الأنباء ، يفهم الاعمار افتتاحاً على أنوار المدنية ، وانتصاراً لمبادئ التقدم . ولا يستطيع أن يعمل في حكومة عربية تعمل لإعادة بلد عربي آخر إلى ظلمات الجهالة والتأخر !

استقال كمال الشاعر . لأنه لم يقبل أن يكون جزءاً من نظام يحارب المدنية والاعمار . استقال لأن العلم الذي تلقنه بأبى عليه أن يكون نصيراً للجهل والعبودية . استقال ، لأن الثقافة تعني في نظره أكثر من مجرد الشهادة ، ولأن الخدمة العامة تعني أكثر من التقيد بواجبات الوظيفة !

لقد أثرت بي هذه الانتفاضة ينتفضها شاب عربي ، وتساءلت أحقاً ما يزال في البلاد العربية من يقدم على مثل هذه المواقف وليس له من مأرب سياسي ولا طمع شخصي ولا غاية انتهائية ؟

أحقاً هناك من يضحي بمصالحه بمثل هذه البساطة ، ولسبب بعيد ، بعد اليمن عن الأردن ، كما ضحى هذا الشاب ؟

* * *

هذا الاحترام الكبير لحق الأمة في الصراع والتقدم والمدنية .

هذا الايمان الصحيح بأنوار العلم والثقافة .

هذا الولاء لفكرة البناء والاعمار ، والتحرر من ربكة الجهالة .

هذه القيم السامية المرتجاة ، نلتفت إليها في بلادنا العربية ، فنجدها مع الأسف الشديد بعيدة جداً عن سياسة الحكومات ومواقفها المختلفة ، تكاد تكون محصورة في عدد ضئيل من المواطنين ، الذين ما زالوا حتى اليوم ، ثواراً على أوضاع حكوماتهم .

وليست استقالة كمال الشاعر إلا واحدة من هذه الثورات ، تكشف على أن الحكومات العربية ما تزال في واد ، وضماير شبابها في واد آخر !

* * *

كل ما نتمناه لهذه الوقفة الأبية الشجاعة . أن لا تتلفها أيدي المرتزقة وحناجر المهرجين المنافقين ، تسمسرها وتتاجر ، في السوق الكبير ، سوق المزايدات والمناقصات الوطنية : المشرعة أبوابها في كل عاصمة عربية .
ذلك لأن استقالة كمال الشاعر ، أسمى وأبقى من سوقهم وأبواقهم وتجارهم .
فهي وحدها وبأمثالها يكون الانتصار وتكون المكاسب الحقيقية للثورة والثوار وللحرية والأحرار !

حتمية الوحدة أم حتمية الانفصال ؟

في غمرة التسابق بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية ، على مضاعفة عدد القتلى لدى كل من الفريقين ، والتهاافت على المباهاة بذكر الانتصارات المزعومة في اليمن الحزينة ، الميدان الجليد الذي ظهر أخيراً لتفتيل العضلات وتبريم الشنابات على حساب شعب اليمن والقضية العربية . . .
في هذه الغمرة التي نشبت فيها الحرب المستترة والظاهرة بين ثلاث دول عربية . نادى المناادي بحتمية الوحدة بين مصر واليمن !
وبدت الصيحة وكأنها صيحة البشير يزف البشرى السارة السعيدة لشعب اليمن أو كأنها خشبة الخلاص له مما يقاسيه من متاعب ومصاعب وحروب . . .
و « حتمية الوحدة » واحدة من الألفاظ الحديثة ، التي عمر بها القاموس الوطني الحديث .
والذي أصدره دكاترة ومؤرخو وصبية وهتافة القومية العربية والوحدة العربية في آخر زمان !
والمضحك والمحزن - وشر البلية ما يضحك - أن تأييد الثورة اليمنية ونصرتها كان على حد قول المسؤولين في الجمهورية العربية لأيام قليلة - هدفاً خالصاً مبرراً من كل وحدة أو اتحاد . و « ان قيام جمهورية عربية يمنية حرة مستقلة ، أجدى وأنفع للعروبة والقضية العربية من أي وحدة أو اتحاد » !
بهذا صرح الثائر الحر أنور السادات غداة سفره من اليمن وقبل زيارة المشير عامر لما على النحر الذي عرف القراء .
ومن يدري ، فقد يكون الرأي القائل بحتمية الوحدة بين مصر واليمن ، إحدى الضرورات الحربية بين مصر واليمن ، إحدى الضرورات الحربية الاستراتيجية التي تكشف للمشير عامر في زيارته الأخيرة للمواقع الحربية والحصون والقلاع اليمنية !

جائز . وجائز أيضاً أن تكون « حتمية الوحدة بين مصر واليمن » من نتائج عبقرية الدكاترة والفلاسفة والمؤرخين ، الذين عينوا بمرسوم لتخطيط وتنمية القضية العربية ، وتصنيع واستصلاح الأراضي الصالحة للوحدة العربية . . .

كل شيء جائز ، وكل شيء معقول ، ما دمنا نعيش في هذا الزمن الذي أصبحت فيه الرؤوس أذناناً والأذنان رؤوساً . . .

ولكن للخداع حداً وللتضليل حداً وللكذب حداً . فما بالهم قد جاوزوا كل حد ، وامتنعوا كل عقل ؟

ما بالهم يستهينون بعقول الناس وذاكرتهم وأسماعهم وأبصارهم ؟
إن أوركسترا الانفصال بين سوريا ومصر ، ما زالت أنغامها تصدح في القاهرة ودمشق ، بكل ما يחדش الآذان ويغيم النفوس ويؤلم القلوب .
وان الجراح التي أصابت القضية العربية من جراء تجربة الوحدة المتسرة الجاهلة الدعية ، ما تزال طرية تنزف دماً .

فهل ترانا نسيناها ؟ أم هل اندملت الجراح في دمشق لنفتح جراحاً أخرى في اليمن ؟
ام ان المسؤولين في القاهرة يفكرون بأرجوزة يمنية جديدة تعلن الانفصال عن مصر ، أسوة بأرجوزة الامام أحمد رحمه الله وعفا عنه ؟ !

لسنا ندرى والله . ولكن الذي ندرى أن هذا اللعب بمصائر الشعوب العربية والعقول العربية ينبغي أن يقف إلى حد بعد أن تجاوز كل حد !

ان اخشى ما نخشاه بأن تكون « حتمية الانفصال » هي الدعوة الحقيقية التي يدعو اليها دعاة « حتمية الوحدة » .

ولنا على سوء أساليبهم وتصرفاتهم الف دليل ودليل !

الدرس من الجزائر
والعبرة من اليمن !

لماذا أيدت الجمهورية العربية المتحدة الثورة اليمنية هذا التأييد الضاري ، الذي دفع بها لأن ترسل أبناءها يقاتلون ويقتلون في أرض اليمن ؟

لماذا تسفح الدم المصري ، وتستنزف أموال الخزينة المصرية على الطائرات والدبابات والقنابل والاعتدة ، ترسلها وترسل معها شباب مصر يريقون دماءهم ويزهقون أرواحهم على أرض اليمن ؟

لماذا ومن أجل أي هدف وأية عقيدة ؟
 أمن أجل التحرر والتقدم والخلاص من نير العبودية والطغيان وحياة الظلام ؟
 أم من أجل سواد عيون البيضاوي والسلال ؟
 أم هي الروح الثورية التقدمية و « حتمية الوحدة العربية » هي التي فرضت الانتصار
 للثورة اليمنية ؟

الرد البديهي والجواب الطبيعي . هو أن الجمهورية العربية لم تنتصر لثورة اليمن إكراماً
 للحية البيضاوي ولا لسواد عيون السلال ، فثمة لحي كانت أطول من لحية البيضاوي . وعبوراً
 دعجاء أشد سواداً من عيون السلال . . . ومع ذلك فانها لم تنتصر لهم ولم ترسل أبناءها للقتال
 في أرضهم ، بل هي لم تتحرك إلا للقضاء عليهم وعلى حركاتهم الثورية . وبالتالي الانتصار
 والوقوف إلى جانب الأئمة والسيوف !

والتاريخ القريب ، لا البعيد ، شاهد صدق على ما نقول . فقد أرسلت الجمهورية العربية
 المتحدة وفداً برئاسة السيد حسين الشافعي ليؤيد ويبارك وينهي وينتصر للامام أحمد عندما ثار
 عليه أخوه سيف الاسلام عبدالله وجز عنقه ثم شرب من دمائه . دماء أخيه . كما هو معروف
 ومشهور . ولنا ندري إذا كان مندوب الرئيس عبد الناصر حاضراً هذا المشهد وقتئذ أم لا . .
 ولكن الثابت أن الجمهورية العربية المتحدة كانت تنتصر لحكم الأئمة والسيوف تجاه
 كل حركة معادية لهم ، وصداقاتها واتصالاتها مع آخر الأئمة الامام محمد البدر . ما يزال
 أمرها معروفاً ومشهوراً أيضاً وأيضاً . . .

تري لو ان الثورة اليمنية التي قامت بقيادة عبدالله السلال كانت تؤيدها وتؤازرها الجمهورية
 العراقية مثلاً منذ البداية ، هل كانت الجمهورية العربية المتحدة تسرع بدورها إلى تأييدها
 ونصرتها وإرسال الطائرات والأسلحة اليها كما تفعل اليوم ؟

هل تراها ترسل وفداً إلى رجال الثورة اليمنية تباركهم وتؤيدهم وتهنئهم ؟
 أم انها كانت تنقض عليهم و « تصف » إلى جانب الأئمة والسيوف ، وتدعو إلى الالتفاف
 حولهم وتركيز حكمهم وسيوفهم في رقاب الشعب اليمني الف الف سنة أخرى ؟ !
 كنا نحب أن نجيب على هذا السؤال بقولنا « لنا ندري » وان لا نجزم ، رحمة بالعيون
 البلقاء المفتوحة على وسعها والتي لا تستحي ولا يرف لها جفن !

وكنا نود أن لا نؤكد ، إشفافاً على العاطفين المحبين العابدين المتبتلين في محراب الوطنية
 والتصوف ، أولئك الذين تدمي أناملهم لمسات الحرير وتجرح وجنتهم لفحات النسيم .

ولكن الحقائق العارية أقوى من كل مراوغة وأقوى من كل محاولة يحاولها لممسها أو تلفيقها أو قلبها .

ولقد أثبتت الحقائق أن الثورة الجزائرية ما كانت لتتصر لو أنها سمحت للجمهورية العربية المتحدة بالتدخل في قيادتها وشؤونها الداخلية ، كما كانت تسعى وتطمح إلى ذلك . ولكن الثورة الجزائرية اليقظة الجريئة ، اشترطت لقبول المعونة والتأييد من الجمهورية العربية بأن لا تشركها في شؤونها الداخلية .

وما استطاعته ثورة الجزائر ووقفت إليه ، لم تستطعه ثورة اليمن ولم توفق إليه !

الثورة اليمنية . . . و « الدفع الثوري »

أخطر ما تعانيه البلاد العربية من « الدفع الثوري » والشلال التحرري الصاعد والنازل ، ليس في النكبات والمصائب التي تنهمر عليها من جراء الفتن والأحقاد التي زرعها « الدفع » ورعاها الشلال . . .

أخطر من الانقسامات وتصديع الصفوف ، وأخطر من المارك ومن الضحايا التي تلتطخ الأرض العربية بدماء العرب وبأيدي العرب أنفسهم .

أخطر من هذا كله ، المفهوم الجديد والفلسفة الحديثة لمعاني : « الوطنية والتحررية ، والقومية العربية » التي زرعها في عقول البسطاء من الناس ، أدعياء الوطنية والذود عن حياض القومية العربية ، والتي تولى بالنيابة عن الأسياد ، والأذئاب من العملاء والاجراء ، الترويج لهذه المفاهيم والنظريات بمراسيم سرية وعلمية ، أوكلت اليهم أمر الشرح والتعليق والدعوة إلى ترسيخ مفاهيمهم في أذهان الدهماء . . .

وكما تروج كل بضاعة بفعل سماسرة الدعايات والاعلانات ، راجت مع الأسف الشديد ، هذه البضاعة ، بضاعة الشارحين الداعين لتأييد « الدفع الثوري » من المنافقين المتزلفين الذين يفلسفون المعاني والشعارات والأحداث والوقائع ، وفاقاً للمرسوم وللدرجة التي عينوا بموجبها والدفع . . . الثوري طبعاً الذي خصص لهم !

فاذا قام رجل مثل الرئيس الدكتور ناظم القدسي ، يقول بوجوب حقن الدم العربي ويدعو الملوك والرؤساء العرب للعمل على وقف المجازر في اليمن ، تمهيداً لايجاد حل عادل يضمن تأييد الثورة اليمنية . . . قامت الزعانف تسفه هذه الدعوة الصادقة النبيلة ، زاعمة أن

وراء الأكمة ما وراءها ، وان « الدفع الثوري » قد يصبح مهدداً إذا ما توقفت المعارك وحقت الدماء . . .

وإذا قال قائل بأن الثورة اليمنية ينبغي أن تظل كلمة حق لا يراد بها باطل .
وان الدعوة إلى قيام جمهورية عربية يمنية حرة يجب أن تنتهز عن الغايات والأغراض وارواء الأحقاد وان لا تكون وسيلة جديدة لاشعال نيران فتنة جديدة بين العرب . . .
إذا قال قائل هذا القول ، تناولته ألسنة الأجراء بالطعن والتسفيه ، وبرزت من خلال ذلك الفلسفة الحديثة والمفهوم الحديث لقاموس : الوطنية والتحررية والوحدة العربية وأخيراً بل أولاً وليس أخيراً « الدفع الثوري » بيت القصيد وحجر الأساس من كل ما يدعون ويزعمون ويضللون ويأفكون !

واذن وما دام الأمر كذلك . فما هي الدعوة التي ينبغي أن توجه إلى الدول العربية التي تخوض المعارك في اليمن ؟

هل نقول لها تابعي سفك الدماء وازهاق الارواح لإكراماً للدفع الثوري . . ؟
هل نقول لها أعيدي إلى الأذهان حروب الجاهلية الأولى كحرب داحس والغبراء وطسم وجديث التي استمرت مئات الأعوام . . ؟
ما عسانا نقول إذا كانت دعوة مخلص كدعوة الرئيس القدسي تقابل بالازدراء والاعراض ؟
بل ما عسى أصحاب الضمائر الحية والعقول النيرة والأيدي النظيفة أن يفعلوا لإزاء هذا الشلال التقديمي الصاعد الزاحف ، وإزاء الدفوعات الثورية القائمة على قدم وساق في كل بلد نكب بها وبسماسرتها ودعاتها ؟ !

الأسلحة الفاسدة بين الأمس واليوم !

أين ينبغي أن يقف أحرار العالم العربي في المعركة الدائرة رحاها ؟
في أي صف من الصفوف وفي أية جبهة من الجبهات يتحتم أن ينضم ، كل من لم يشأ أن يضع الطوق في عنقه ويسير مع القطيع السائر ؟
هل ينبغي أن ينتظم في صفوف السلال والبيضان ومن أمامهم عساكر الجمهورية العربية المتحدة ؟
أم يسير في ركاب الامام البدر ومن ورائه رجال القبائل الامامية « التقدمية » الزاحفة نحو صنعاء ؟

وهل صحيح أن لا خيار للاحرار . إلا في اتباع أحد الفريقين المتناطحين المتحاربين على أرض اليمن . وان الوطنية والتحررية والحمية التاريخية والثورية ، تفرض أن ينضم المرء إلى هؤلاء أو هؤلاء ؟

وان لا موقف وسط ولا توسط في الحرب اليمنية القائمة ؟
واذا سلمنا جدلاً بان الانتصار للامام البدر يعني الانتصار للرجعية ، وان الانتصار - بلحيش الجمهورية العربية في اليمن . هو انتصار للثورية والتقدمية « والتحررية » كما يقولون ويؤكدون . . . فهل معنى هذا أن نبارك الحرب الدائرة رحاها بين أبناء البلاد العربية . وان نتطوع في صفوف المجاهدين التقدميين لقتال ونسفك الدماء ونزق الأرواح ؟

ولكن من أجل من وفي سبيل أي هدف ؟
أمن أجل القضاء على الامام البدر والقبائل اليمنية التي ما تزال تؤمن بالامامية ؟
أم من أجل احتلال اليمن - التي أصبحت محتلة فعلاً - والانقضاء على السعودية بالتالي ، ومن ثم الأردن ، ووضع حد نهائي لحكم الملكية فيهما بعد الاجهاز على الامامية والاماميين في اليمن ؟

أي دين وأي مذهب ، بل أية عقيدة وطنية تسمح باعلان هذا النوع من « الجهاد » ؟
وأية رسالة مدنية أو عسكرية تميز هذه الحرب الطويلة الأمد بين أبناء البلاد العربية ؟
أمن أجل القضية العربية والقومية العربية والوحدة العربية ؟
أم من أجل خلاص الشعب اليمني وتمدينه وتنقيفه وفتح الطرقات والمدارس والمستشفيات له بدلاً من فتح الميادين والثغرات بين صفوف أبنائه ؟

* * *

هذه الملايين من الجنهيات التي تهدر كل يوم هدراً على أرض اليمن للقتل والتدمير وسفك الدماء . . .

أو ليس الشعب العربي في مصر بحاجة إلى كل قرش منها ؟
أو ليس الشعب العربي في اليمن بحاجة ماسة إلى كل فلس منها . . ؟
أو ليس الشعب العربي في الحجاز وفي عمان وفي كل بلد يعيش على فئات المساعدات الاجنبية أحوج ما يكون إليها . ؟
وفلسطين . . . يا أهل الغيرة والحمية والغضب المضرة ، أو لا تستحق منكم بعض هذه الأموال وبعض هذه الجهود ، من أجل خلاصها أو العمل على الأقل ، لتخفيف آلام الذل عن لاجئها الذين باتوا في دياركم وهم أضيع من الأيتام . . ؟

أم ان الساعة لم تحن بعد وانه « ماكو أوامر » . . . كما كنتم تقولون وتعيبون على غيركم ؟
إننا بحاجة إلى كل نقطة دم ، إلى كل قبلة وكل طائرة وكل عسكري بل كل سكينه
مطبخ ندخرها لرفع عار الذل عن الجباه التي لطخت بضياح فلسطين وتشريد اللاجئين .
أين هذا الحماس وأين هذه الغيرة وأين هذه الطائرات وهذه القنابل وأين مئات من الجنيهاات
التي تهدر اليوم هدرأ . . .

أين كانت يوم ضاعت فلسطين وأين كانت في حربكم الأخيرة مع اسرائيل ؟
ما عساكم فاعلون غداً إذا كنتم حقيقة تعدون العدة لمقاتلة جيش اسرائيل ، وأنتم اليوم
تسفكون دماء بعضهم بعضاً وتستنزفون قوات جيوشكم في حربكم على أرض اليمن ؟

* * *

الله يا دنيا . . .

بالأمس كنا نعيم على أصحاب الأسلحة الفاسدة التي كانوا يسلحون بها الجيوش العربية
التي ذهبت للقتال في فلسطين ، والتي قامت الثورات من أجلها والانتفاض على أصحابها . . .
واليوم عشنا لنرى الأسلحة يوجهها العرب إلى صدور بعضهم بعضاً ، بعد أن أصبحت
أسلحة غير فاسدة !
ومن يدري لعلها كانت فاسدة أيضاً لو انها جعلت لتوجه إلى غير الصدور العربية !

« مَبْرُوك مَبْرُوك » !

لعل أطرف ما حفلت به أنخبار الحرب اليمنية ، بالإضافة إلى التصريحات والبلاغات
والتهديدات التي انتهت بالوساطة الاميركية . . . أطرف ما تمخضت عنه حوادث اليمن ،
ان الجمهورية العربية المتحدة ، أرسلت الى صنعاء فرقة عسكرية موسيقية ، لتدريب وتعليم
عساكر اليمن الاناشيد والأغاني . . .

وجميل من العربية المتحدة أن تظن إلى هذا النقص الفني الذي يعانيه الجيش اليمني :
فتزوده بفرقة موسيقية تلقن اليمنيين أحدث الأصول في الضرب على الطبول والغناء على الأرغول
وإذكاء روح الحماس بتريد الأغاني وترجيع الاالحان . . .

ولسنا ندري أكان المسؤولون في القاهرة على علم مسبق بالوساطة الاميركية قبل أن يبعثوا
إلى اليمن بفرقة موسيقية عسكرية ، أم أن الصدفة وحدها هي التي لعبت دورها ، فكان وصول

الفرقة الموسيقية بشيراً بحل الأزمة اليمنية على يدي الوساطة الاميركية .

ولقد اصبحت مهمة الفرقة الموسيقية ، مواكبة أفراد الجيش الذي سينسحب من اليمن ، نزولاً عند إرادة من لا ترد ارادته ، وليس نزولاً عند مشيئة أحد من العرب ، الذين طالبوا منذ البدء بمحقن الدماء العربية في اليمن . . .

وإذن ، فنحن على أعتاب دفعة جديدة من الأغاني والأناشيد : سوف تتردد في القريب من إذاعات القاهرة وصنعاء تشنف اذاننا وتعدد المآثر والبطولات والفتوحات والانتصارات التي حققها الجيش اليمني بقيادة السلال والبيضاني والزبيري والايرواني وغيرهم من أبطال الثورة اليمنية المظفرة . . .

ولسوف تذكرنا بما حفلت به إذاعة القاهرة ودمشق أيام الوحدة من أناشيد وطقايق ومونولوجات ما تزال عالقة بالأذهان والآذان . . .

« أنا واقف فوق الأهرام وقدامي بساتين الشام »

« حموي يا مشمش بلدي يا مشمش . . . »

« عيد وحدتنا ملا سكتنا . . . »

« من الموسكي لسوق الحميدية أنا عارفة السكة لوحديا . . . »

« حلو يا فستان العيد . . . حلو يا فستان جديد . . . »

« وحده ما يغلبها غلاب . . . »

« مرحب مرحب مرحبتين بمصر وسوريا نور العين . . . »

« على الأحباب سلام الله وعلى الوحدة ما شاء الله . . . »

* * *

وبانتظار القرائح السخية التي ستمخض عنها الفرقة الموسيقية من أغاني وأناشيد وأهازيج وطنية على اسم الفتوحات والانتصارات العربية ، تعالوا نهنيء أنفسنا بانتهاء الحرب اليمنية الذي حققتها الوساطة الاميركية . . .

ولنردد مع « الثلاثي المرح »

مبروك مبروك علامة العربية ا ا ا

مخرفان بلا عيد !

لست أجد مبرراً واحداً للعجب والذهول الذي استولى على المراقبين . لدى اطلاعهم على التقرير المختصر ، الذي نشرته « النهار » أمس . والذي يؤكد أن خسائر القوات المصرية في اليمن مرتفعة جداً ، وانها لا تتناسب مع اية أرقام أوردتها مصادر الأنباء حتى الآن . . .

وليست الأنباء المحزنة المبكية عن ظروف نقل ضحايا المعارك من المصريين من أعالي الجبال إلى المدن ثم إلى المطارات . وما رافق ويرافق هذه العمليات من شحن الجثث إلى القاهرة وتسليمها إلى ذويها أو عدم تسليمها . وتشيعها أو عدم تشيعها ، واقامة سرادق . أو عدم إقامة سرادق . . .

ليس كل هذا بالامر العجيب الغريب الذي يستحق تساؤلاً أو يثير دهشة .

إنما الغريب العجيب أن لا تتم مثل هذه الأمور وإن لا يلجأ المسؤولون عن حرب اليمن ، إلى مثل هذه التصرفات ، وإلى لفلفة « الطابق » الذي اقتضح أمره وانكشفت اسراره !

ولو انه « طابق » سياسي لا يمكن لفلفته بمنورة بارعة أو حذقة ماهرة . . . خطاب حماسي ، وتصريح طنان رنان من هنا ، ومقالات ممهورة بأسماء أو غير أسماء من هناك . تشرح وتفنن ، تفلسف وتعلق ، تمدح وتطنب ، ثم تصفيق حاد وهتافات يعقبها بضعة تعليقات من عدة إذاعات . . . وشوية أغاني وطقاطيق ومونولوجات . وينتهي الإشكال وتحل المعضلة على أيسر وأهون حال !

ولكن حكاية اليمن حكاية أخرى . . . فهناك قتلى وجرحى ومشوهون بالمئات إن لم نقل بالآلاف .

والمعارك التي وقعت بين القوات المصرية وبين القبائل اليمنية شبه الممجية . لم تكن معارك رياضية أستعمل فيها الفريقان القفازات الحريرية وتبادلا التراشق بالورود والرياحين . . . بل كانت شيئاً مربعاً فعلاً مذهلاً حقاً . . .

كانت حرباً حقيقية ولم تكن مجرد « سيران » أو « ويك أند » أمضاه الجنود المصريون في جبال اليمن وصخورها الجرداء !

حرباً تاعسة مخزية ، بداية ونهاية . جملة وتفصيلاً ، وسيلة وأسلوباً ، منطلقاً وغاية . . . حرباً مسعورة ليس فيها من مبررات الحروب المدنية والعسكرية والسياسية أدنى مبرر . . .

كان اقتتالاً وتذابحاً وتقطيع رؤوس وآذان وأنوف وبقر بطون وتشويه جثث رمة لا حياة فيها . . .

حتى شرعة الحرب وسننه وأساليبه كانت غائبة تماماً في معارك اليمن . وأية شرعة يمكن أن يرعاها أو يعترف بها من يسكن المغاور والكهوف ، ولا سلاح يحسن استعماله غير الخناجر اليمنية والسيوف ؟

أفيعجب المراقبون ويدهش المندهشون ويتساءل المتسائلون إذا كانت الخسائر المصرية مرتفعة جداً ؟

ما عسى سيارات الجيب والدبابات والمصفحات والتكنات تفعل في الجبال الوعرة . حيث لا مسالك ولا طرق ، وحيث الكهوف والمغاور في رؤوس الجبال وبين الصخور ؟

* * *

بالأمس كنا نقول « اللهم إننا لا نسألك رد القضاء ولكننا نسألك اللطف به »

واليوم وقد حم القضاء ووقع ما كنا نخذره ونخشاه .

اليوم لسنا نملك إلا الحشرات الدموع نذرفها على الضحايا الذين قتلوا في اليمن . . .
ضحايا بريئة سيقت إلى الذبح ، فكانت بحق خرفاناً بلا عيد !

المسؤولون

المسؤولون !

ليس أسهل عند بعض مخالقي الله من توجيه اللوم والعتاب ، والقاء التهم جزافاً بحساب وبلا حساب .

وليس أيسر عندهم من اعتماد عمامة الوعظ والقاء دروس النصيح والارشاد .
وليس في الدنيا شيئاً أثقل على النفس من الاستماع الى كلمات الوعظ والنصح والارشاد .
انها في الغالب ثقيلة بغيضة منفرة ، وجالبة لصاحبها كل مقت وكل كراهية وكل عداوة . . .
ألم يقولوا « كانت النصيحة بجمل واصبحت بعداوة » ؟

ولقد وهب الله بعض الناس فضيلة الصمت ، وخص بعضهم بمزية النفاق والرياء ، ورزأ تسمياً منهم بمصيبة قول الحق . وقول الحق هو الدرة اليتيمة التي تنتظم العقد النصيد ، عقد النصيح والوعظ والارشاد . . . فلا حول ولا قوة الا بالله !

واعلى مراتب الثقالة في هذا المجال ، ان ينبري الناصح ، صاحب قولة الحق ، يعيد الدرس فيلقيه في الآذان بعد فوات الآوان . . . أي طعم لها وأي معنى لها ، بل ما الفائدة الذي ترتجي منها ؟

لا شيء . الا الالم والمرارة وعض الاصابع ندماً ، وهيهات أن ينفع أو يجدي الالم !

* * *

تذكرت الوعظ والوعاظ والناصحين المرشدين ، والعابئين الآسفين ، والغاضبين الحانقين ،
والشامتين الحاقدين ، تذكرتهم جميعاً في هذه النهاية التي آلت اليها الوحدة بين مصر وسوريا ،
وانجملت عنها في صورة الانقلاب الذي وقع في دمشق .

هل كان ينبغي أن تقوم الوحدة بين مصر وسوريا ؟
هل كان ينبغي أن تستمر هكذا طوال اربعة أعوام ؟
هل أخطأ زعماء سوريا بطلب انضمامهم الى مصر ؟
هل أخطأ عبد الناصر بقبول الضم وعلان الوحدة ؟
هل وهل وهل وهل . . . الى آخر الهلهلات التي انتهت « بهلهلة » الوحدة على النحو الذي عرفناه وسمعناه وشاهدناه !

لقد تولى عبد الناصر بنفسه وفي خطابه الثاني الذي ألقاه في القاهرة الاجابة على كل هذه الاسئلة ، فكان واضحاً كل الوضوح صادقاً كل الصدق .

بقي سؤال واحد ما جرؤ أحد أن يثيره إبان الوحدة ، ولا أن يطرحه أمام عبد الناصر .
هذا السؤال هو هل كان أعوان عبد الناصر وممثلوه يصدقونه الرأي في الحكم على الاحداث
وعلى الرجال ؟ أم تراهم كانوا صادقين مع متطلبات وظيفتهم التي تفرض عليهم النفاق والمدحاة ؟
هل أخلص أعوان عبد الناصر في إعطائه الصور الحقيقية لا الكاذبة أو المشوهة والمموهة
عن حقيقة الاوضاع في سوريا أو في لبنان ؟

هذا هو السؤال الذي ينبغي أن يطرح اليوم . ففي ثناياه ، في ثنايا الاجابة عليه ، يكمن
سر الانقلاب في دمشق وسر الهزيمة الشنعاء التي منيت بها الوحدة في سوريا !
لو كان جهلاً بالحقائق ، لانتفضى الامر بتصحيح الاوضاع . فما كان عبد الناصر غازياً
ولا متسلطاً فرض الوحدة فرضاً على سوريا . ولكنه كان امراً أشنع وأشد خطراً من الجهل
بحقيقة الاوضاع في سوريا . . .

كان مؤامرة دنيئة لطغمة لثيمة من حاشية السوء وأعوان السوء ، قلبوا الحقائق لعبد الناصر
قلباً وشوهوها تشويهاً .

يوم يتساءل الناس عن المسؤولين ، سوف تمتد الاصابع لتشير الى زمرة المنافقين من المتافه
المصنفين ، الذين لهم في كل عرس قرص . . .

انهم حاشية السوء وبطانة السوء وأعوان السوء ، اولئك الفجرة الكفرة الذين لم يصدقوا
في عملهم مع عبد الناصر ، والذين أساءوا وما زالوا يسيئون اليه !

٢ - المسؤولون

لم يكن غريباً ولا عجيبياً أن تنبري أقلام الكتاب وتبارى ألسنتهم في هذه الأيام للحديث
عن « الاغلاط » التي ارتكبت والتي أدت الى الكارثة وذيولها المفجعة .

فلقد كان مجرد التلميح ، لا التصريح ، بهذه الاغلاط قبيل النكسة ، يعتبر مروفاً وتجديفاً
ان لم نقل كفراً وخيانة . كما كان ذكر أسماء المسيئين والتأشير عليهم ، جرأة غير مأمونة العقاب ،
أيسر قصاصها الابعاد والاطراح ، والاثام بشتى أنواع الاكاذيب والمفتريات ، حتى أصبح
أصدق أصدقاء عبد الناصر ، وأوفى الأوفياء له ، وهم أبعد المبعدين ، وبات أشد أعدائه
عداوة ، وهم أقرب المقربين المدللين المنعمين .

حقيقة لم تعد بحاجة الى مزيد من الاثبات ، بعد أن وضحت الحقائق لعيني عبد الناصر من خلال الكارثة ، وبعد أن جهر بها أول من أمس في خطابه واعترف بقوله « لقد أخطأنا . . غلطنا غلطنا . . وركب رأسنا الغرور . . » !

قالوا ان عبد الناصر لم يفهم أخلاق السوريين وطبائعهم .
وقالوا ان عبد الناصر قد أخطأ بالتخلص من رجال سوريا واقصائهم واحداً بعد واحد .
وقالوا ان عبد الناصر قد استعجل في قرار التأميم ، ولم يعلم أن السوري قد يتسامح في كل شيء الا في ماله .

وقالوا أشياء كثيرة غداة الانقلاب وقد يكون كل ما قالوه صحيحاً . ولكن الصحيح أيضاً ان الاستقبال الشعبي الذي استقبل به عبد الناصر في دمشق في زيارته الاولى لها ، كان من الصدق والروعة والحفاوة المنقطعة النظير ، بحيث لا يمكن لا لعبد الناصر ولا لغيره من البشر ، أن يخطر بباله ، ان بالامكان وقوع ما وقع بعد الانقلاب مما سمعناه ونسمعه في اذاعة الشام وعلى الستهم !

ويقولون ان السوابق العديدة لاهل الشام مع الحكام والزعماء ورؤساء الجمهوريات ، معروفة مشهورة ، وهي تبرر انتفاضتهم وانقلابهم على عبد الناصر .

يقولون أن الدنيا مع الواقف وان الناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطيء المهبل .
فحكايات الغزاة الفاتحين في دمشق ، وحكايات الشيخ تاج الدين الحسيني ، وهاشم الاناسي ، وشكري القوتلي ، وحسني الزعيم ، وأديب الشيشكلي ، وعحسن البرازي ، وسامي الحناوي ، وغيرهم وغيرهم ممن تعاقبوا على كراسي الحكم في دمشق ، حكايات يعرفها من عاصرها أو من قرأ شيئاً عنها .

فليست أول مرة يقف فيها العلماء على منابر الجوامع يرفعون أيديهم الى السماء ضارعين الى الله أن يؤيد بنصر من عنده « عبدك وابن عبدك المؤمن المخلص في طاعتك فلان الفلاني . . . » ويرد المؤمنون آمين آمين .

وفي اليوم التالي مباشرة وبعد أن ينتهي حكم « المؤمن المخلص في طاعتك » تنهال الشتائم على أم رأسه من نفس المنابر التي لم تكد كلمات الاعظام والتبجيل تنبخر بعد من سلاسل المنابر !

هل نسينا السلسلة الطويلة من حكايات أهل الشام مع رؤسائهم ؟
كلا ما من أحد نسيها ، انها ما تزال عالقة بالاذهان . ولكن هذه المرة فاقت جميع المرات .

وهذه الحكاية الاخيرة التي نشاهد اليوم فصولها ، ضربت جميع الحكايات السابقة .

من المسؤول ؟

نعم من المسؤول ، مرة ثانية ارددها وسأردها ثالثة ورابعة وخامسة . . حتى تصل كلماتي هذه الى أذن عبد الناصر نفسه ، لا الى أذن غيره ، وحتى تلامس قلب عبد الناصر ذاته ، لا لا قلب غيره !

لقد كان عبد الناصر يسمع بأذنيه هو ، ويرى بعينه هو ، ويحكم بقلبه هو وبضميره هو . وهذا هو السر في الزعامة التي اكتسبها والاعظام الذي ظفر به .

ولو كان عبد الناصر في بداية عهده ، يرى بعيني غيره ويسمع بأذني غيره . ويحكم بضمير غيره . لانتهى أمره وحكمه منذ زمن بعيد .

كان عبد الناصر يقرأ بنفسه ، يقرأ ما يكتب عنه . لا ما يكتبه له المجاورون من كتاب للتقارير .

وكان يحكم على الناس من خلال قلبه المؤمن وسريته الصافية . وضميره النقي .

لم يكن يعتمد وشوشات أعوان السوء ، وتقارير بطانة السوء ، هؤلاء الذين كانوا وما زالوا وسيظلون اول المتاجرين باسم عبد الناصر ، وآخر المحبين المؤيدين !

أول المستفيدين من عبد الناصر وأول المنفضين من حول عبد الناصر !

* * *

من المسؤول ؟

نعم من المسؤول ؟ سأردها اليوم وغداً وبعد غد ، حتى يسمعها عبد الناصر ، حقيقة ناصعة مجردة من كل غرض ، خالصة من كل شائبة .

بالامس وفي الصباح الباكر ، شاهدت قرب سجن الرمل ، مهرجان الذل القادم من دمشق . . . فلول اللاجئيين المصريين يفرشون الرمال في العراء وتحس الشمس الالهة ، ينتظرون ساعة الرحيل والعودة الى مصر . . .

وتلفتت أسأل عن قنصل مصر ، عن يد مصرية رجيمة تمسح دموع الذل المنهمرة . . . فلم أجده ، لقد نسيت أن قنصل مصر « حفي محمد بن » قد نقل من بيروت . . . نقلوه جزاء نبلة واخلاصه وتفانيه في عمله !

ولم أسأل طبعاً عن سيادة السفير . . . فقد كنت أعلم سلفاً انه لن يحضر . . . إنه معذور
لعله قد تأخر في سهرته في « الكاف دي روا » ! !

٣ - المسؤولون !

هذه الطغمة الشريرة المنبثة في مصر وفي كل بلد من البلدان العربية وغير العربية ، والتي
تدعي النطق باسم عبد الناصر وتمثيل عبد الناصر ، أمرها عجيب غريب . . . ووجه العجب
والغرابة ، أنها فريدة من نوعها بين أهل البطانات ممن عرفنا وخبرنا . فالبطانة عادة عند الملوك
والرؤساء والقادة تكون على صورة للقادة والرؤساء والملوك . فإذا كان الملك داعراً فاسقاً كانت
البطانة داعرة فاسقة .

وإذا كان الملك صالحاً تقياً يخشى الله في وطنه ومواطنيه ، كانت البطانة كذلك .
وإذا كان الرئيس أو القائد نزيهاً عادلاً ، عفيف النفس واليد واللسان ، ما جرؤت البطانة
الا أن تكون على صورته وشاكلته ، والعكس بالعكس .

فما بال بطانة عبد الناصر ومثلي عبد الناصر يعكسون الآية ويخالفون القاعدة المتبعة في
مفهوم البطانة ؟

حقاً انني ما عرفت بطانة مثلها ، إنها تكاد تكون حزباً سرياً له اشاراته وعلاماته وإيمانه
بل ولغته الخاصة التي يتفاهمون بها دون سواهم . فإذا غضب أحدهم وكان يسكن القطب المتجمد
الشمالي ، أحس به رفاقه في القطب المتجمد الجنوبي ، فهرعوا اليه يساندونه ويؤازرونه .

وإذا سرت كلمة السر بينهم تعلن الغضبة على أحد من عباد الله ، تكاتفوا جميعاً وأعلنوا
الحرب في السر والعلن لهلاك خصمهم ، سواء بالتقارير أو الوشائيات أو بمختلف الاضاليل
والمفتريات . فليس يقر قرارهم ولا يهدأ بالهم إلا ساعة يتيقنون من أن هلاكه محقق ، وإن الوشائيات
والمفتريات قد أدت عملها في الخلاص منه .

هل هي جمعية سرية ؟ حزب سري ؟

إنها أكثر من جمعية وأكثر من حزب ، لأنها تفوقت على جميع الأحزاب والجمعيات
وبزتها في سلطانها ونفوذها . فلا الفاشستية ولا النازية ولا الماسونية تعتبر شيئاً أمام رهاقة الحس
عند أعضائها ومريديها . فليس يحتاج الواحد منها لمن يدلّه أو يرشده على خصمه ، إنه يتمتع

بحاسة تمكنه من معرفة خصومه وأعدائه ومحبيه وأصدقائه . ترى « الهلפות » الجهول الذي لا يساوي نصف فرنك مصري وقد اشمخر بأنفه تبهياً وعجباً وخيلاء ، لأنه أصبح في غفلة من العين الساهرة ، وهو القيم على الناس يصنفهم ويعربهم كما يعرب بائع الفجل بضاعته . . . فهذا وطني وهذا خائن ، وهذا شريف وذلك غير شريف ، وهذا معنا وآخر ضدنا . . . ولم لا ؟ ألم تمكنه وظيفته التي أدرجته في جمعية « تحسين الخطوط » من تدبيج التقارير وتحرير المقررات والأصايل ؟

وما عساه يصنع وأي عمل يؤديه إذا لم يفر على عباد الله ؟ بل كيف يمكنه أن يقبض راتبه إذا لم يطرز التقارير اليومية الكاذبة الضالة المضللة ؟ وأي شر وأي بلاء أعظم وأفدح من شرو هذه للظغة النجسة التي تسيء مرتين وتضرب حجراً لتصيب عصفورين ؟

إنها تضلل سادتها وتوقع الأذى بمواطنيها . ولو ان الضرر يصيب الأبرياء الساكنين لكان المصائب ، ولكن الأذى الأكبر إنما يلحق بالرؤساء الذين يصدقون المقررات والأصايل . وبينون عليها ومن وحيتها الحكم على الناس ، وعلى الأحداث . . . فالأسود أبيض ، والأبيض أسود ، والمخلص غادر ، والغادر مخلص ، والوطني خائن ، والخائن وطني . والبريء متهم . والمتهم بريء . . . وهلم جرا وسحبا في سلسلة المفارقات والمتناقضات التي توقع البلبلة في حكم الحاكم وتزعزع الثقة به وبأحكامه !

وثمة « ميزة » أخرى تفردت بها هذه البطانة إلى جانب ميزات الحقارة والصغار والقذارة ، وأعني بها « ميزة » الجهل الأملعي وثقاله الدم التي لا توصف . فالمعروف السائد أن البطانة لدى الحكام ينبغي لها أن تتحلى بالعلم والظرف وخفة الدم ، ليسهل على الملك أو الحاكم بلع أكاذيبها وشايتها . وأشهد أنني ما عرفت بطانة ولا ممثلين ، بزوا في جلافتهم وجهالتهنم وثقاله ارواحهم ودمائهم ، كبطانة السوء التي استبطنت عهد الرجل الصادق الزاهد جمال عبد الناصر ، حتى لتمسك برأسك من فرط الدوار الذي يصيبك ، والذهول الذي يعتريك في كل مرة تشاهد فيها هذه النماذج العجيبة من مخلوقات الله المشوهة . . !

* * *

يا الهي . . هل كان هذا ممكناً ؟

هل كان ينبغي أن يكون لعبد الناصر ملايين الأعين وملايين الأيدي وملايين العقول ، ليرى ويفكر ويدير الأمر بنفسه ولنفسه ، كيما يتقي الأعين الغادرة ، والأيدي القذرة . والضمائر العفنة ، والعقول الخربة : عدة الكارثة ومعاول النكسة التي فتحت في جبهة كل عربي

جرحاً ثخيناً عميقاً .

يا إلهي . . . أما كان يمكن ؟ !

٤ - المسؤولون !

الآن وقد هدأت العاصفة ، يبدو الحديث عن المسؤولين ضرورة ملحة . يختمها منطق النكسة : ويفرضها واقع الجمهورية العربية المتحدة ، طوال أربعة أعوام — إن لم نقل طوال حكم عبد الناصر — من جراء الاخطاء المقصودة والمعلومات الخاطئة التي تراكمت بعضها على بعض سواء في مصر أو في سوريا أو في لبنان أو في كل بلد عربي نكب فيه عبد الناصر بمثليه أو أعوانه .

اليوم . أكثر من أي يوم مضى ، يطيب الكشف عن الوجوه المقنعة ، والضمانات الملوثة . والأيدي القذرة . والنفوس الحقيرة التي ما صدقت في تمثيلها لعبد الناصر ، وما رعت حرمة ولا ذمة له ولعهد الله والوطن في أعمالها وتصرفاتها ومعلوماتها الكاذبة المضللة التي كانت تمددها ، حتى ليعخيل للمرء بأن طابوراً سادساً كان يكمن وراء عبد الناصر . همه التخريب والفساد والامعان في الاساءة وتشويه السمعة التي لم تشبها شائبة ، سمعة عبد الناصر في مصر وفي البلاد العربية بل وفي سائر بلاد العالم .

لقد كشفت مأساة الوحدة في دمشق ، عن التناقض المذهل في المعلومات التي كانت الدوائر المسئولة في دمشق وفي بيروت تتولى شحنها الى القاهرة . كانت تهدف الى كل شيء ما عدا شيئاً واحداً ، هو اعطاء عبد الناصر المعلومات الصادقة عن حقيقة الاوضاع .

ومن أجل ذلك ظل الخطأ يولد الخطأ ويتبعه بخطأ آخر حتى اتسع الخرق على الراقع ، وحتى تدهورت الاحوال بين القاهرة ودمشق ، وقعت في النهاية الكارثة التي ما ارادها أحد غير أعوان الشر وبطانة السوء .

وقد تسامل الناس وهم محقون في تساؤلهم ترى اذا كان الحال هكذا في دمشق . فكيف تكون الاحوال في سائر العواصم العربية بل والاجنبية ؟

لقد دفعت القاهرة في دمشق ثمن المعلومات المضللة ، جهود اربعة أعوام طوال . ودفعت معها القضية العربية أفدح ثمن يمكن أن تدفعه في تاريخها الحديث .

ودفع لبنان وحده في فترة ١٩٥٨ من الارواح البريقة ما لم يدفعه في جميع حروبه مع الاستعمار والمستعمرين . ونكب وما يزال منكوباً بشر ما ينكب به وطن مثل لبنان . فعن هم المسؤولين إن لم يكونوا ادعاء تمثيل عبد الناصر : وعبد الناصر براء منهم وما يأفكون ويضللون !
هل تراني أعدد الأمثلة وأذكر الاسماء والشواهد ؟ وهل ثمة من مثال يقحم العين بل ينفقها . أصدق وأعجب من حكاية دمشق ؟ وهل هناك مثل صارخ أسطع وأوضح من فتنة ١٩٥٨ في لبنان ؟

* * *

ماذا أقول وما عساي أكتب . وقد كتبت مراراً وتكراراً منذ بضعة أعوام أدل على هؤلاء النفاسدين المضللين الذين أسأوا الى عبد الناصر شخصياً كما أسأوا الى كل بلد عربي نكب بتمثيلهم وتهريجهم وجاهلهم وضلالهم ؟
ولكن الى متى يدوم التهريج والتدليس ؟
الى متى يطول حبل الكذب والاساءة أكثر مما طال واستطال ؟

ثمانية أعوام ، لا عاماً ولا عامين ولا ثلاثة . ونحن نستصرخ ضماير المسؤولين في القاهرة أن يفتحوا أعينهم وأن يحفظوا كرامة تمثيل بلادهم ، فما ظفرنا بغير الامعان في التفاوضي والتراخي والسكوت المطبق . بلى لقد ظفرنا بشيء آخر هو الاتهام والطعن والنكران . لقد كانت تتحرك « الماسونية » هنا وفي القاهرة لدى أول انذار . وحتى من غير انذار . فتجند لنصرة من لا تجوز نصرته .

مثل لا مثيل له . أود أن أذكره على سبيل المثال والدلالة على الجهل العبقري الذي مني به التمثيل المصري في عهد الثورة المصرية .

لقد جيء بنصف مدرس أزهرى (فقى مدني) ليشغل منصب « الملحق الصحفي لسفارة الجمهورية المصرية » . وقيل له كن فكان ممثلاً لجمال عبد الناصر . . . وأين في بيروت !
ويا لطرافة التناقض الذي لم يخلق الله تناقضاً مثيله . . !

نصف مدرس أزهرى ، درويش غلبان ، لا يحسن من اللغات غير اللغة العربية ، ولا يحسن من اللغة العربية غير الفيه ابن مالك . يصبح فجأة ملحقة صحفياً !
ودعونا من الجهل ، دعونا من أن صاحبنا لا يتقن أمراً واحداً مما ينبغي أن يتقنه عادة الملحقون الصحفيون في السفارات .

ودعونا أيضاً من « البهدة » العمومية التي تصيب ثورة فنية علمانية تقدمية متحررة : عندما
مثل بسيد من أسياذ أهل الجهل والنفاق .

دعونا من كل هذا ، فأمره يهون . ولكن الرجل : أعني (الفقي المدني) أعني سيد أهل
الجهل ، أعني الملحق الصحفي لسفارة عبد الناصر ، كان على دين أحد الاحزاب الهرمة
التي حاربها عبد الناصر وقضى عليها في جملة من قضي عليه من الاحزاب والفئات الرجعية
البالية .

وأذهلتنا المفاجأة وتساءلنا كيف ولماذا ؟ وقيل لنا أن صاحبنا قد نظم قصيدة بمدح فيها
أحد الضباط المصريين وكان برتبة صاغ فكافأه بأن نقله من مهنة التدريس الى مهنة التمثيل
الديبلوماسي أعزك الله . وكان الملحق الصحفي آنذاك أميناً وفيماً فما من مرة يشاهد فيها حضرة
الصاغ الا ويخر على قدميه صائحاً ضارعاً « أنا خدام جزيتك يا سعادة الصاغ ييه !! » !

واكتشف رئيسه فيه بعض الكفآت ... فتمسك ببقائه ، بل واضطر ذات يوم لأن يسافر
بنفسه الى القاهرة ويقيم وزارة الخارجية ويقعدها ، عندما علم بأن ملحقه الصحفي سوف
ينقل من بيروت . ولم يرجع الى لبنان إلا بعد أن رقي الملحق الصحفي وعين ملحقاً ثقافياً في
السفارة . كل ذلك ليبقى صاحبنا في بيروت وكيلا يحرم الثورة المصرية من كفأته وخدماته !!
وعندما وقع الاعتداء الثلاثي على مصر . وفي الوقت الذي كان فيه اللبنانيون يكون حزنأ
على ما حل بالقاهرة وبور سعيد . في ذلك الوقت . كان الملحق الصحفي يقول لكل من يلقيه
« الانكليز مش ممكن يتركوا مصر . . الانكليز مش عايزين حاجة إلا جمال عبد الناصر » !!

هـ - المسؤولون !

يوم بدأت الكتابة عن المسؤولين من حاشية السوء ، الذين جعلوا من تمثيل عبد الناصر
وادعاء النطق باسمه ، متجراً كبيراً ، بل متاجر متعددة الالوان والمهن ، وموزعة بالعدل
والقسطاس بين القاهرة والعواصم العربية .

أقول يوم بدأت هذه السلسلة ، قلت إن أبغض الأشياء على النفس سماع كلمات الوعظ
والنصح ، بعد وقوع المحذور .

وقلت سوف تنهري الأقلام والألسنة ، تعدد المآخذ والأخطاء التي وقع فيها عبد الناصر ،

والتي أدت الى النكسة — الكارثة . فيقول أحدهم « كان على عبد الناصر أن يفعل كذا » ويقول الآخر « بل لم يكن ينبغي أن يفعل كذا . . . » الى آخره .

وأحمد الله على انني لم أدخل في زمرة الوعاظ وأهل النصح والارشاد ، الذين ينبرون لالقاء مواعظهم وحكمهم وتفلسفهم بعد « خراب البصرة » .

فأراني الشخصية التي نشرتها وأنشرها تباعاً ، ليست بنت الساعة ولا هي بنت الكارثة . فلقد كتبت منذ شهور قليلة رأيي الصريح في عددتين متتالين وفي هذه الزاوية تحت عنوان « الخبر المدسوس » تناولت فيه سنيير الجمهورية العربية المتحدة بما هو أهل له . ولم أكن أعلم — عفا الله عني — مبلغ السلطان الذي تتمتع به الجمعية الماسونية الحديثة المنتفعة باسم عبد الناصر وتمثيله . لم أكن أعلم نفوذها الكبير وسرها البائع ، فما ان نوهت بنجر قرب نقل السفير الى البرازيل — وقد نشرت الخبر الصحف المصرية وقتئذ — حتى عادت الصحف المصرية نفسها وأكدت إنه باق في منصبه في بيروت .

وكتبت منذ خمسة أعوام مقالاً في جريدة « الجريدة » بعنوان « أهل النفاق » حملت فيه حيلة شعواء على أدعياء تمثيل عبد الناصر والمتاجرين باسمه ، وأشرت اليهم تلميحاً وتصريحاً ، فلم تجد اشارتي ولا كلماتي شيئاً ، بل أجدت . . . لقد استطاعت الجمعية الماسونية أياها أن تصوري على انني العدو المبين لمصر والعروبة ولجمال عبد الناصر . وذلك بفضل تقاريرها وتقارير أذئابها المنتفعين بفتات موائدها .

ويوم وقفت في بداية الثورة المصرية أوأيدها بقلبي وقلمي وروحي ، كان الأنصار والمطلوبون . من المتنافه المصفقين الراقصين في كل عرس ، النائحون الباكين في كل مأتم — كانوا يشتموني ويشتمون الثورة ورجال الثورة ويسمونهم بحكومة الصاغة واليكباشية . . . ولقد أصبحوا بقدره الجمعية الماسونية المنتفعة باسم عبد الناصر وهم دعاة عبد الناصر وأنصاره . . . فتبارك الخلاق العظيم !

ويوم قامت قيامة الاحزاب والهيئات في مصر تطالب ضباط الثورة بعودتهم وعودة الجيش الى الثكنات ، وتظاهر مجلس قيادة الثورة بالرضوخ والاذعان لمطالب الاحزاب نشرت مقالا في « الجريدة » تحت عنوان « ماذا يراد بمصر ٢ » قلت فيه ان عودة الأحزاب السياسية القديمة الى العمل معناه العودة بمصر الى الحكم الفاسد . واتهمت عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة بالخيانة ، اذا هم أفسحوا المجال مجدداً لعودة مصر الى ما كانت عليه . وقد تولى أنور السادات — وكان يومئذ المدير العام لجريدة الجمهورية — نشر مقالي في المكان المخصص للانتاحية

وعلى عليه .

وقد انطلت الخدعة الكبرى على الاحزاب وعلى بعض الصحفيين فأطلقوا لالستهم العنان . ولكن الامر لم يدم أكثر من أيام قليلة ثم ضرب عبد الناصر ضربته القاضية على الفئات والاحزاب المناوئة لحكم رجال الثورة . وأذكر ان صائب سلام - لم يكن وقتئذ رئيساً ولا قائداً - التقيت به في منزل المرحوم عبدالله بهيم ، وابتدري صائب بك بقوله « شو هالافتتاحية العظيمة بجريدة الجمهورية » ؟ ولم أكن في صباح ذلك اليوم قد اطلعت على الصحف لا اللبنانية ولا المصرية .

وتشاء الصدفة أن أعثر أمس بين أوراقتي القديمة على قصاصة من جريدة « الجريدة » وكنت أكتب فيها مفكرة الأسبوع . ورحت أقرأها وأعيد قراءتها مثنى وثلاث ورباع . . . ولم أجد بداً من إعادة نشرها ففيها اختصار الحكم على بطاقة السوء وعلى أرائي التي ما تغيرت يوماً ولا تبدلت .

وتاريخ المقال يعود الى سبعة أعوام مضت .

أما الموضوع فهو بطاقة السوء وحاشية المنافيين .

وأما المناسبة فقد كانت الانقلاب الذي أطاح بالشيشكلي .

والذي دفعني لكتابة هذا الموضوع رؤية أحد كبار معاوني الشيشكلي وكاتم اسراره بعد أن لجأ الى بيروت غداة الانقلاب ، ثم نشره مقالاً عنيفاً يهاجم فيه أديب الشيشكلي الذي كان قبل مرور ٤٨ ساعة سكرتيره الوفي وكاتم سره الأمين !

والى القارئ ما كتبه منذ سبعة أعوام محلاً ومنبهاً جمال عبد الناصر ، من بطاقة السوء وحاشية المنافيين .

* * *

اسألوا الشيشكلي !

شاهدته يمشي في الشارع كما يمشي الرباء تماماً . . . ولو ان للرباء قدمين لاختلط عليك الامر ، ولما أمكنك أن تفرق بينه وبين ذاك الذي شاهدته يمشي بجلد وقلق وهلع . . .

كان الساعد الأمين ، والعضد الاول ، والمستشار الاول لاديب الشيشكلي ، كلمته لا ترد ورأيه لا ينزل الأرض ، وكان الذين يأملون خيراً من الشيشكلي يخذرونه منه ، ويحاولون جهدهم أن يفتحوا عينيه على حقيقة مستشاره وكاتم اسراره ، ولكن الشيشكلي كان في واد

آخر حشد فيه قطعان المنافقين المتزلفين ، وهو يعلم انهم منافقون متزلفون . ولكن الغشاوة رانت على بصره فما عاد يرى غيرهم . . . وانقض الرجال من حول الشيشكلي ، وبقي وحيداً فريداً حتى سقط ! وكان أول الشامتين فلول المنافقين الذين اصطفاهم وقرّبهم اليه أديب الشيشكلي . وأول فم ارتفعت الشتائم منه تلحن « سنسفيلا » الشيشكلي كان الفم الذي أطعمه الشيشكلي من بعد جوع وآمن صاحبه من خوف !

ومصر الثورة اليوم ، تجتاز امتحاناً رهيباً . ومن الحياة لمبادئ الثورة بل من الاجرام بحقها . أن لا يرتفع الصوت منبهاً ومخبراً مغبة السير — عن غير قصد ولا علم — بالطريق المعروف . الطريق الممهد القصير الذي سار عليه اديب الشيشكلي في دمشق فانتهى الى ما انتهى اليه . . . إن الثورة المصرية لم تقم لتهدم الأكواخ والعشش ولتشيد الابنية . أو لتزيل سور حديقة الأزبكية ، وترفع قضبان الترامواي من شارع فؤاد . . .

الثورة المصرية قامت لتعيد الى الشعب ثقته بالفضائل الانسانية والقيم الانسانية التي مسخها طواغيت مصر . . .

الثورة المصرية ما قامت ، وما كان ينبغي لها أن تقوم . لو لم يؤمن شاب مصري اسمه جمال عبد الناصر بحاجة أمته الى الشعور الذي افتقدته آجالا طويلة . من أجل ذلك وقف عبد الناصر يقول للمصري العبد الذليل « أخي ارفع رأسك لقد مضى عهد الاستعباد » !

وجمال عبد الناصر يعلم جيداً أن طريق الاستعباد ، كان وسيظل وقفاً على المنافقين من حاشية سوء الذين يدبون في جسد الثورة ديبب المرض في الجسد السليم . لإنهم وحدهم موكلون بتمهيد الطريق و « تزفيتة » ليسهل على الرجعية أن تعود . وعلى العبودية أن تتمكن من جديد . . .

ويومئذ سلام على مشاريع البغدادية وعلى خزم جمال سالم وصلابته وصوفية السادات وشجاعته ، وتقوى حسين الشافعي ونزاهته . وذكاء زكريا محي الدين وعبقريته . يومئذ سلام على حلم جمال عبد الناصر وسلام على مصر !

» « «

يا قائد الثورة وبطلها ، لو ان حياتك وحياة ضباطك الأبطال الذين استشعروا معك بعزة مصر وكرامتها وشرفها . لو ان حياتكم تقدم ثمناً للحرية والعزة والكرامة . لما وجدت حرجاً اذا

طالبكم ان تزهقوها من أجل مصر : أما أن تذهبوا ضحايا غيبة رخيصة لبطانة السوء وحاشية المنافقين التي تتبطنكم . فهذا ما لا أرضاه لكم ولثورتكم . . .

بين يدي رسالة من أديب الشيشكلي بعث بها الى صديق له بيروت بعض فيها أصابع الندم على أخطائه التي ارتكبها وأولها « حاشية المنافقين » .

لست متشائماً ولا مبالغاً ولكنني :

ارى خلل الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لما ضرام !

أحمد شومان

١٩٥٤

٦ - المسؤولون !

كيف لا أفهم نكبة عبد الناصر في سوريا وأنا الذي أعيش في لبنان ؟ أتأمل في حال عبدالناصر هنا ثم انظر بعين القياس الى حاله هناك . فأفهم كل شيء .

قصة عبد الناصر في لبنان . هل من لا يعرف كيف بدأت وكيف انتهت ؟ بدأت صورة عبد الناصر في أذهان اللبنانيين ، كل اللبنانيين ، هكذا :

بطل من الابطال الافذاذ . بعث به العناية الى أرض الكنانة ، يمثل فيها كل جديد من معاني السياسة واسرار القيادة .

أمام طبقة الساسة المتشغين بمغام الحكم . كان عبد الناصر في أذهاننا إمام الزاهدين . أمام طبقة المتاجرين بالديانات والطوائف ، كان عبد الناصر ، الرجل الذي أنقذ بلده من رجعية الاخوان المسلمين .

أمام مفاهيم المناورة والمداورة والغش والخداع والنفاق ، المتفشية في أوساط السياسة والسياسيين هنا وهناك ، كان عبد الناصر رمز مفاهيم الجرأة والوضوح والصدق والاختلاص .

أمام ذلك الفريق من الناس الذين يجرون أذيال الماضي والتقاليد العفنة والاحساب والانساب المنحلة المتآكلة ، كان عبد الناصر سيد الحكام الذين يعيشون في الحاضر والمستقبل .

هكذا بدأت صورة عبد الناصر في أذهان اللبنانيين ، جميع اللبنانيين . لم يكن يومئذ من يكره عبد الناصر ، أو من يتحفظ في حبه له . فالمسيحي اللبناني وجد فيه صورة الحاكم

الذي يتطلع اليه من بلده ، كالمسلم تماماً سواء بسواء . واللبناني المثقف أحبه كاللبناني غير المثقف .
لا يفرقهما في درجة الحب فارق ما .

كم دامت هذه الصورة في لبنان ؟ وكم عمرت ؟
مدة قصيرة من الزمن . سرعان ما أصبح عبد الناصر بعدها موضوع خلاف وشقاق من
اللبنانيين .

ما الذي حدث ؟
هل تغير عبد الناصر ؟ كلا . فعبد الناصر على العكس تماماً ، كان يسير صعداً في طريق
المجد وقدماً في طريق الإصلاح . ومع ذلك كانت صورته تحبو في خواطر الكثيرين من
اللبنانيين .

أما السبب فهو ان عبد الناصر لم يعد يظهر على اللبنانيين من خلال حقيقته وأعماله .
بل أصبح يظهر من خلال سفرائه وأعوانه وعملائه في لبنان .
فاذا بصورتهم تجني على صورته . واذا بحقيقتهم تشوه حقيقته . واذا بأفعالهم تغطي على
أفعاله !

إن عبد الناصر رجل علماني لا طائفي . ولكن سفراءه وأجراءه وأعوانه طائفيون غير
علمانيين .

وان عبد الناصر رجل عمل ونزاهة ، ولكن أجراءه وسفراءه قوم متبدلون غير متبجين .
وان عبد الناصر رجل عفة وزهد ، لا يتاجر ولا يسمسر ، ولكن مرآته هنا لم تكن على
صورته ومثاله .

وهكذا ذهب عبد الناصر في لبنان ضحية المتعishين من عبد الناصر ، مصريين ولبنانيين !
وكنا نحاول عبثاً أن نفهم الناس أن عبد الناصر شيء ، وهؤلاء شيء آخر . فكان الناس
يسخرون منا ولا يصدقون .

وكنا نقول لهم ان « الكوكتلجي السهرجي » شيء . وعبد الناصر البطل البناء شيء .
فكان الناس يتهمونا بالسذاجة .

وكنا نقول لهم ان عبد الناصر ليس نصراً من أنصار هؤلاء المتزعمين ، كارهي عبد الناصر
في قلوبهم ، المتاجرين بأستهم بأسمه ، فما كان أحد يصدق قولنا هذا .

وتبدل وضع عبد الناصر في لبنان من حال الى حال .

ولو كان لبنان في وحدة سياسية مع عبد الناصر لانفكت عرى هذه الوحدة ولقام في لبنان كزائرة ونحاولة وزهريون ، ولانطلقت من إذاعة لبنان أصوات الانفصالية ، بل الهجوم السافر على مصر وعلى عبد الناصر .

أجل لقد فهمنا ما حصل في سوريا ، لاننا فهمنا ما حصل في لبنان !

هنا وهناك ، كان عبد الناصر الضحية . أما الذين جنوا عليه وما زالوا يجنون هنا وهناك ، فالناس تعرفهم وإن لم يعرفهم عبد الناصر بعد على ما يبدو !

كلمة واحدة سأقولها لعبد الناصر إذا قابلته يوماً .

إن هؤلاء الذين يتصدون بالاسم للعمل من أجله ، يعملون بالفعل ضده .

إنهم لا يطبقون ما لا يريد فقط ، بل يطبقون عكس ما يريد . العكس تماماً .

إذا قال لهم أبيض ، فعلوا اسود .

وإذا قال لهم أسود فعلوا أبيض .

وإذا قال سلاماً قالوا فتنة .

وإذا قال زهداً قالوا تبذلاً .

وإذا قال عفة قالوا استهتاراً !

هؤلاء الذين يعملون بأسمك عكس ما تريد ، هم أخصامك أيها الرجل الكبير ، الذي لا أخصام له خارج أصدقائه المزيفين !

الزمن الرّجائي

١ - الزمن الرديء !

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله »

(قرآن كريم)

الزمن الرديء ، الذي تحدثت عنه في مقال سابق ، وقلت فيه أن المقاييس قد انقلبت رأساً على عقب حتى أصبحت القاعدة شواذاً والشواذ قاعدة .

هذا الزمن الرديء الذي نحيا فيه والذي أصبحت فيه الامعات شخصيات بارزة ، وأشباه الرجال رجالاً ، وأصبحت الأذنان رؤوساً واستنسر البغاث ، واستأسدت المفردة . . .

هذا الزمن لم تقتصر رداءته على السياسة والزعامة والاجتماع والفن والموض ، بل انه قد تعدى الى أكثر من هذا ، اذ أصبحت تلاوة القرآن الكريم تخضع - والعياذ بالله - الى بدع وأساليب ينفر منها كل ذوق ويأبأها الله ورسوله .

ان بعض المشايخ - وخاصة في مصر - يتلون آيات الله وكأنها أغاني تلقى على المسارح لا في المعابد .

وتحول الشيخ المقرئ - بفضل هذا الزمن الرديء - الى عبد الحليم حافظ أو فريد الأطرش أو شادية . . . بل إن المطربين أنفسهم لم يصلوا في خفتهم وميوعتهم الى ما وصل اليه بعض مشايخ هذا الزمن !

يسوقني الى هذا الكلام ما شاهدت بعيني رأسي ، فلقد ذهبت لحضور ذكرى الاسبوع لفقيد كريم ، وراعني ان المقرئ قد تحول الى مطرب كسائر المطربين الذين نشاهدهم في المسارح أو نستمع اليهم في الاذاعات .

لقد تحولت ذكرى الفقيد وتلاوة آي الذكر الحكيم الى صراخ وهتافات تحمل الاعجاب والتهليل والتكبير للشيخ المقرئ ، دون أن تحمل معنى واحداً من المعاني السامية التي تقتضى لدى سماع آيات الله ، فالصمت والخشوع ، والانصات التام ، والرهبه والانكسار وواجب الوقار ، كل هذا ينبغي أن يراعيه كل من يستمع الى تلاوة القرآن الكريم ، فيخشع ويتأمل ويطلق التأمل بكلمات الله . ولكنني شاهدت أمراً عجباً فلقد ظل سيدنا الشيخ يغني - والعياذ بالله العظيم ولا أقول يتلو - من الساعة السابعة حتى الساعة التاسعة دون توقف ، بل دون أن يأخذ نفساً ليستريح أو على الأقل ليريح الحضور .

مع العلم أن التلاوة في مثل هذا المجال لا ينبغي أن تطول أكثر من عشر دقائق يتوقف المقرء على أثرها لينفض المعزون ، ثم يعاود التلاوة اذا شاء هو أو شاء أهل الفقيه . أما أن يواصل الشيخ التلاوة — وليتها كانت تلاوة — مدة ساعتين من الزمن وبلا انقطاع ، فهذا ما لم أسمع به وما أحسب ان أحداً غيري قد سمع به ، بل انه أمر لا يقره شرع ولا ذوق ويأباه الله والرسول .

رحم الله الشيخ محمد رفعت سيد المقرئين ، كانت تلاوته تشيع في النفس الخشوع والطمأنينة ، وتبعث الرهبة والخوف في أقسى القلوب .

كانت تلاوته تنساب وكأنها منبعثة من السماء لترسل النور والأمن والهداية .

كان مقرئاً مثالياً لا ميوعة ولا تصنع ولا رقاعة ولا تحنث في صوته ولا في طريقة تلاوته . حتى ليحسب المسلم وهو يستمع اليه حين يقرأ القرآن . وكأنه يستمع الى صوت سماوي . صوت فيه عمق وحنان ورهبة وخشوع . وأسلوب في التلاوة والاداء ليس له نظير بين من سمعنا ونسمع من شيوخ هذا الزمان هؤلاء الذين تحول بعضهم الى منافسين للمطربين الحديثين أمثال عبد العزيز محمود وفريد الأطرش واضربهما .

لقد نسي هؤلاء قول الله تعالى في كتابه .

« وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون »

ونسوا قوله تعالى :

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله »

فما بال بعض المشايخ قد نسوا او تناسوا العظة الكبرى والحكمة البالغة من تلاوة آي الذكر الحكيم ؟

بل ما بال المسلمين يتصرفون لدى سماع آيات الله كما يتصرفون في مجالس السمر واللهو ؟ !

٢- الزمن الرديء !

أقبح ما تقع عليه العين : عجوز يتصابى ، وثقيل « يتظارف » وغبي « يتذاكي » وقصير يتطاول ، وجهول يتصدر أهل العلم ، وصعلوك يتعاضم ، وشائن يتصق بالوطنية : وحقير يرتدي ثياب الشرفاء . . .

وأشد ما يحز في النفس أن يحيا المرء في زمن لا يستطيع أن يقول فيه للحمار أنت حمار ،

وللجاهل أنت جاهل . وللأفاق الدجال ، أنت أفاق ودجال ، وللصغير الحقير ، أنت صغير حقير ، وللذنب الامعة أنت ذنب وامعة .

بل يرى المرء نفسه مضطراً لأن يسمي الأشياء بغير أسمائها فيحور ويدور ، ويغمغم ويتمتم ، ويداري ويحاجي ، ويداهن ويجامل ، فيقول للتيس أنت غزال ، وللجاهل اللقوق ، أنت أعلم العلماء ، وللغبي العبي أنت أفصح الفصحاء .

وآية آيات هذا الزمن الرديء ، انك لا تستطيع أن تمتدح شريفاً فتقوم بقيامة الخونة عليك . أو تنثي على رجل كرامة وانفة ، فيتناولك أهل الحقارة والصغارة بكل همة وكل نقيصة ، أو تشير ولو بطرف خفي الى صفة نبيلة يتصف بها انسان ، فتتناولك الألسنة بالسباب والشتائم ويتنادى أعضاء الجمعية إياها — الجمعية الماسونية التعاونية الحديثة — ليشنوا عليك حرباً لا هودة فيها ولا رحمة . . .

ومن نعم الله التي أنعم بها علي . انني استطعت على الرغم من هذا الزمن الرديء أن لا أقول للحمار أنت غزال ، وللنصاب الافاك ، أنت شريف نبيل . ولسمسار السياسة والوطنية أنت رب السياسة والوطنية .

ولست أنكر انني لاقيت وألاقي من ضروب العنت والاضطهاد الشيء الكثير من مفتريات وأضاليل وأكاذيب ، ولكنني كنت وما أزال لا أنظر إليها إلا كما ينظر المرء الى ما يعلق بجذائه . . . بمسحه ثم يمضي غير عابئ .

وأذكر والشيء بالشيء يذكر انني ما مدحت رجلاً كريماً أو موظفاً أميناً أو سياسياً مخلصاً ، إلا وتألبت عليه جموع الصعاليك والامعات ، تنهشه بأنبيائها وأظافرها فان هي لم تتسكن ، أطلقت حوله شتى التهم والشائعات ، فاذا كان موظفاً أقصي عن وظيفته واذا كان مسؤولاً أبعد عما يحمله من مسؤوليات وهكذا . . .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، أذكر انني كتبت يوماً أمتدح قنصل مصر الأسبق البكباشي سعيد الغمراوي وكان الرجل مثلاً من أمثلة الصدق والتفاني في عمله ، فما من لبناني عرفه إلا ولهج لسانه بامتداحه والثناء عليه . ولم يلبث الرجل طويلاً حتى تحركت الجمعية الماسونية وعملت عملها فتم لها ما أرادت وأقصي سعيد الغمراوي ابن الناس الاوادم والمصري المخلص بلده ووظيفته ، أبعد عن مقر منصبه ببيروت وجيء بالاستاذ حفي محمد بن قنصل عاماً للجمهورية العربية ، ويبدو أن حفي — صاحبه الله — لم يتعظ بما حصل لسلفه الغمراوي . فكان صورة مماثلة في النبل والسمعة العاطرة والتفاني في خدمة اللبنانيين ، خدمة شريفة نظيفة . . .

وحفني محمد بن معذور إذا هو لم يتمكن أن يكون إلا نبيلاً فكل اناء بما فيه ينضح . .
وأخطأت يوماً فكتبت أعبر عن شعور اللبانيين نحو قنصل مصر وما يتمتع به من مزايا
وصفات ، جعلته محبوباً مقرباً الى قلوب الجميع . ولم يلبث حفني محمد بن طويلا ، فقد تحركت
الجمعية الماسونية مرة ثانية ونصبت المكائد كما سبق لها أن نصبتها حول سعيد الغمراوي ، وكان
صباح وكان مساء وأقصي حفني محمد بن عن وظيفته في بيروت ونقل الى القاهرة . . .
وأعترف بأن حفني محمد بن قد عمر طويلاً ، وصحيح انه لم يمكث تسعة أعوام ، ولكنه
على الأقل بقي مدة أطول من المدة التي أمضاها سلفه البكباشي سعيد الغمراوي !

* * *

ذكرت هذا عندما حدثني صديق قدم من القاهرة وحدثني كيف أن احسان عبد القدوس
ضرب رأسه بيده وهو يصيح « يا خبر اسود يا خراب بيتي » ! وذلك عندما قرأ ما كتبت
كتبت عنه أمدحه وأثني عليه في عدد مضى . . .
وكنت على وشك أن أكتب عن صديق آخر أصيب بأقسى وأعنف ما يصاب به المصري
العصامي ، ثم لطف به الاقدار وزالت الغمة عنه بعض الشيء ، اذ استرد اليسير من المعنويات
التي فقدتها زمناً طويلاً . . .
وجاءني من يقول : ان فلاناً يهديك اشواقه وتحياته ويرجوك أن لا تذكره بكلمة خير . . !

* * *

وبعد ، كل ما أتمناه أن لا يصاب احسان عبد القدوس بسوء ، وأن لا يدرك أهل الفعلة
والنباة هناك من عنيته بكتابتني . . . والله من وراء القصد وحسبنا الله ونعم الوكيل !

٣ - الزمن الرديء !

ربي ان من وهبته العقل فماذا حرمة وان من حرمة العقل فماذا وهبته ؟
« الامام علي »

من آيات الفساد الذي استشرى في هذا الزمن ، أن الغوغائية التي كانت في الماضي مبتذلة
مرذولة ، أصبحت اليوم مبعجة محمودة . بل أصبح التجديف عليها أو محاولة نقدها وتبيان

أخطائها ، أمر خطير لا يقل عن التجديف على الرسل والانبياء والقديسين .

فالعراضة ، والهوبة ، وتمرين الاشداق بعلك الالفاظ الفارغة ، ومحاولة أكل عقول الدهماء بالخطب اللطانة الرنانة التي لا تسمن ولا تغني من جوع سامعيها ، بقدر ما تسمن وتغني أصحابها . . .

هذه العدة القديمة ، عدة السياسيين الفارغين ، التي تشبه أكثر ما تشبه جراب الحايي . . . ما تزال ويا للأسف ، عدة الكثير من رجال السياسة والزعامة في مختلف البلدان العربية . وأكثرها حظاً من الشهرة وذبوع الصيت ، أكثرها حظاً من اقتناء هذه العدة ، عدة النفاق والتدليس . . .

وأبعد البلاد العربية عن « الهوبة » و « العراضة » و « المهرجانات » وقرعة الاذاعات أصدقها في حسن البلاء والجهد ، واسرعها الى اقتناص ثمراته . وليست الجزائر إلا مثلاً رائعاً حياً ينبض بصدق ما نقول !

فما كان يدور بالاذهان ان الجزائر التي نكبت بأشد وأفظع وأرسخ استعمار ، سيأتي يوم تتخلص فيه من هذا الاستعمار وتنتزع عن رقيتها طوق عبوديته ، ولكن أبناء الجزائر مضوا في سبيلهم الذي ارتضوه ، سبيل الجهاد والحق الصادق المنزه عن كل برقع خلاص ، وكل طبل فارغ وكل قرعة جوفاء حتى جاءهم النصر المؤزر المبين يدوي في أذن الدنيا بطبول هيهات ثم هيهات للطبول المجوفة والقرعة الفارغة أن تبلغ شأوها ومداهها !

والغوغائية ، مرض هذا العصر ، ونخب الزعامات العربية وزادها ، بل اوكسيجينها وماء حياتها ، لم يستفحل أمرها ويتعظم خطرها كهذا الزمن وكهذه الأيام . فلقد بلغ من عظم شأنها وعلو كعبها وطول ناهها وظفرها ، انها أصبحت بمنجى عن كل نقد . وليس أيسر من أن يطلق غوغائي كلمة السر في صفوف الجبهة من الدهماء الغوغائيين ، تتهم ناقداً صادقاً مبصراً ، كيما تسري كلمة السر سريان النار في الهشيم ، وتنصب للثهم جزافاً وأقلها « الخيانة » و « العمالة » والذين يرسلون هذه التهم هم أنفسهم أكثر المتمرغين في مستنقع الخيانة والعمالة !

فاذا قلت بأن الوحدة المبتسرة المرتجلة الجاهلة ، التي قامت بين سوريا ومصر وبين مصر واليمن ، ما كان ينبغي لها أن تقوم في الأصل ، برزت لك زواحف الامعات وعباقره أهل الجهل ، تتهمك بشرفك وعقلك ووطنيتك .

واذا قلت بان الاتحاد هو الخطوة الأقرب الى الواقع نحو الوحدة المرجوة ، قيل بأنك انفصالي غير وحدوي !

واذا اشرت الى الضربة القاسية التي أصابت عبد الناصر نتيجة تجربة الوحدة . قيل أنك ضد عبد الناصر . . .

ومن عجب أن يكون أشد الناس عداوة وأذى لعبد الناصر ، هم الصق الناس بعبد الناصر . . !
واذا قلت بأن العودة مجدداً لتجربة الوحدة ، عمل لا يقدم عليه الا كل معتوه أخرق العقل .
قيل لك بل « الوحدة على أسس جديدة » !

ولكن ما هي هذه الأسس ؟

ما هي بنودها ؟ ما هي مقوماتها ؟ ما هي ركائزها ؟

وكيف السبيل لعدم الوقوع مرة ثانية في التجربة الكبرى ؟

ويأتيك الجواب — أعزك الله — من حمص ومقررات حمص ، ومن الفوضى العاقلة المركزة التي تترسست في سوريا ، فزرعت فيها هذا القلق الرهيب التي تعيش في ظلامه الدامس ولا تعرف السبيل للخلاص منه !

اوليست الأزمة الناشبة اليوم في قلب سوريا هي من ثمار الوحدة الجاهلة الدعية المغرورة ؟
اوليست الغوغائية وتملق عواطف الدهماء هي السبب الحقيقي والأصيل لمعظم الكوارث التي ألمت بالفكرة العربية الصافية والوحدة العربية الحقيقية المنشودة ؟
سبيل الوحدة علم ومنطق وأخلاق وكفاءة ونجود . فأين هي هذه الوحدة وأين هي السبيل التي سارت عليه ؟

سبيل الوحدة اتحاد بين الدول العربية بادىء ذي بدء . فأين هو هذا الاتحاد ؟

سبيل الوحدة ، في المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية التي قام بها لبنان . . .

فأين هي الوحدة ؟ وأين هو الاتحاد ، بل أين هي الجامعة العربية ؟

بالامس ، استطاعت الغوغائية أن تضيع منا فلسطين . واليوم توشك أن تسلب منا أكثر من فلسطين !

كانت الغوغائية تقتعد على استحياء وخجل كرسيّاً خشبياً على الرصيف . . . أما اليوم وفي هذا الزمن الرديء ، فلقد أصبحت تجلس على مقعد وثير ولها الصدارة . . . ولها الامر الخطير !

٤ - الزمن الرديء...
كيف خسرت الرهان !

عندما كتبت أقول بعودة الدكتور القدسي ، كنت أراهن بيني وبين نفسي انه لن يعود !
واعترف بانني خسرت الرهان ، على الرغم من تنبؤي بعودته الى الميدان .

ذلك انني كنت أقرض في الدكتور ناظم القدسي ، الرجل القانوني ، الرقيق البدن للفضيل الحجم ، الصامت المتزمت ، الكاره لكل جمعة وبهرجة ، أن يكون منسجماً مع طبعه وخلقه ومزاجه . فلا يعود الى الرئاسة الا منتصراً على كل ما يناهض خلقه وطبعه ومزاجه . . .
ومن أجل هذا راهنت نفسي على انه لن يعود ، وخسرت الرهان !

وقد يكون لسياسي سوري آخر في غير تزمط وطباع الدكتور القدسي ، بعض العذر في أن يعود على النحو الذي خرج منه ناظم القدسي ، وان يطأطأ الرأس مرغماً لا بطلا نزولاً عند أحكام هذا الزمن الذي تضاربت فيه المقاييس واختلط الحابل بالنابل ، فما عاد المرء يفرق بين الغث والسمين ، ولا بين الزؤان والقمح .

قد يكون لغير الدكتور ناظم القدسي أن يرضخ ويدعن ويطأطأ الرأس نزولاً عند حكم القوي . ولكنني لست أدري لماذا استنكرت على هذا الرجل القليل الحجم الرقيق البدن ، الخفيض الصوت ، أن يخضع ويلين ، وبالتالي أن يتنكر لحقيقة نفسه وما جبلت عليه ، من حفاظ على القانون وحرمة ، ورعاية للحق وقدسيتها ، وإيثار للشرعية وامانتها . فيقبل بما قبل به غيره من الساسة المحترفين المخضرمين ، ويغمض العين ويسد الأذن ، ويغلف القلب ، على ما تأباه العين ، وتأباه الأذن ، ويأباه القلب !

قد أكون مخطئاً وقد يكون الدكتور القدسي مصيباً . وقد تكون المصلحة في توفر شيء من الاستقرار الآتي لسوريا هي التي أملت على الرجل رضوخه واذعانه وقبوله بالأمر المفعول . ولكنني لا أستطيع أن أنسخ من ذهني صورة حية ماثلة في الخواطر . . . انها صورة الرجل السوري المترفع سعد الله الجابري . فقد تناوله أحد النواب في المجلس النيابي يوماً بكلمة تسيئه ، وكان الجابري رئيساً للحكومة ، فقامت القيامة على النائب واضطره المجلس لان يعتذر ، واعتذر النائب لرئيس الحكومة . . . ولكن سعد الله الجابري أبى الا أن يستقيل من الحكم واستقال بالفعل بعد أن طرح الثقة بنفسه ونالها بما يشبه الاجماع . ثم غادر المجلس وذهب الى منزله رافع الرأس شامخ الأنف !

* * *

من تراه انتصر بعد عودة الدكتور القدسي ؟
 لا أعتقد ان أحداً يستطيع القول بأنه انتصر أو ربح شيئاً ، باستثناء اللذين جيء بهم الى
 الحكم مؤقتاً ، والذين سيمضون كما أتوا ويعودون كما جاؤوا . . .
 فلا أهل اليمين ولا أهل اليسار .
 لا أهل الوحدة ولا أهل الانفصال .
 بل أهل العسكر أنفسهم لا يستطيعون أن يقولوا بأنهم انتصروا !
 جميع هؤلاء لم ينتصروا ولم يخسروا . . .
 رجل واحد لم ينتصر ولكنه خسر . انه الدكتور ناظم القدسي ، الرجل الخفيض الصوت ،
 الرقيق البدن ، الكاره لكل جمعة ويهرجة ! !

هـ - الزمن الرديء !

فضيلة للتواضع ، كيف أدركته . . لست أدري ؟

لقد تواضع الطبري الحديث وكاتب التاريخ في جريدة الاهرام « م . ح . هـ » - اعني
 محمد حسنين هيكل - فسمح وأذن بالكتابة عن أنور السادات ، في الصفحة الثامنة ، أي في
 قفا الصفحة التي يحررها سيادة الطبري الحديث مرة كل اسبوع . . .

وقفا الصفحة التي يحررها « كاتب التاريخ » ليس يعيبها انها الصفحة الأخيرة من صفحات
 « الاهرام » - وكل صفحاتها في هذا الزمن الأخير أصبحت أخيرة - انما يكفي « م . ح . هـ »
 فضلاً وتواضعاً انه أذن وسمح بالكتابة عن أنور السادات في قفا صفحته التي خصصت
 للكتابة عن « فتحية الزنبلك » و « نعيمة للقرعة » و « شريفة مليم » وامثالهن من راقصات وفنانات
 هذا الزمن الأخير !

ولست أدري كيف هبطت نعمة التواضع فجأة وبلا انذار على رأس رئيس تحرير جريدة
 الاهرام ، طبري الزمان وكاتب العصر والوان ، فتنازل وأذن بالكتابة ، وبعد طول انقطاع ،
 عن رئيس مجلس الأمة السابق ، والأمين العام للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية اللاحق أنور
 السادات ؟

هل هو تكريم وتقدير من الطبري الجديد والكاتب القدير أن يخص وجهاً من أعرق واعتق وجوه الثورة المصرية ، فلا يجد متسعاً في جريدته للواسعة الانتشار ، الا زاوية الفنانين والفنانات والراقصين والراقصات من أهل الصالات والحمارات ؟

أم هي ترضية عن اشاعة باتت وهي أشبه ما تكون بكلمة السر ، تطلقها ألسنة الحاشية من الخلافات و « الدلائل » في كل مرة يحاولون فيها الانتقاص من قدر الرجال الشرفاء ، فيتولون نشر الحمسات والوشوشات من أن فلاناً « ركنوه » أي أبعدوه . . ؟

وسواء اكان التكريم والتقدير وارداً أم غير وارد . او كانت الشائعات واردة أم غير واردة . فان الكتابة عن أنور السادات وبالشكل والمكان الذي تطوع « كاتب التاريخ » أن يريزه في جريدة الاهرام ، عمل يعتبر منافياً للذوق واللباقة ، التي ينبغي أن يحرص عليها « كاتب التاريخ » حرصاً على سمعة الثورة وكرامة الثورة !

فأنور السادات ليس اسماعيل ياسين ولا محمود شكوكو ، بل ليس هو راقصة من الراقصات أو ممثلة من الممثلات التي يتطوع « كاتب للتاريخ » وصاحب « البيت للريفي » بنشر صورهن وأخبارهن في فقا صفحته . . .

ان أنور السادات كما لا يجهل « م. ح. ه » ومن هم وراء « م. ح. ه » هو الذي يمثل روح للثورة المصرية ومضاءها وعنادها وصدقها وتجربتها .

فيوم كان انور السادات نزيل السجون والمعتقلات وطريد التشرد والوحاحات سنوات طويلة ، كان المتشدقون الفارغون يتقبلون في أحضان نعيم الملك المخلوع . . .

ويوم كان أنور السادات يبيت على الطوى ويشكو الفاقة والتشرد والحرمان ، كانت « أمعات » هذا الزمن تزحف على بطونها ارضاء وتقرباً من ذوي الجاه والسلطان .

ويوم كان أنور السادات يحارب بيده لا بلسانه الاستعمار البريطاني في السويس والاسماعيلية ، والاستعمار الملكي في القاهرة والاسكندرية وفي كل مكان . . .

يومها كانت « الامعات » تبصص بذنبها ارضاء للمستعمر وزلفى وتقرباً للملك المخلوع !

* * *

آية آيات الزمن الرديء في القاهرة ، ليست في أن يصبح من كان يربط شريط حذاء الملك فاروق شخصية مرموقة لها وزنها ورأيها وأمرها ونهيها في هذه الأيام . . .

آية آيات الزمن الرديء في القاهرة وفي هذا الزمن الأخير ، أن يتواضع « كاتب التاريخ »
و « الطبري الجديد » فيأذن ويسمح بالكتابة عن أنور السادات في قفا صفحته . . . حيث
ينشر أخبار وحركات الرافضات أمثال « نعيمة الزنبلك » و « فتحة ولعة » و « سعدية القرعة » . . .
ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم ! !

٦ - الزمن الرديء !

ما من فرجة تشيع في النفس متعة الطرب ونشوة البهجة ، كالفرجة على الأبله الأخرق
العقل الواغل في بلهه وجهله ، عندما يلبس قناع العالم الذكي القطن ، ويرسل ابتسامته الذكية
لتسلي على جوانب فمه ، شهادة صدق ممهورة بخاتم شيخ الحارة أو ببصمة ابهامه ، تشهد
وتؤكد أن صاحبنا فهمم فهمم ، عليم عليم ، لا تفوته شاردة ولا واردة الا « ويلقطها على الطائر »
كما يقولون بالعربي العامي الفصيح !

وليس يعدل متعة الفرجة على أمثال هؤلاء من مخاليق الله ، الا مشقة مناقشتهم والدخول
معهم في جدل عقيم فارغ وجهد ضائع ، سداه ولحمته الكلام في البديهييات . . .

وما من أمر أقسى ولا أشق على النفس ، كالمناقشة في البديهييات العامة . . . اذ كيف
تستطيع أن تثبت لمفتوح العينين ، بأن الشمس طالعة ، وإن النهار نهار ، والليل ليل ، وإن
الحق حق ، والخير خير ، والشر شر ، والجهل جهل ، والباطل باطل ، وهلم جرا من البديهييات
العامة ؟

إنها محنة ولا شك ، محنة عبر عنها ابو الطيب المتنبي - طيب الله ثراه - بكلمتين عندما
قال « ودائي قلة الفهم » واستراح بعدها دون أن يجهد نفسه بالدخول في مناقشة أهل « الفهم
والفطنة والفصاحة » من ذوي العقول الموشاة بأغلى وأندر « دانتيلا » الغباء والعياذ بالله تعالى !

أنا أعلم ان كلمة الحق كانت منذ القدم ثقيلة الوطأة على النفوس ، وأعلم انها أصبحت
في هذا الزمن تهمة بل جريمة ، يعاقب عليها صاحبها بالافتراء والدس والوشاية والوقعة ، وبأشد
من كل هذا في بعض الأحيان . . . وبالسجن او بالاعتقال مثلا ، أو بضرب العصي او
الموسى . . . وهذا أضعف الايمان !

أعلم هذا جيداً ، وأعلم أن السكوت والرضوخ ومسح الجوخ ، أيسر سبيل وأهون طريق الى كسب ود الحكام والزعماء . وان بصبصة الكلب بذنبه ، تتيح له الظفر برضاء وعطف صاحبه . . .

وأعرف أيضاً وأيضاً ، كيف ومن أين تؤكل الكتف ، فليس في الامر علم ولا معرفة . اذ يكفي أن يتسلح المخلوق بخروطوم – ولا أقول أنف – لا يفرق ولا يميز الروائح ، حتى لو كانت روائح الجيف والتن كيما يصبح فارساً مغواراً بأكل الكتف !

ولبعض هؤلاء المخاليق ولع – والله في خلقه شؤون – بنهش اللحوم وننش الاكتاف ، حتى قيل عنهم القول المشهور « يعرفون من أين تؤكل الكتف » !

وليس الخروطوم – أعني الأنف – هو وحده السلاح والعدة . فهناك الأنبياب والأظافر ، وهناك قبل هذا وذاك ، العيون البلقاء المفتوحة على وسعها . وإجلود السمكة الفاخرة التي تضاهي أفخر النعال الانكليزية والفرنسية ، ثم الرؤوس النحاسية التي يصح فيها المثل المصري القائل « اعطيك كلام زي الرصاص تعطيني صدغ زي النحاس » !

* * *

لقد آذت كلمتي عن أنور السادات – وهي أبسط كلمة وفاء تقال – آذت بعض الزواحف والخنافس البشرية ، فسارعت الى ارسال الشائعات والافتراءات تتهمني بالمزيد منها وليس فيها جديد . فلقد بلوت منها ومن تقاريرها طوال عشرة أعوام الشيء الكثير ، حتى بات جديدها قديماً ليس فيه شيء من الجدة ! وكان بميسوري في معرض رد التهم عن نفسي ، أن أردد ما قاله لي الرئيس عبد الناصر في مجلس قيادة الثورة منذ بداية الثورة وبحضور عبد القادر حاتم – قبل أن يصبح وزيراً – اذ قال لي « أنت الوحيد الذي وقف الى جانبنا بصدق وإخلاص » !

واليوم لا أريد أن أذكر سيادته بقوله هذا ، ولكنني أحب أن أذكره بشيء آخر . . .
بأنور السادات ، الابن الروحي لعزير المصري .

وعزير المصري هو « الاب الروحي للضباط الأحرار في مصر » كما كان يسميه جمال عبد الناصر . . .

وعزير المصري ما يزال على قيد الحياة !

٧ - الزمن الرديء !

شهيد الموسيقى الشرقية

« وشيمة أهل الفن سوء الخلق »

الجاحظ

وأهل الفن للذين وصفهم الجاحظ ، منذ القدم ، بسوء الخلق ، لا يمتون الى الفن وأهله بصلة ولا حتى بقشرة بصلة !

إنما الدين عناهم كبير كتاب العرب ، فليسوا الا الطفيليات التي تطفو على صفحة الفن الأصيل الجميل وتعيش على الفتات . . .

ذكرت كلمة الجاحظ هذه عندما قرأت في الصحف نبأ وفاة صالح عبد الحلي وكيف ان أحداً من « الفنانين » لم يشترك في تشييع جنازته . . .

وصحيح أن وزير الثقافة السيد ثروت عكاشة قد أناب عنه من يمثله . ولكن الصحيح أيضاً ان حياة الضنك والعوز التي عاشها كبير مطربي الشرق في آخر أيام مرضه الذي طال ، كانت من الشدة والقسوة بمكان كبير .

ومما زاد في آلام الرجل انه كان عزيز النفس مرفعاً ، يرفض باستمرار المعونة من « الفنانين » أنفسهم الذين لم يشتركوا في تشييع جثمانه . ولقد جاء رفض صالح عبد الحلي في حياته لمعونات هؤلاء « الفنانين » آية صدق على صحة رأيه بهم بعد مماته . . .

وصالح عبد الحلي ، يعتبر بحق شهيد الموسيقى الشرقية فلقد غنى زهاء خمسين عاماً ، وظل محافظاً على أسلوبه في الغناء وطريقته في الاداء ، كما بقي محافظاً أيضاً ، وحتى آخر أنفاسه ، على رأيه بالمطربين المحدثين الذين كان يسميهم « صراصير الفن » !

والشهرة التي حظي بها هذا المطرب الكبير ، لم يحظ بها مطرب من قبله ولا من بعده . والعز والمجد والمال وإلحاح الذي تقلب بين أحضانه زمناً طويلاً ، ما عرفه وما أحسب أن أحداً من المغنين العرب سيعرفه !

والنهاية المؤسفة التي انتهت بها حياة صالح عبد الحلي ، لا تسيء الى صالح عبد الحلي ولا تخجله ، بقدر ما تسيء وتخجل كل من ينتسب الى الفن وأهله في مصر ، ابتداء من أم كلثوم ونزولاً حتى محمد عبد الوهاب . . . أما « صراصير الفن » الذين كان يسميهم صالح عبد الحلي ، فليس يطلب منهم شيئاً ، وهم الذين أصبحوا كل شيء في غفلة الزمن ، بعد أن أصبح التهريج فناً ، والعواء غناء ، والميوعة والتخنث سلم المجد والثروة وإلحاح والسلطان . . .

واذا ما تخلف كبار الفنانين أو من اصطلاح الناس على تسميتهم كذلك - عن القيام بأبسط الواجبات حيال استاذهم وكبيرهم صالح عبد الحلي فأولى بصراصير الفن وطفيلياته أن لا يطلب منها شيئاً !

* * *

نهاية شهيد الموسيقى الشرقية صالح عبد الحلي ، تبدو من أسطح آيات الزمن الرديء ، الذي انقلبت فيه المقاييس رأساً على عقب ، واختلت فيه الموازين ايما اختلال .

وليس الأمر وفقاً على ناحية واحدة من نواحي الحياة ، بل أصبح كل وجه من وجوها سواء في السياسة أو الأدب أو الصحافة مماثلاً وبطابقاً لما آلت اليه نهاية الفن بنهاية صالح عبد الحلي ! !

٨ - الزمن الرديء

ولن التصوير ... !

عندما ذهبت أمس لمشاهدة معرض الفنانين السوريين ، كانت تراودني الفكرة البائسة التي انطبعت في ذهني عن المصير الذي صار اليه فن الرسم ، بعد أن أصبح أمره بيد الصبية والتافهين الذين ابتدعوا مدارس تحمل اسماء ما أنزل الله بها من سلطان ، سداها ولحمتها للبواخة والتهديم لكل ما هو جميل ونبييل وأصيل .

ولست أنكر أن فريقاً من الفنانين المعاصرين المجيدين هم حرب على هذا النوع من الرسم الذي ابتدعوا له المدارس والاسماء ، ولكنهم أصبحوا قلة بعد أن شاعت الموض المتعددة في الرسم ، تماماً كما تروج الاالحان المائعة والأغاني العصرية الخليعة .

لست مصوراً ولا نحّاتاً ولا ناقداً فنياً ، ولكن ليس يعني هذا انني أحشر نفسي في أمور الفن اذا ما استنكرت هذا النوع من الدجل والتدليس والمسخ والتهديم ، الذي تطفح به مدارس الرسم الحديث والذي يقدمه أصحابه على انه آية الآيات للفن العصري !

فلقد شاهدت في معرض الفنانين السوريين بضعة لوحات تجعل المرء يتحسس عقله قبل أن يتحسس عينيه ، ويدير النظر فيمن حوله ليسألهم « ما هذا الذي ترونه » ؟

لوحة - أو هكذا يسمونها - أفرغ صاحبها من حيث يدري أو لا يدري كل ما يحوفه أثر سكرة غير موفقة في خمارة « تيرسو » !

ولوحة ثانية - هي أخت الأولى - انقلبت عليها بضعة زجاجات من الحبر الأحمر والاخضر والأزرق والأصفر والأسود والبني والليلكي وغيرها من الألوان الأخرى . ويبدو أن صاحبها قد ترك للحبر عمله في سيلانه ليرسم الخطوط والتعاريج والطرايش قبل أن يقدمها صاحب اللوحة في المعرض داخل اطار أو من غير اطار . . .

وتتساءل ما هذا وما هو المقصود بهذا الذي يعلقونه في المعرض تحت اسم فن التصوير ؟ وتذوب في ثيابك حياءً وخجلاً لجهلك . . .

ان هذا الفن الجديد هو ما يسمونه بالفن « الفوضوي » الذي لا يخضع لخط أو شكل أو لون ولا يتقيد بقاعدة أو نظرية أو مبدأ . . . ويسمونه بالفرنسية Informelle ونسميه بالعربية غير الفصحي « خربش برش » !

وتغوص حتى أعماق قدميك عندما تعرف ان أحد زعماء هذا الفن واسمه « فوترييه » قد نال الجائزة الأولى في معرض « فينيس » وان إحدى لوحاته قد بيعت بمبلغ ٢٠ الف ليرة وأنها تستريح على حائط في احد القصور اللبنانية ! لقد استطاع اليهود أن « يندقوا » السياسة . . .

وامتدت أنوفهم وأيديهم صوب الفنون الجميلة فبندقوها ، وكان نصيب الرسم والتصوير حصة لا بأس بها من « البندقة » اليهودية .

فالحرب على الاصابة والنبيل والجمال والوضوح ، هي التي شتتها وشتتها الصهيونية على فن التصوير والرسم ، كما شتتها وما تزال تشتتها في ميدان السياسة والاجتماع .

ومن عجب أن تنطلي الأساليب اليهودية على الفنانين العرب فتجعلهم « ينصرعون » بها ويهيمنون بتقليدها وتزويرها مع انها نفسها كلها تزوير وتشويه ومسوخ ، تزوير للحق ، وتشويه للصدق ، ومسوخ للجمال . . .

هل هذا كل ما شاهدته في معرض الفنانين السوريين أمس ؟

كلا فهناك محاولات جدية عاقلة للسير في طريق واضحة واعية ، وعلى رأس هذه القلة من الفنانين السوريين الفنان « محمود حماد » رسام عاقل مثق يعرف ماذا يرسم ، ويعرف السبيل الذي يسير عليه بلا ادعاء ولا غرور . . .

لقد استفاد من محاسن الفن المصري الذي يعيش فيه وتخبر منه ما ينسجم ويتوافق مع أسلوبه الكلاسيكي الأصيل في الرسم .

* * *

ما لي أتحدث عن فن الرسم والتصوير وما آل اليه من مسخ وتزوير . . . وأمامي السياسة
وأفانين أهل السياسة . . .

كيف كانوا في الماضي ، وكيف أصبحوا اليوم ؟
من هم بطانة الرؤساء والحكام فيما مضى . . .

من هم الكتاب والادباء والصحفيون وأهل الرأي والتوجيه الذي كان زعماء زمان يستقدمونهم
ويستشيرونهم ويمثلونهم .

ومن هي حاشية رؤساء وزعماء و « أدباء » وكتاب آخر زمان . . .

حقاً انه زمن رديء . . . هذا الزمن الذي أصبح فيه المقلد التافه فناناً ، والصحفي الكويكب
موجهاً ومرشداً ، والمناقق اللعوق سيداً وكبيراً ، ألم أقل انه زمن رديء ؟ !

إميل البستاني
يلتصر للزمن الرديء !

لم أكن أعلم أن اميل البستاني ، الذي زاده الله بسطة في الجسم والمال والاعمال ،
بات يشكو قلة الشغل في هذه الأيام ، مع انه رجل « مسيع الكارات » وليست شركة
« الكات » إلا أقل المهن والادوات !

ولكن اميل البستاني مع ذلك لم يجد غير مهنة الكتابة يتعاطاها ويلجج بابها .
كان الله في عون البستاني من هذا الباب الجديد وهذه المهنة الجديدة . . . والف
مبروك عليه وعلى القراء ! « أ. ش »

لو عن على بال أحد من الناس ، أي واحد من الناس ، أن يبحث عن الإبداع في البشاعة ،
او الرداءة في الحسن والحلاوة ، لما وجد غير ريشة الأخ أحمد شومان ، سنداً يتكبيء عليه ،
وملاذاً يلجأ اليه ونوراً يفتح عينيه فيبص ليجد الرديء جيداً جواداً ، والحسن رديئاً تنقرز منه
العين ، وينفر منه الذوق ، وتجيش منه النفس تقيئاً . فمن حسنات هذا الزمن وطيباته ومكارم
أخلاقه انه جاد على الدنيا كلها بريشة هذا لونها وطرارها وبتعها ، ترص للحسن اردأ النعت
والوصف فتمسخه ، وتهندس للفتح أروع الاطار والصورة فتجمله وتبدعه فما كان للاشياء
الحلوة الطيبة إلا أن تبكي ايام زمان ، حيث كان مقدروها وعابدوها يجعلونها عرائس شعرهم ،

وما كان للبشاعة إلا أن تتحسر على زمن أفلاطون الذي قدر وراعى شعورها وأنصف مكانتها فوضعها في مكان بارز جعله يمتناول عيون جميع الناس ليروا شكلها ولينفروا منها ومن قبحها ، دون أن يخطر في بالها أن زمننا هذا لن يطل عليها الا وقد نكبتها بمن جعل منها قسراً وظلماً وعدواناً ، عروساً لثرة ، ومفتاحاً لقرينته وزيناً لفانوسه ، وشعاعاً لبؤبؤ عينه الساهرة ، ورفيقاً ليقظته السامرة ، فجعل كل همه طحنها وعجنها والامعان في زيادة مسخها ، فاذا بها تخرج على الناس من فرنه خبزاً مقولباً شهياً رنخاً طرياً يعلك ويلاك ويزدرد حتى عند ذوي الاحناك المفتقرة الى نعمة التشش والعلك والبلع .

هذا الزاد الذي يقدمه جراب الأخ أحمد كلما صاح الديك وتعتق ، وكلما طلع « نهار » ، هو على حلاوة طعمه وجميل اطاره لم يتبدل أو يتغير ، فكأن الناس بجوابه روزنامة مشاريع وأفكار أخذ متعديها على نفسه اظهار كل محتوياتها ، وابانة جميع صورها ، حتى ينفضي للشك بأن الزمن الرديء رديء فعلاً وبأن التشاؤم للبد قولاً وتصوراً وتعمقاً واستبحاراً ، مع انه لولا التفاؤل لما كان التشاؤم ، ولولا الجمال لما كان القبح ، ولولا الحلو والطيب لما كان الرديء ، ولولا السعد لما كان النحس .

انتقل من هذا الى التعليق على ما كان في « نهار » اليوم موضوع الاخ أحمد في الفصل الرابع من « زمنه الرديء » وهو يدور حول خسارته الرهان ، لأن فخامة الدكتور ناظم القدسي عاد الى الرئاسة بالرغم من « الزمن الرديء » . لقد عاد الرجل الذي يصفه الاخ أحمد ، بالقانوني الرقيق البدن ، الضئيل الحجم ، الصامت المتزمت ، الكاره لكل جعجعة وبهرجة . . . « لقد عاد وهو في رأبي منسجم مع طبعه وخلقه ومزاجه . ولربما كان الدكتور ناظم القدسي قد تعذب نفسانياً واجتاز مراحل من الألم الصبور ولكنه عاد منتصراً على عذابه وألمه . وكانت عودته منحة فاقت كل منحة . ولرب منحة حملت في طيها منحة . أما المنحة فقد كانت تلك التي نكبت بها سوريا العزيزة والتي كادت تعرضها لاونخم العواقب . واما المنحة فهي ذلك الانتصار الذي سجله الدكتور ناظم القدسي في وضعه شعوره الشخصي جانباً ، وفي اقباله من جديد على محاولة مسح الجروح العميقة التي طالما تألمت منها سوريا الشقيقة . وفي رأبي أن على كل محلل أن يزداد عنده الوعي ليقدّر موقف الدكتور القدسي ويعترف له بحكمة القرار الذي ساعد سوريا على ايجاد منفذ الى السبيل النير وجعلها تأخذ في كسب المزيد من القوة . لقد عاد الى سدة الرئاسة وهو أكبر منها ، وعاد ليكون ضماناً أكيدة لعودة سوريا الى السلامة والعافية والازدهار . وهذه حقيقة ينبغي أن تكون في منزلة اليقين الذي تسكن اليه النفوس وتطمئن اليه الضمائر .

الرئيس القدسي كان مدركاً ولا شك انه إذا لم يعد لربما حلت الكارثة التي لا قيام بعدها ، ولا عودة الى الشرعية والنظام والدستور . وليس المهم في محنة هذا شأنها أن ينتصر الانسان لشخصه لنفسه ، لارضاء شعوره ، وجميع أحاسيسه الشخصية ، فالتضحية بكل هذا وقد وجدها الرئيس القدسي ضرورية لم يتهرب منها بل أقبل عليها وهو على أكثر من يقين أن تضحيته بشعوره الشخصي هي نصر لوطنه : لقد ضحى بنفسه من أجل غيره . وهذه حقيقة باتت معروفة عند معظم الناس . ولن أحاول هنا البحث مع غيري ، عن المنتصرين والمهزومين في سوريا ، عن الغالبين والمغلوبين . ولا أريد أن أضع في اعتباري ان محنة سوريا أوجدت غالباً على مغلوب . فهذه للتسمية غير واردة . وإنما الظاهر والساطع سطوع الشمس هو انتصار سجله الرئيس القدسي . ولعله انتصار على نفسه ، ولكنه انتصار لسوريا . ولم يكن من الضروري أن ينتصر على غيره حتى ينقل بلده ، فتضحيته كما قلت انتصار . وهذا أشبه شيء بانتصار الناصري على الموت .

« اميل البستاني »

الفهرس

أشخاص ..	٥٧
الأزمة في «ويك أند» !	٥٨
الفصل الأول لرواية الحكومة القديمة -	
الجديدة! ..	٦٠
الصورة الكاريكاتورية في الحكومة الكرامية	٦٢
أشخاص ..	٦٤
شيء جديد!	٦٥
الله يا دنيا!	٦٧
«على عينك يا تاجر»!	٦٩
دولة المتاريس إلى زوال!	٧٠
أشخاص ..	٧٢
عندما «يدقق» النواب الكرام!	٧٣
اللجنة الخارجية ..	٧٥
أشخاص ..	٧٧
ارحموا لبنان ..	٧٨
لبنان بين حانا ومانا!	٨٠
سياسيون ..	٨٢
سياسيون ..	٨٤
أشخاص ..	٨٥
سياسيون ..	٨٦

مصر

أشخاص ..	٩١
الجمعية الماسونية الحديثة!	٩٣
الحاشية ..	٩٤
«م.ح.هـ» و «م.ع.ح»!	٩٥
الحاشية ..	٩٧
«هات لنا حل يا سي رفول»!	٩٨

لبنان

هذه الثقة ..	١٧
أشخاص ..	١٨
حياد اللاشيء!	١٩
تكلم يا معالي الوزير ..	٢١
إلى خنادق الحكم ..	٢٢
المشكلة الكبرى!	٢٤
أشخاص ..	٢٥
الاختصاص والمختصون ..	٢٧
غياب المعارضة ..	٢٨
حكومة الطرح ..	٣٠
أبدأ مش صحيح!	٣١
أشخاص ..	٣٣
العمل والانتاج!	٣٤
أن له أن يرى!	٣٦
يدير الظهور للصحافة ..	٣٨
الشراب السري ..	٣٩
دهشة الوزير ..	٤١
الهواء الأصفر!	٤٣
سامح الله العراق!	٤٤
الدورة الخطرة!	٤٦
أشخاص ..	٤٧
زعيم لا زعيم!	٤٩
عودة البطل!	٥٠
التلميذ النجيب!	٥٢
الفرصة التي ضاعت!	٥٤
اللغم الثالث ..	٥٥

١٥٥	كربلاء الجديدة!
١٥٧	كلام في كلام...!
١٥٩	الوحدة!
١٦٠	الوحدة!
١٦٢	مصر الثورة إلى أين...؟
١٦٤	الخوف على عبد الناصر!
١٦٥	كافر آخر
١٦٧	صندوق العجب
١٦٩	الوحدة
١٧١	الوحدة

سوريا

١٧٥	من كان منكم بلا خطيئة
١٧٦	سرد من التاريخ
١٧٨	سرد حكاية قاض!
١٨٠	روزنامة ساخرة!
١٨٢	شيشكلي جديد!
١٨٤	هذا الظلام!
١٨٥	مقررات حمص
١٨٧	مقررات حمص
١٨٩	حل واحد لا حلان
١٩١	الانقلاب السوري والشيخ الكبسي
١٩٢	«المارش» الجديد و«البدن» المحترم
١٩٣	المصالحة الوطنية
١٩٤	حكومة الأقطاب
١٩٦	سوريا الأمس وسوريا اليوم
١٩٨	سوريا ولبنان
١٩٩	خطاب العظمة و«الطريق الثالثة»!
٢٠١	سوريا ولبنان
٢٠٢	الحديث المشبوه
٢٠٥	نعمة الهاراكيري
٢٠٦	... والعزة للعرب

١٠٠	ذكرى زغلول تضي وتؤرق
١٠١	حرية النقد
١٠٢	الدفع الثوري والدفع الفوري!
١٠٣	ناصر والنظام الناصري
١٠٥	هل ضاعت الآمال؟
١٠٧	أشخاص
١٠٩	أشخاص
١١٠	أشخاص
١١١	أشخاص
١١٣	عقيدة أم عقدة؟
١١٤	حديث الوفر والتوفير!
١١٥	٢٣ يوليو
١١٨	کردستان لروسيا ويهودستان لأميركا!
١٢٠	أهل الصراحة!
١٢١	مطلوب حديث آخر!
١٢٢	تصفية نهائية؟ وبيع نهائي؟!
١٢٤	أجهزة البيه الدوقتورا
١٢٦	السفير البورجوازي للدولة الاشتراكية!
١٢٨	المصالحة المطلوبة!

مصر وسوريا

١٣٣	الوحدة بين الهزيمة والنصر!
١٣٤	هرب السراج
١٣٦	الوحدة
١٣٨	عام بعد انقراط الوحدة
١٣٩	خطة مصرية بعد الوحدة
١٤١	حوار الوحدة!
١٤٣	ذكرى الوحدة
١٤٤	طلب الوحدة
١٤٦	في ذكرى الوحدة
١٤٨	بعد الوحدة
١٥٠	الوحدة المقترحة من البعث
١٥١	الوحدة وكراس الحوراني
١٥٣	الوحدة... وحدات!

٢٥٩	من وحي اليمن
٢٦١	مع الثورة فقط
٢٦٢	الثورة اليمنية . . . بين أصدقائها وأعدائها
٢٦٤	العصر اليمني
٢٦٦	نهاية الزحف!
٢٦٧	الكلام المفيد
٢٦٨	أشخاص
٢٧٠	حتمية الوحدة أم حتمية الانفصال؟
٢٧١	الدرس من الجزائر والعبرة من اليمن
٢٧٣	الثورة اليمنية و«الدفع الثوري»!
٢٧٤	الأسلحة الفاسدة بين الأمس واليوم
٢٧٦	«مبروك مبروك»
٢٧٨	خرفان بلا عيد

المسؤولون

٢٨٣	١ - المسؤولون
٢٨٤	٢ - المسؤولون
٢٨٧	٣ - المسؤولون
٢٨٩	٤ - المسؤولون
٢٩١	٥ - المسؤولون
٢٩٣	اسألوا الشيشكلي
٢٩٥	٦ - المسؤولون

الزمن الرديء

٣٠١	١ - الزمن الرديء!
٣٠٢	٢ - الزمن الرديء!
٣٠٤	٣ - الزمن الرديء!
٣٠٧	٤ - الزمن الرديء . . . كيف خسرت الرهان!
٣٠٨	٥ - الزمن الرديء!
٣١٠	٦ - الزمن الرديء!
٣١٢	٧ - الزمن الرديء! شهيد الموسيقى الشرقية
٣١٣	٨ - الزمن الرديء وفن التصوير!
٣١٥	إميل البستاني ينتصر للزمن الرديء

عرب - الجزائر - اليمن

٢١١	وإسرائيل
٢١٢	خلافت عربية
٢١٤	بمناسبة أزمة الكويت
٢١٥	أزمة الكويت
٢١٦	بين الجذ والهزل
٢١٨	شكوى سوريا من التسلل
٢١٩	حفلة سباب شتورا
٢٢٠	بيضة الشكوى السورية
٢٢٢	حفلة سباب شتورا
٢٢٣	تياترو جديد
٢٢٥	الصيحة الداوية
٢٢٧	الترياق من اليمن
٢٢٨	«انتصرنا انتصرنا»
٢٣٠	الانتصارات السلية
٢٣١	السلاح الخطر
٢٣٣	لماذا نخاف عليه؟
٢٣٤	الوقت المناسب للعمل المناسب
٢٣٦	يكاد المريب يقول خذوني
٢٣٧	ماذا بعد فلسطين
٢٣٩	ثلاثين عاماً إلى الورا
٢٤١	العطف الخاص وقضية فلسطين
٢٤٢	هذا المنطق إلى متى يدوم؟
٢٤٣	ضمانة لإسرائيل
٢٤٥	احلفوا له بالطلاق
٢٤٧	صوت فرنسا هل تسمعه فرنسا؟
٢٤٨	دوسان من الجزائر
٢٤٩	ثورة الجزائر خير أمثلة
٢٥١	العاقل من اتعظ بغيره
٢٥٣	الشعب المعلم
٢٥٥	هزال ولعب أطفال
٢٥٦	رحم الله المراغي
٢٥٨	الترامواي في اليمن من اشتراه؟

القلم الحرّ، والخطوط الحمراء

لو سئلت من هو أشجع صحافي في لبنان، لما ترددت في القول إنه أحمد شومان. فهو ليس أشجع وأجراً صحافي في لبنان، بل في العالم العربي. فما عرفت الصحافة العربية صحافياً تجاوز الخطوط الحمراء في سائر الأنظمة العربية، وتجاوز الشجاعة والصراحة والجرأة، إلى درجة التهور والفداء، فكان بحق فداً من طراز نادر. عرف لبنان والعالم العربي عهداً وعهود، تعلبت في جنباته رجالاً وسياسات، هانت فيها الكرامات وأمسكت الأقلام عن قول الحق الصراح والرأي الحرّ الخالص من كل قيد والتزام، إلا التزام الصدق والصراحة المنزهة عن الغايات والمصالح الخصوصية، فكان قلم أحمد شومان مثلاً لحرية الصحافي وشجاعته عزّ نظيرها بين من عرفت الصحافة العربية من أقلام.

زهير عسيان

أحمد شومان صحافي فريد من نوعه في العالم العربي. نفته فرنسا إلى مصر في الأربعينات وكان في أوائل العشرينات من عمره. في الزمن الرديء كتب بإخلاص وعن قناعة في الشأن العام. كان يقول كلمته ويمشي غير عابئ بالترغيبات ولا بالتهديدات والوعيد ومحاولات الاغتيال. كان باستطاعته أن يصبح صاحب أكبر مؤسسة صحافية لو عرف التملق ومسايرة عرب البترول، لكنه أبى تلك العروض كي لا يؤجّر قلمه للتبجيل والتبجيل. أما في زمن التدجيل والتبجيل وعبادة الأشخاص فقد قرّر الانسحاب إلى صومعته تاركاً المهنة التي أحب وفي قلبه مرارة من الصحافة وأصحابها الراقصين في كل عرس والنائحين في كل مأتم.

عرفته في الخمسينات صحافياً شاباً، وأصبحت صديقاً له في السبعينات لأن آراءه في الناس والسياسيين كانت تدهشني ولا تخطيء.

فؤاد عوض

الزمن الرتيب، للزمن الرديء

«الزمن الرديء» مجموعة رسائل وليس مقالات صور فيها الأديب الكاتب أحمد شومان صورة ما كان يحدث على أرض الوطن العربي في فترات انتقالنا من عهود مثقلة بالتبعية إلى تقليد تجارب سوانا بشكل غير مدروس غير آخذين بعين الاعتبار واقع حالنا. بقلمه الجراح غرس مبضعة عن طريق جريدة «النهار» في الجرح لإخراج الرواسب المتراكمة في نفوسنا لعهود طويلة. وفي ظلمة الليل العربي أخرج من «النهار» لأن العتمة قد أعمت العيون ولم يعد للنهار في «النهار» مكان...

أحمد شومان الإنسان رأى وصوّر ما كان يراه الآخرون وأقدم حين أحجم الآخرون خوفاً من السلطة والسلطان. دفع ثمن ما كتب وما يزال، وربحنا نحن صورا صادقة لما كان يحدث أيام «السفير البرجوازي للدولة الاشتراكية».

أحمد شومان عليك تبيري مرة أخرى وتصور هذه الحقبة التي تعيش تحت عنوان «الزمن الرتيب».

أحمد طيارة